

باقات الورد والنضرة

من

حكايات المسلمين العطرة

مكتبة ٣٠٣

إبراهيم النعمة



بفاتح الورد والنضرة

من

حكايات المسلمين العطرة

إبراهيم النعمة

مكتبة | 303



دار الفاييس
للنشر والتوزيع الاردن

دار البيارق

جميع الحقوق محفوظة للناسِرين

الطبعة الأولى

١٤١٨هـ - ١٩٩٨م

دار النفائس

للنشر والتوزيع

المبلي - مقابل عمارة جوهرة القلنس
ص.ب: ٢١١٥١١ عمان ١١١٢١ الأردن
هاتف: ٤١ ٣٩ ٦٩ - فاكس: ٤١ ٣٩ ٦٩



دار البيارق
للطباعة والنشر والتوزيع

لبنان - بيروت
ص.ب: ١١٣/٥٩٧٤

دار البيارق

مكتبة أحمد

٢٠١٨١١١٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة



يا ربّ لك الحمدُ كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك!
رضينا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمدٍ ﷺ نبياً ورسولاً! والصلاة
والسلام على رسول الله، وآله وأصحابه، ومن دعا بدعوته إلى يوم
الدين!

مكتبة أههد

وبعد:

فما من أمةٍ زَخَرَ تاريخُها بعظماء أمجاد، قدّموا للإنسانية من
المكرّمات الرائعات أسماها وأسناها، ومن البطولة والتضحية أروعها
وأعلاها مثل الأمة الإسلامية التي جمعت النبل من أطرافه؛ فكانت
المثل الأسمى والقدوة الأسنى لكل خُلُقٍ كريم وأدبٍ لباب...

ولم تقتصر هذه الفضائلُ والمكارم على بلدٍ من بلاد الإسلام
دون آخر، بل طوّفت في أرجاء الأمم كلها، والشعوب بأجمعها؛
فكانت درةً سامقةً في جبين الإنسانية، تظلُّ متلألئةً في السمر
والإشراق؛ لتعطي شعوب الدنيا دروساً عمليةً في احترام كرامة
الإنسان، وكيف ينبغي أن يعيش الناس آمنين مطمئنين، تسودهم
المحبة، وينعمون بالحرية... وكأنّ تلك الأمجاد تقف أمام شعوب
العالم وقد أطلّت من عليائها على واقع الناس، متحديةً أن يأتوا بمثلها
وهيئات... ذلك أنّ هذه (الروائع) قدّمها المسلمون إلى العالم بعد أن
صقل الإسلامُ نفوسهم، وجعل لهم نظرةً خاصةً إلى الكون والحياة

والإنسان، وعلمهم أن ما يُقدّمونه إلى الناس من نفع هو عبادةٌ يتقرب بها المسلم إلى الله عزّ وجلّ... .

إنّ الأمم الديمقراطية في هذا العصر تدّعي أنّ لها فضل السبق في تقرير حقوق الإنسان: (فإنكلترا) تدّعي ذلك، و(فرنسا) تخصمها في هذا المجد وتدّعي ذلك لنفسها، وهناك أمم أخرى تُنكرُ على (إنكلترا) و(فرنسا) دعواهما، وتدّعي أنها هي صاحبة السبق في الدعوة إلى تلك الحقوق... .

والحقّ الذي لا ريب فيه أنّ الإسلام هو أوّل من نادى بحقوق الإنسان، وطبّق ذلك الإعلان رسولُ الله ﷺ والخلفاء الراشدون وكثير من خلفاء المسلمين بعد ذلك. وفي تاريخنا أمثلة كثيرة من تلك الحقوق: كالمساواة بين الناس في الحقوق المدنية، وشؤون المسؤولية والجزاء، وفي الحقوق العامة: كحقّ التعلم والثقافة والعمل، وكذلك الحرية المدنية والدينية والسياسية، وحرية التفكير والتعبير... .

ومما أولاه الإسلام كلّ اهتمام في أمر حقوق الإنسان: حمايته للأنفس والأموال والأعراض والأنساب... .

كل ذلك أشار إليه الإسلام، وطبّقه المسلمون تطبيقاً عملياً رائعاً، غير أنّ الديمقراطيات الحديثة لا تزال متأخرة كلّ التأخر عن هذه الحقوق التي ضرب المسلمون أروع الأمثلة في تطبيقها تطبيقاً عملياً... .

فهذا (عمر بن الخطاب) - رضي الله عنه - جاءته (برود) من اليمن - وهي أكسية سود مربعة تلبسها الأعراب - ففرّقها على الناس بُزداً بُزداً، ثم صعد المنبر وعليه بُزدان اثنان منها؛ إذ كان رضي الله عنه طويلاً ضخماً لا يكفيه بُزد واحد، فقال: اسمعوا رحمكم الله!

فقام الصحابي سلمان فقال: والله لا نسمع، والله لا نسمع!

فقال: ولم يا أبا عبد الله؟

فقال: يا عمر، تَفَضَّلْتَ علينا بالدنيا: ففرقتَ علينا بُرداً برداً،
وخرجتَ تخطب في بردين.

فماذا كان من عمر وهو يُجابهُ هذه المجابهة في مسجد
رسول الله ﷺ الغاص بالناس؟

لقد قال سيدنا عمر: أين عبدُ الله بنُ عمر؟

فقال: ها أنذا يا أمير المؤمنين.

قال: لمن أحدُ هذين اللذين عليّ؟

قال: لي.

فقال لسلمان: عجلت عليّ - يا أبا عبد الله - إني كنتُ غسلتُ
ثوبي الخلق - البالي - فاستعرتُ ثوب عبد الله.

قال سلمان: أما الآن، فقل نسمع ونطع!

إنها عظمةٌ تُدهشُ العقول وتُحيرُ الألباب.

عُمَرُ الذي جمع المجد من أطرافه، وهزمتْ جيوشه جيوش
أعظم دولتين، لا يرى نفسه مستحقاً لكساء ثانٍ يكفيه لطوله
وضخامته...! والمسلمون يرون أنَّ الحاكم - ولو كان عمر - لا يجوز
له أن يفضّل نفسه على عامة المسلمين بحيث يأخذُ لنفسه بردين وقد
أعطاهم برداً برداً!

رضي الله عنك يا أبا حفص! أفكان كثيراً عليك أن تتخذَ لنفسك
ثياباً كما يتخذُ أوسطُ الناس؟!

ورضي الله عن المسلمين؛ إذ ما كانوا يَرَوْنَ الخليفة إلا أن
يساويهم، ويأخذ كما يأخذ أديانهم!

إنَّ الناظر في أحوال العالم الغربي اليوم يرى أنه قد تفوق علينا
في جوانب كثيرة، وينظر إلى المسلمين، فيراهم قد وقفوا أمامه موقف
الضعيف الوجل فيسأل: ما أسباب ذلك؟

والحقُّ أنَّ من أسباب ذلك إجلال الغربيين لقادتهم، وتدوين سيرتهم، وغرس محبتهم في قلوب الأطفال من نعومة أظفارهم، فينشأ الشاب وهو يظن أنَّ عظماءه هم العظماء فحسب؛ لكثرة ما سمع من إجلالهم والثناء عليهم بالحق وبالباطل.

ونتلفت هنا ذات اليمين وذات الشمال، فيؤلّمنا الواقع الذي يعايشه العالم الإسلامي بصورة عامة، والعربي بصورة خاصة؛ ذلك أنَّ كثيراً من شبابنا يكادُ يجهلُ كلَّ شيء عن عظمائه وأمجادهم؛ لأنَّ (المنهاج الثقافي) الذي وضعه المستعمرون لبلادنا حين قاموا باحتلالها كان دقيقاً كل الدقة: لم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أشار إليها وخطط لها. وقد أوحى ذلك المنهاجُ إلى شبابنا أن يحتقروا كتبنا القديمة، وينظروا إليها نظرة زراية وامتهان، في الوقت الذي وجّه شبابنا وعلمه كيف يجلس ويحترم الكتب التي كُتبت تحت رعاية المستعمرين، فقرأ شبابنا كلَّ شيء عن (نابليون) والتاريخ الأوروبي، ولم يعرفوا عن تاريخ المسلمين إلا التزر اليسير الذي لا يُسمن ولا يُغني من جوع.

على أنَّ المستعمرين - أيضاً - وقفوا من تاريخنا موقف المشوّه لأحداثه، الطامس لمعالمه، المحرّف لوقائعه؛ لأنهم كانوا يعلمون أنَّ دراسة تاريخنا بنصاعته وبهائه ونقائه، يبعث في الأمة روح آبائهم وأجدادهم الذين فعلوا الأعاجيب في التضحية والفداء من أجل رفع راية الإسلام... وعند ذاك ينتفض (المبارد الجبار) من عرينه، وينفض عنه غبار النوم، فيعود إلى سيرته الأولى، سيرة آبائه وأجداده... ١

إنَّ الإسلام اليوم يمرُّ في خطر عظيم؛ إذ صار له أعداء متخصصون في الكيد له ومحاربه في كل مكان. وهذا الهجوم الماكر يسير وفق تخطيط دقيق، وتنظيم مبرمج، تسانده ميزانيات كبيرة وضعها المستعمرون والمبشرون والمستشرقون لهذه المهمة - مهمة محاربة الإسلام في كل مكان - ويحز في نفس كل مسلم غيور، أن يرى أعداداً كبيرة من المسلمين، وهم مع كثرتهم غشاء كغشاء السيل، لا

يجمعهم أسلوب موحد ودقيق للتصدي لهؤلاء الأعداء انتصاراً
لدين الله.

وأخيراً.. فإني لم أكتب هذه (الروائع) لتكون مسلاةً للمقصرين
الذين لا ينتهجون نهج سلفهم الصالح في التمسك بالإسلام قولاً
وعملاً، بل كتبها لتكون منهاج حياة لأجيالنا الحاضرة تُقْبَسُ من هذا
البحر الزخار وتفعل مثلما فعلوا؛ فَيُسَعِدُ الخلفُ كما سَعِدَ السُّلفُ..

وتزداد أهمية البحث في هذه (الروائع) حين تنطلق أبواق الأعداء
من كل مكان تتفحص من تاريخنا، وتشوّه من سيرة رجالنا.

إن هذه الباقات التي بين يديك - عزيزي القارئ - رحلة في
الحدائق والجنان، حاولت أن أقطف من كل بستان زهرة، ومن كل
حديقة نبتة طيبة، وما أكثر الحدائق وأزهارها، وأطيب عيبرها وريحانها!
إن هذه الحديقة هي الإسلام الذي حوى من الأزهار أجملها ومن
الرياحين أطيبها، ومن المياه أعذبها!

ولقد ذكرت في هذه الروائع بعض ما قاله كتاب الغرب وفلاسفته
والمستشرقون، وما أثنوا به على الشريعة الإسلامية، لا ليزداد المسلم
إيماناً بإسلامه، ولكن لنضع هذه الحقائق أمام الشباب والمثقفين الذين
بهرتهم الحضارة الغربية ببهرجها الخلاب ومنظرها الأخاذ، وكلامها
المعسول، فصاروا ينظرون إلى أقوال فلاسفة الغرب على أنها الحجة
التي لا تدحض والحقيقة التي لا تناقش، والقول الفصل الذي لا يقبل
الخطأ، ولا يحتمل الانحراف عن جادة الصواب!

ويقيني أن هذه الروائع التي يقرأها الشاب المسلم، تترك في
نفسه أثراً طيبة، تجعله يعتز بإسلامه وماضيه المشرق، وينظر إلى
ثقافات الغرب والشرق الحاضرة نظرة ازدراء وتهكم، لأن تلك الثقافات
الغربية حطمت الإنسان، وأكثرت من أمراضه وآلامه، وجعلته يئن من
ويلات الأمراض العصبية والنفسية والبدنية التي مزقته شر ممزق،
وجعلت حياته جحيماً لا يطاق...!

ومما دعاني إلى إعداد هذه الروائع هو خلو مكتبتنا الإسلامية من كتب تضم تلك الروائع في كتاب مستقل، إذ لا تزال تلك الروائع منبثة في كتب متعددة، فجاء هذا الكتاب ليسد نقصاً نستشعره .

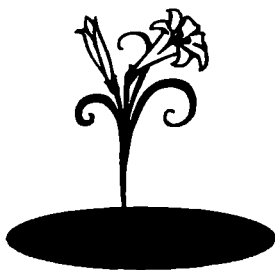
وكنت قد نشرت هذه الروائع في مجلتي (التربية الإسلامية) تحت عنوان (قطوف من الحضارة الإسلامية). ومجلة (الرسالة الإسلامية) تحت عنوان (طرائف وعبر) و(طرائف من التراث الإسلامي)، راعيت في اختياري لها الوجازة والأهمية في الوقت نفسه، ولم أذكر شيئاً من الروائع التي يستغرق ذكرها صفحاتاً!

إنها لآلىء ودرر، قمت بإجلائها، بعد أن ظلت تائهة ضائعة في بحر مليء بالدرر من أمثالها، فاستخرجتها لؤلؤة ولؤلؤة ودررة ودررة .

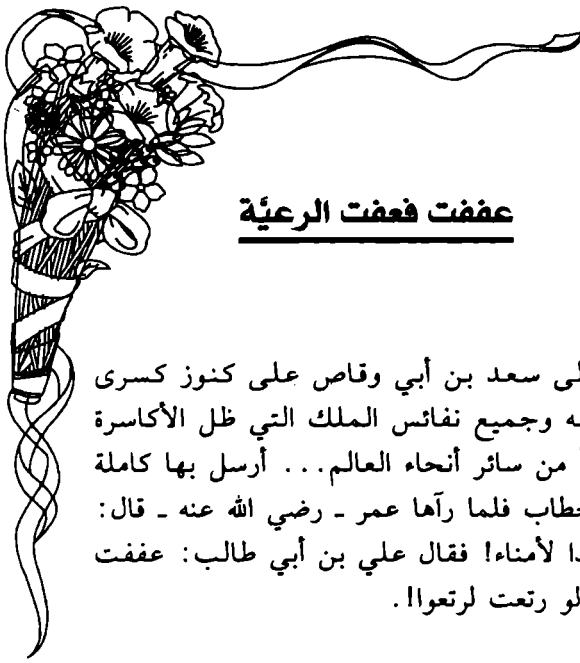
والله أسأل أن يأخذ بأيدي المسلمين لما فيه الخير والرشاد، وأن يجعلهم يسلكون مسلك آبائهم وأجدادهم في البر والخير والثقافة والحضارة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن يفرج عن المسلمين ما هم فيه من تشتت وضعف وإعراض عن صراط الله المستقيم، مؤملاً أن أحظى بدعاء من القارئ الكريم لي ولوالدي ولأساتذتي وللمسلمين، والله يقول الحق ومنه التوفيق .

إبراهيم النعمة

الباقة الأولى
حكايات الحكام الصالحين







عفتت فعفت الرعيّة

لما استولى سعد بن أبي وقاص على كنوز كسرى وذخائره وملابسه وجميع نفائس الملك التي ظل الأكَاسرة يجمعونها قروناً من سائر أنحاء العالم... أرسل بها كاملة إلى عمر بن الخطاب فلما رآها عمر - رضي الله عنه - قال: إن قوماً أدوا هذا لأمناء! فقال علي بن أبي طالب: عفتت فعفت الرعيّة، ولو رتعت لرتعوا!.

لؤلؤة وجمرة

بعثت ابنة عمر بن عبد العزيز بلؤلؤة لأبيها وقالت: إن رأيت أن تبعث لي بأخت لها حتى أجعلها في أذني. فأرسل لها بجمرتين ثم قال لها: إن استطعت أن تجعلي هاتين الجمرتين في أذنيك بعثت إليك بأخت لها!.

مثلي كمثل ولي اليتيم

كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يقول: مثل خلافتي وأمارتي مثل ثلاثة ركب سافروا فأودعوا نفقتهم رجلاً منهم، فقالوا له: أنفق علينا، فهل له أن يستأثر عليهم بشيء؟! وكان يقول: مثلي كولي اليتيم: إن أغناه الله استعفّ، وإن مسّته الحاجة أخذ منه بقدرها!

أردت أن أغنيهم من الخيانة

دخل ابن أبي زكريا على عمر بن عبد العزيز فقال يا أمير المؤمنين، إني أريد أن أكلمك بشيء قال: قل. قال: قد بلغني أنك ترزق العامل من عمالك ثلاثمائة دينار؟ قال: نعم قال: ولم ذلك؟ قال: أردت أن أغنيهم عن الخيانة!

وكتب إلى عماله أن اقضوا عن الغارمين. فكتب إليه: إنا نجد الرجل له المسكن والخادم والفرس والأثاث في بيته، فكتب عمر: لا بد للرجل من المسلمين من مسكن يأوي إليه، وخادم يكفيه مهنته وفرس يجاهد عليه عدوه، وأثاث في بيته، ومثل هذا غارم فاقضوا عنه!!.

الملك الذي يعود

دخل أحد الأمراء على أمه وهو يبكي بعد أن سقطت إمارته في يد الأعداء فقالت له أمه: يا بني إن الملك الذي يبكي عليه أصحابه لا يعود، إنما يعود المُلْك الذي يقاتل عنه أصحابه!.

جعلني الله أثقلهم حملاً

صعد عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه - إثر توليته الخلافة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أما بعد، فإنه ليس بعد نبيكم نبي، ولا بعد الكتاب الذي أنزل عليه كتاب.

ألا إن ما أحل الله حلال إلى يوم القيامة. ألا وأني لست بمبتدع ولكني متبع.

ألا إنه ليس لأحد أن يطاع في معصية الله. إلا أنني لست بخيركم ولكني رجل منكم، غير أن الله جعلني أثقلكم حملاً!!

الجواب ما ترى لا ما تسمع

كتب ملك الروم إلى المعتصم كتاباً يتهدده فيه، فأمر بجوابه، فلما قرىء عليه الجواب لم يرضه وقال للكاتب: اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد: فقد قرأت كتابك وسمعت خطابك، والجواب ما ترى لا ما تسمع وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار!

أسعد الرعاة عند الله

كتب عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - إلى أبي موسى الأشعري: أما بعد فإن أسعد الرعاة عند الله من سعدت به رعيته، وإياك أن تزيع فتزيع عمالك، فيكون مثلك عند الله مثل البهيمة: نظرت إلى خضرة من الأرض فترعت فيها تبتغي بذلك السمنة، وإنما حتفها في سمنها والسلام!

الإمام علي وأهل الذمة

اتهم رجل من المسلمين في عهد سيدنا علي - كرم الله وجهه - بقتل واحد من أهل الذمة وقامت الحججة عليه، فأمر علي بالقصاص، فجاءه أخو القتيل وقال: قد تركت القود - أي القصاص - فقال له سيدنا علي: لعلهم فزَعوك أو هددوك؟ فقال: لا، بل قد أخذت الدية، ولا أظن أخي يعود إلي بقتل هذا الرجل، فأطلق علي القاتل وقال: «من كان له ذمتنا فدمه كدمنا وديته كديتنا».

وصية أبي بكر

عندما حضرت الوفاة أبا بكر الصديق - رضي الله عنه - دعا ابنته أم المؤمنين عائشة وقال لها:

يا عائشة، لقد ولينا أمر المسلمين، فما استبقينا لأنفسنا من مالهم شيئاً. لقد أكلنا من جريش طعامهم في بطوننا، ولبسنا من خشن

ثيابهم على ظهورنا، وما بقي عندنا من مال المسلمين إلا هذا البعير الناضح، وهذا الخادم لا أحب أن ألقى الله بشيء من مال المسلمين!!

إني احتسب نومتي كيقظتي

أيقظ ولد عمر بن عبد العزيز والده عمر وقال له: ما يؤمنك في نومك وقد رفعت إليك مظالم لم تقض حق الله فيها؟ فيرد الأب قائلاً: يا بني إن نفسي مطبتي، إن لم أرفق بها لم تبلغني. وإني إن أتعبت نفسي وأهوائي لم أك ذاك إلا قليلاً حتى أسقط، وإني لأحتسب في نومي من الأجر مثل الذي احتسب في يقظتي، إن الله - جل جلاله - لو أراد أن ينزل القرآن جملة لأنزله، ولكنه أنزل الآية والآيتين حتى استكن الإيمان في قلوبهم!

لا يمحو الله السيء بالسيء

أوصى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - سعد بن أبي وقاص وقد أمره على حرب العراق فقال: «يا سعد، سعد بني وهيب لا يغرنك من الله أن قيل خال رسول الله ﷺ وصاحب رسول الله فإن الله عز وجل لا يمحو السيء بالسيء، ولكنه يمحو السيء بالحسن، فإن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا طاعته، فالناس شريفهم ووضعهم في ذات الله سواء، والله ربههم وهم عباده، يتفاضلون بالعافية، ويدركون ما عنده بالطاعة، فانظر الأمر الذي رأيت النبي ﷺ عليه منذ بعث إلى أن فارقتنا فالزمه؛ فإنه الأمر. هذه عظتي إياك إن تركتها ورغبت عنها حبط عملك، وكنت من الخاسرين!».

خر الخليفة ساجداً

ذكر أن يهودياً كانت له حاجة عند هرون الرشيد، فتردد إلى بابه بعض الوقت فلم يقض حاجته، فوقف على الباب، فلما خرج هرون سعى حتى وقف بين يديه وقال: اتق الله يا أمير المؤمنين! فنزل هرون

عن دابته وخرَّ ساجداً، فلما رفع رأسه أمر بحاجته فقضيت. فلما رجع قيل له: يا أمير المؤمنين، نزلت عن دابتك لقول يهودي؟

قال: لا، ولكن تذكرت قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْمِهَادُ﴾ (٢٠٦)!

[سورة البقرة: ٢٠٦]

لو صليت فيها لأخذها المسلمون

زار عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - كنيسة القيامة في بيت المقدس. وعندما حان وقت الصلاة خرج من الكنيسة ليصلي خارجها، وقد دعاه البطريرك (صفر نيوس) أن يصلي فيها، فردَّ عليه الخليفة قائلاً: لو صليت فيها لأخذها المسلمون من بعدي وقالوا: ههنا صلى عمر.

لا تعجل فالله ذم الخمر مرتين

ذكر الشاطبي في (الموافقات) أنَّ ابن عمر بن عبد العزيز قال لوالده يوماً:

ما لك لا تنفذ الأمور؟ فوالله ما أبالي لو أنَّ القُدور غلت بي وبك في الحق.

قال عمر: «لا تعجل يا بني، فإن الله ذمَّ الخمر مرتين وحرّمها في الثالثة، وإني أخاف أن أحمل الحقَّ على الناس جملة فيدفعوه جملة ويكون من ذا فتنة».

لا أذوق السمن حتى يذوقه الفقراء

أصاب المسلمين مجاعة في عهد سيدنا عمر - رضي الله عنه - فحرم السمن واللبن على نفسه وأكل الزيت حتى تغير لونه، فلما كلّموه في ذلك قال: والله لا أذوق السمن حتى يذوقه فقراء المسلمين.

وقال أحد الصحابة: لو لم ترفع هذه المجاعة لظننا عمر يموت
هماً بأمر المسلمين.

أنت رجل منهم

كتب عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - إلى أبي موسى الأشعري يقول له: «عذ مرضى المسلمين واشهد جنازتهم، وافتح لهم بابك وياشر أمورهم بنفسك؛ فإنما أنت رجل منهم غير أن الله جعلك أثقلهم حملاً».

أغنى الناس عمر

روى البيهقي في الدلائل عن عمرو بن أسيد قال:

«إنما ولي عمر بن عبد العزيز ثلاثين شهراً، لا والله ما مات حتى جعل الرجل يأتينا بالمال العظيم فيقول: اجعلوا هذا حيث ترون في الفقراء، فما يبرح حتى يرجع بماله، يتذكر من يضعه فيه فلا يجده؛ قد أغنى عمرُ الناس!!»

أيسر من معالجة الأغلال

دخل عمر بن عبد العزيز على امرأته يوماً فسألها أن تقرضه درهماً يشتري به عنباً، فلم يجد عندها شيئاً... فقالت له: أنت أمير المؤمنين وليس في خزانتك ما تشتري به عنباً؟

فقال: هذا أيسرُ من معالجة الأغلال والأنكال غداً في نار جهنم!!

بيبرس يضرب الخطيب

لما وصل الملك الظاهر بيبرس إلى الشام حضر صلاة الجمعة، فأبدع الخطيب وأجاد في المدح والإشادة وتمجيد السلطان! فلما فرغ

من صلاته نهر الخطيب في انفعال ظاهر، وأنكر عليه كل ذلك المدح والتمجيد دون حساب، وكان مما قاله الملك بيبرس: ما لهذا الخطيب لا يفتأ يكرر في خطبته: السلطان السلطان! ليس هذا من شرط الخطبة في دين الله، فأمر به أن يضرب بالمقارع رغم كل ما بذله الحاضرون من شفاعة ورجاء... هكذا مع ما عرف به الخطيب من كمال وعلم وورع وصلاح!!

رحم الله ابن الخطاب

كان عمر - رضي الله عنه - قد فرض للمهاجرين الأولين أربعة آلاف درهم من عطايا بيت المال، وفَرَضَ لابنه ثلاثة آلاف وخمسمائة فقليل له: هو - أي ابنه - من المهاجرين فلم نقصته؟ فقال: إنما هاجر به أبوه! يقول: ليس هو كمن هاجر بنفسه.

أغنى الفقراء

قال يحيى بن سعيد: «بعثني عمر بن عبد العزيز على صدقات إفريقيا فاقتضيتها وطلبتُ فقراء نعطيها لهم فلم نجد بها فقيراً، ولم نجد من يأخذها مني، فقد أغنى عُمر بن عبد العزيز الناس، فاشترتُ بها رقاباً فأعتقتهم».

أبكي لمن حملت الأمانة عنهم

صعد عمر بن عبد العزيز المنبر بعد أن بويع بالخلافة فقال: أيها الناس - والله - لم أتمس هذا الأمر في سر ولا علن، ومن كره ذلك فقد خلعتُ بيعتي من عنقه؛ فبايعُوا من شئتم؛ فضج الناس وقالوا: لا نبايع غيرك ثم اقبلوا ببايعونه من جديد، فاطمأنتُ نفسه إلى هذه البيعة، ثم خلا في مصلاه يبكي ويتململ والمسلمون فرحون، فقالوا له: يا ابن عبد العزيز ما يبكيك؟ قال: إنني حُمِلْتُ أمانة هذه الأمة؛

فأنا أبكي لمن حَمَلْتُ الأمانة عنهم: أبكي للفقير الجائع، وابن السبيل الضائع، والمظلوم المقهور، وذوي العيال الكثير، علمت أنني مسؤول عنهم وعن غيرهم من أمة محمد ﷺ فأشفقت على نفسي، وبكيت لثقل هذه الأمانة!!

هلا أخبرتني من تكون؟!؟

كان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يخرج كل يوم إلى خارج المدينة يتنسم أخبار معركة القادسية، فإذا براكب يسرع نحو المدينة، فأسرع إليه سيدنا عمر قائلاً: من أين يا عبد الله؟ فأجابه الراكب: من القادسية يا أبا العراب!

قال عمر: حدثني ماذا جرى لجيش الإسلام. قال الراكب: انتصروا - والحمد لله، - قال: زدني؛ فأخذ الرجل يحدثه وهو يسرع وعمر بن الخطاب بإزائه فما زال هكذا حتى بلغا المدينة، فإذا الناس ينحازون إلى عمر ويحيونه بتحية الخلافة. فذهل الرجل وقال: هلا أخبرتني من تكون؟! فقال عمر: لا عليك يا أخي!!

يغفر الله لأمر المؤمنين

كان أبو عبيدة بن الجراح مع جنده في (عمواس)، وقد أخذها الطاعون الفتاك، فخاف عمر على أمين الأمة فدعاه ليلتمس له مخرجاً من الهلاك في كتاب يقول له فيه: (أما بعد، فإني قد عرضت لي إليك حاجة أريد أن أشافهك فيها، فعزمت عليك إذا نظرت في كتابي هذا ألا تضعه من يدك حتى تُقبِل عليّ).

ونظر أبو عبيدة في الكتاب فأدرك قصد عمر، وشعر أنه إنما أراد أن يستلّه من الوباء الفتاك فقال: «يغفر الله لأمر المؤمنين» ثم كتب إليه: «إني قد عرفت حاجتك إلي، وإني في جند المسلمين لا أجد بنفسي رغبة عنهم؛ فليست أريد فراقهم حتى يقضي الله فيّ وفيهم أمره

وقضاءه؛ فحللني من عزمتك يا أمير المؤمنين ودعني في جندي». وقرأ عمر الكتاب فبكى. وهنا يسأله من حوله: أمات أبو عبيدة؟ فيجيب والدمع يخنقه: «لا وكان قد».

وقد مات أبو عبيدة في ذلك الطاعون بعد أيام!

لماذا فضل عمر أسامة على ابنه

فضل عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أسامة بن زيد في فرض العطاء على ولده عبد الله، فلم يزل الناس بعبد الله حتى كلم عمر فقال: أتفضل علي من ليس بأفضل مني؟ فرضت له ألفين، وفرضت لي في ألف وخمسمائة ولم يسبقني إلى شيء؟

فقال عمر: فعلت ذلك لأن زيد بن حارثة كان أحب إلى رسول الله ﷺ من عمر، وأن أسامة كان أحب إلى رسول الله ﷺ من عبد الله ابن عمر.

سيدي سبب جريمتي

تعلم واحد من الخدم السرقة من سيده، فما لبث أن سرقه. ولما سبق إلى المحكمة دافع عن نفسه بقوله: أطلب معاقبة سيدي فإنه كان سبب جريمتي!

فقال له القاضي: وكيف؟

قال: كنت خادماً أميناً، ولما رأيته يهضم حقوقي، ويستمرى عرق جبيني، ويقاسمني أجري، سرقت ماله!

أما هو فلقد سرق خلقي وأمانتي، فذنبه أثقل، ومعاقبته أوجب!

زوجة عمر تبيع الطيب

كان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يدفع إلى امرأته طيباً من

طيب المسلمين فتبيعه امرأته، فبايعت، فجعلت تقوم وتزيد وتنقص وتكسره بأسنانها فيعلق بأصبعها شيء منه فتمسح به على خمارها، فدخل عمر فقال: ما هذا الريح؟ فأخبرته بالذي كان.

قال: طيب المسلمين تأخذينه فتطيين به؟

فانتزع الخمار من رأسها، وأخذ جزء من ماء فجعل يصب الماء على الخمار ثم يدلكه في التراب ثم يشمه. ففعل ذلك ما شاء الله حتى ذهب ريحه.

فجعلت بعد ذلك إذا علق بأصبعها شيء مسحت به التراب.

الملك العالم

كان الملك (الأفضل) ينزل من قصره في قلعة (دمشق) يتأبط كتابه، ويأتي إلى دار أستاذه (الكندي) في درب (العجمي)، وربما تأخر الدرس الذي يتقدم درسه؛ فيتظر إلى أن تأتي نوبته!

انت وحدك المسؤول عن الناس

كان عبد الله بن عبد العزيز العمري (حفيد أمير المؤمنين عمر ابن عبد العزيز) يسعى في مكة بين الصفا والمروة، وكان (هرون الرشيد) ممن شهد الموسم ذلك العام، فأقبل الرشيد، فلما رقى درجات الصفا هتف به ابن عمه سليل بني أمية:

يا أمير المؤمنين، انظر بطرفك إلى البيت - ولم يكن يومئذ بين البيت وبين المسعى هذه الجدران القائمة - فالتفت الرشيد إلى الحرم المكي، وأجاب مخاطبه قائلاً:

قد فعلت.

قال العمري: كم من الناس ترى؟

قال الرشيد: ومن يحصيهماً إلا الله؟!

قال العمري: اعلم يا أمير المؤمنين أن كل واحد من هؤلاء يُسأل يوم القيامة عن خاصة نفسه، وأنت - وحدك - مسؤول عن الناس كلهم؛ فانظر كيف تكون..

فبكى (هرون الرشيد) بكاءً شديداً لم يبك مثله في حياته.

لست لك جنة من عذاب الله

كتب (عدي بن أرطاة) وقد كان عاملاً لعمر بن عبد العزيز كتاباً جاء فيه:

«أما بعد، فالعجب - كل العجب - من استئذائك إياي في عذاب البشر، كأنني جُنَّةٌ لك من عذاب الله، وكأنَّ رضاي ينجيك من سخط الله. إذا أتاك كتابي هذا: فمن أعطاك قبْلَه عفواً، وإلاً فاحلفه؛ فوالله لأن يلقوا الله بجنایاتهم أحبُّ إليَّ من أن ألقاه بعذابهم. والسلام».

لن أتخلى عن شبر واحد

قال السلطان عبد الحميد يرُدُّ على زعيم الصهيونية (هرتزل) عام ١٩٠١ م:

«إنني لا أستطيع أن أتخلى عن شبر واحد من الأرض؛ فهي ليست ملك يميني، بل ملك شعبي.. لقد ناضل في سبيل هذه الأرض، وروّأها بدمه، فليحفظ اليهود بملايينهم.. وإذا مزقت إمبراطوريتي يوماً فإنهم يستطيعون أن يأخذوا فلسطين بلا ثمن. أما وأنا حي، فإن عمل المبضع في بدني لأهون عليّ من أن أرى فلسطين قد بُيّرت من إمبراطوريتي، وهذا أمر لا يكون».

جوع الخليفة والدنيا بقبضته

دخل عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - بيته يوماً، وطلب من زوجته أن تطعمه، فأحضرت له شيئاً من الحلوى. فسأل زوجته:

من أين لك هذا؟

قالت: إني ادخرتُ من قوتنا في كل يوم شيئاً من الدقيق والسمن والعسل حتى توفر لي هذه وصنعتها.

قال عمر: هل كان ينقص شيء من قوتنا عندما كنت تدخرين؟

قالت: لا.

قال: فهذه إذن زيادة، فلا يحق لنا أن نأكلها، فقومي لبيت المال رديها. وقد ذكر حافظ إبراهيم هذه الحادثة فقال:

جوع الخليفة والدنيا بقبضته	في الزهد منزلة سبحان موليتها
يوم اشتهدت زوجه الحلوى فقال لها	من أين لي ثمن الحلوى فأشربها؟
وأقبلت بعد خمس وهي حاملة	درهيمات لتقضي من تشهيتها
ويلي على عمر يرضى بموفية	على الكفاف وينهى مستزديدها
ما زاد عن قوتنا فالمسلمون به	أولى فقومي لبيت المال رديها

فضلتني عليه

شكا يهودي علياً - رضي الله عنه - إلى عمر بن الخطاب في خلافته. فلما مثلا بين يديه، خاطب عمر اليهودي باسمه، بينما خاطب علياً بقوله (أبا الحسن) حسب عادته في خطابه معه، فظهرت آثار الغضب على وجه سيدنا علي... .

فقال عمر: أكرهت أن يكون خصمك يهودياً، وأن تمثل معه أمام القضاء على قدم المساواة؟

فقال علي: لا، ولكنني غضبتُ، لأنك لم تسوِّ بيني وبينه، بل

فضلتني عليه، إذ خاطبته باسمه، بينما خاطبتني بكنتيتي (أبا الحسن).

بشز صاحبك بسلام

خرج عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - في ليلة يتفقد أحوال الرعية فرأى بيتاً من الشعر، فدنا منه، فسمع فيه أنين امرأة، ورأى رجلاً قاعداً، فدنا منه، وسأله عن سبب الأنين، فقال له الرجل: امرأة تلد.

قال عمر: فهل عندها أحد؟

قال: لا.

فانطلق عمر إلى منزله، وقال لامرأته أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب: هل لك في أجر ساقه الله إليك؟

قالت: ما هو؟

قال: امرأة تلد، ليس عندها أحد.

قالت: إن شئت.

قال: خذي معك ما يصلح للمرأة، واثني بقدر وشحم وحبوب، فجاءته بها، فحمل القدر ومشت خلفه حتى أتى البيت، فقال لها: ادخلي على المرأة. ثم قال للرجل: أوقد لي ناراً، ففعل، فوضع القدر بما فيها، وجعل عمر ينفخ في النار ويضرمها، والدخان يخرج من خلال لحيته حتى أنضجها، وولدت المرأة، فقالت أم كلثوم:

بشز صاحبك بسلام يا أمير المؤمنين.

فلما سمعها الرجل تقول (يا أمير المؤمنين) ارتاع وخجل وقال: واخجلتاه منك يا أمير المؤمنين، أهكذا تفعل بنفسك؟

قال عمر: يا أبا العرب، مَنْ وَلِيَّ شَيْئاً مِنْ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ، يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَى كُلِّ صَغِيرٍ أَمْوَرَهُمْ وَكَبِيرِهَا؛ فَإِنَّهُ عَنْهَا مَسْئُولٌ، وَمَتَى غَفَلَ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ.

لا تضربوا المسلمين فتذلوهم

خاطب عمر بن الخطاب بعض رعيته قائلاً:

إني والله ما أبعث إليكم عمالي ليضربوا أبشاركم، ولا ليأخذوا من أموالكم، ولكني أبعثهم إليكم ليعلموكم دينكم وسنة نبيكم، فمن فعل به سوى ذلك فليرفعه إليّ، فوالذي نفسي بيده، لأقصنه منه.

فوثب عمرو بن العاص فقال: يا أمير المؤمنين، رأيت إن كان رجلٌ من المسلمين والياً على رعية فأدب بعضهم، إنك لتقتص منه؟

فقال: إي والذي نفسي بيده، لأقصنه منه، وقد رأيت رسول الله - ﷺ - يقص من نفسه. ألا لا تضربوا المسلمين فتذلوهم، ولا تمنعوا حقوقهم فتكفروهم، ولا تنزلوا بهم الغياض فتضيعوهم.

أنت أمّنتني

أراد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قتل (الهرمزان) أحد قادة الفرس الذين نكثوا العهد مرات، فطلب (الهرمزان) ماءً فأتي به، فأمسكه بيده واضطرب؛ فقال له عمر: «لا بأس عليك! إني غير قاتلك حتى تشربه».

وألقي (الهرمزان) القدح من يده، فأمر عمر بقتله، فقال: «ألم تؤمّني؟»

قال عمر: كيف أمّنتك؟

قال: «قلت: لا بأس عليك حتى تشربه، ولا بأس أمان، وأنا لم أشربه».

فقال عمر: «قاتله الله! أخذ أماناً ولم نشعر به».

قال أصحاب رسول الله - ﷺ -: صدق.

لا خير فيكم إذا لم تقولوها

قال رجل للخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - : اتق الله!
فقال رجل ممن حضر ذلك المجلس: أتقول لأمير المؤمنين
اتق الله؟

فأجابه سيدنا عمر: دعه يقلها؛ فلا خير فيكم إذا لم تقولوها
لنا، ولا خير فينا إذا لم نقبلها منكم.

أميرهم فقير

كان (سعيد بن عامر) من زهاد الصحابة وفضلائهم. وقد استدعاه
عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وعرض عليه ولاية (حمص) فأبى،
فقال له عمر: أتضعون خلافتكم وأمانتكم في عنقي ثم تتركونني؟ لا
والله، ولم يكن بدّ من الاستجابة. ومضى إلى (حمص) وزوجه، وراح
ينفق في وجوه الخير كلّ ما عنده، وتساءله زوجه عن ذلك فيجيبها بأن
أصحاب الرسول ﷺ قد لقوا ربهم على مثل سيرته، وأنه متمسك بسنة
الرسول ﷺ حتى يلقي ربه.

ولما قدم عمر إلى (حمص) أمرهم أن يكتبوا قائمة بأسماء
الفقراء، ورفعت القائمة إليه فإذا فيها اسم سعيد بن عامر! قال
الخليفة: من سعيد بن عامر؟

قالوا: أميرنا.

قال الخليفة: وأميركم فقير؟

قالوا: نعم.

قال: أين راتبه؟ أين رزقه وعطاؤه؟

قالوا: يا أمير المؤمنين، إنه لا يمسك شيئاً!

فبكى الخليفة، وأرسل إليه ألف دينار. ولما علم بذلك استولى

عليه الجزع والاضطراب، وسألته زوجته: هل حدث للخليفة حادث؟ لكنه كان يسترجع، وقد قال في النهاية: إنها فتنة الدنيا، ثم أرسل هذه الدنانير كلها للمجاهدين في سبيل الله.

جندي ينتصر لكرامته

دخل على الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - جندي يتفجّر غضباً، وقد أقبل من البحرين، وألقى في وجه سيدنا عمر ما كان في يده من الشعر قائلاً له: هكذا يفعل بنا عمّالك!

فتناثر الشعر على وجه سيدنا عمر وصدّره! فهذأه عمر، وأجلسه إلى جنبه، ثم التفت إليه بعد أن ظن أنه قد هدأ وسأله عما به، فرجع الرجل إلى غضبه، وقال له: عاملك على البحرين (أبو موسى الأشعري) أمر بحلق رأسي أمام الجند من غير ذنب اقترفته!

فقال له سيدنا عمر: إن كان الأمر على ما ذكرت، سنفعل به مثل ما فعل بك!

ثم التفت سيدنا عمر إلى جلسائه وقال: لأن يكون الجند كلهم كهذا الجندي في الانتصار لكرامته أحب إلي من كل ما فتحنا من أمصار!

عدلت فأمنت فنمت

لما جيء بـ (الهرمزان) أسيراً إلى (عمر بن الخطاب) - رضي الله عنه - ما كان عمر في منزله. فما زال الموكل بـ (الهرمزان) يقتفي أثر (عمر) حتى عثر عليه نائماً، متوسداً درته. فلما رآه (الهرمزان) قال: هذا هو الملك الهنيء: عدلت فأمنت فنمت، ولقد خدمت أربعة من ملوك الأكاسرة أصحاب التيجان فما هبت أحداً منهم هيبتي لصاحب هذه الدرّة.

لو قالها غيرك يا أبا عبيدة

خرج عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - إلى الشام ومعه (أبو عبيدة عامر بن الجراح) فأتيا على مخاضة - وعمر على ناقة له - فنزل وخلع خفيه، فوضعهما على عاتقه، وأخذ بزمام ناقته، فخاض في الماء؛ فقال له (أبو عبيدة):

يا أمير المؤمنين، أنت تفعلُ هذا؟! ما يسرُّني أن أهل البلد استشفروك!

فقال عمر: أوه! لو قال هذا غيرك - يا أبا عبيدة - لجعلته نكالاً لأمة محمد! إنا كنا أذلّ قومٍ فأعزّنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العزّ بغير ما أعزّنا الله أذلّنا الله!

شكوى من المسجد الأقصى

بعد معركة (حطين) أراد (صلاح الدين الأيوبي) أن يخلد إلى شيء من الراحة بعد التعب الشديد الذي عانى منه، لكن جاءت رسالة من أسير دمشق في القدس - طهرها الله - هذه الرسالة هي شكوى من المسجد الأقصى إلى المجاهد العظيم (صلاح الدين الأيوبي) وهي:

يا أيها الملك الذي لمعالم الصليبان نكس
جاءت إليك ظلامه تسعى من البيت المقدس
كل المساجد طهرت وأنا على شرفي مدنس
فسار - رحمه الله - من فوره، وحاصر القدس الشريف،
واسترجعها، كاتباً بذلك صفحة من أروع الصفحات في تاريخنا
الإسلامي.

اجعله في كفني

مرّ (عمر بن الخطاب) - رضي الله عنه - على الناس متستراً

ليتمرف أخبار رعيته، فرأى عجوزاً فسلم عليها وقال لها:

ما فعل عمر؟

قالت: لا جزاه الله عني خيراً!

قال: ولم؟

قالت: لأنه - والله - ما نالني من عطائه منذ ولي أمر المؤمنين دينار ولا درهم.

فقال لها: وما يدري عمر بحالك وأنت في هذا الموضع؟

قالت: سبحان الله! والله ما ظننتُ أن أحداً يلي عمل الناس ولا يدري ما بين مشرقها ومغربها.

فبكى عمر ثم قال: واعمرها! كل أحدٍ أفاقه منك حتى العجائز يا عمراً! ثم قال لها:

يا أمة الله، بكم تبيعيني ظلامتك من عمر؟ فإني أرحمه من النار.

قالت: لا تهزأ بنا يرحمك الله!

فقال لها: لست بهزءاً.. ولم يزل بها حتى اشترى ظلامتها بخمسة وعشرين ديناراً.

وبينما هو كذلك إذ أقبل (علي بن أبي طالب) و(عبد الله بن مسعود) - رضي الله عنهما - فقالا: السلام عليك يا أمير المؤمنين. فوضعت العجوز يدها على رأسها وقالت: واسواتاه أشتمتُ أمير المؤمنين في وجهه؟! فقال لها عمر: لا بأس عليك رحمك الله! ثم طلب رقعة يكتب فيها فلم يجد، فقطع قطعة من ثوبه وكتب فيها: «بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما اشترى عمر من فلانة ظلامتها منذ ولي إلى يوم كذا وكذا بخمسة وعشرين ديناراً، فما تدعي عند وقوفه في المحشر بين يدي الله تعالى: فعمر منه بريء» وشهد على ذلك

(علي بن أبي طالب) و(عبد الله بن مسعود)، ورفع عمر الكتاب إلى ولده وقال:

«إذا مات فاجعله في كفي؛ ألقى به ربي!»!

سوى الإسلام بينكما

كان (جبله بن الأيهم) - وهو أمير من أمراء الغساسنة - يطوف بالبيت، فوطيء إزاره شاب من فزارة، فالتفت إليه الأمير فلطمه؛ فرفع الشاب أمره إلى الخليفة (عمر بن الخطاب) - رضي الله عنه - ولمّا تبين أنّ الأمير ظلم الشاب بضربه بلا حق قال الخليفة للأمير: إما أن يلطمك مثلما لطمته، وإما أن تسترضيه. فجعل الأمير يسترضي الشاب، لكن الشاب أبى إلاّ القصاص، فما كان من هذا الأمير (جبله) إلاّ أن ارتدّ وهرب إلى الروم.

ونقف هنا وقفة قصيرة، فنرى أمير المؤمنين عمر يقضي بين أمير ورجل من عامة الناس، والأمير يتساءل قائلاً للخليفة:

كيف تسوي بيننا وأنا أمير وهو من عامة الناس؟

فيرد عليه الخليفة قائلاً:

لقد سوى الإسلام بينكما.

وقد ندم جبله على ردّته، وقال في ذلك شعراً، ومنه:

تنصرت الأشراف من عار لطمه	وما كان فيها - لو صبرت - لها ضرر
تكنفني فيها لججاج ونخوة	وكنت كمن باع الصحيحة بالعمور
فيا ليت أمني لم تلدني وليتني	رجعت إلى القول الذي قاله عمر
ويا ليتني أرعى المخاض بقفرة	وكنت أسيراً في ربيعة أو مضر
ويا ليت لي بالشام أدنى معيشة	أجالس قومي ذاهب السمع والبصر

عندي قوم أحادثهم

أرسل بعض الخلفاء في طلب عالم من العلماء ليسامرهم، فلما جاء الخادم إليه وجده جالساً وحواليه كتب، وهو يطالع فيها فقال له: إن أمير المؤمنين يستدعيك.

قال: قل له عندي قوم من الحكماء أحادثهم، فإذا فرغت منهم حضرت.

فلما عاد الخادم إلى الخليفة وأخبره بذلك قال له:

ويحك! من هؤلاء الحكماء الذين كانوا عنده؟

قال: والله - يا أمير المؤمنين - ما كان عنده أحد.

قال: فأحضره الساعة كيف كان.

فلما حضر ذلك العالم قال له الخليفة:

من هؤلاء الحكماء الذين كانوا عندك؟

قال له: يا أمير المؤمنين:

هم جلساء ما نعلم حديثهم

إذا ما خلونا كان خير حديثهم

يفيدوننا من علمهم علم ما مضى

فلا ريبة تخشى ولا سوء عشرة

فإن قلت أموات فلست بكاذب

فعلم الخليفة أنه يشير بذلك إلى الكتب، فلم ينكر عليه تأخره.

سيسألني ربي عنهم

لما فرغ عمر بن عبد العزيز من تشييع جنازة سلفه الخليفة سليمان بن عبد الملك عاد إلى داره مغتماً؛ فقال له موله:

مالي أراك مغتماً؟

فقال له عمر: لمثل ما أنا فيه فليغتم؛ ليس أحد من الأمة إلا وأنا أريد أن أوصل إليه حقه غير كاتب إليّ فيه ولا طالبه مني.. وبكى..

فدخلت عليه زوجته، فسألته عن سبب بكائه فقال:

قد وليت من أمر هذه الأمة ما وليت، فتفكرت في الفقير الجائع، والمريض الضائع، والعمري المجهود، واليتيم المكسور، والأرملة الوحيدة، والمظلوم المقهور، والغريب والأسير، والشيخ الكبير، وذوي العيال والمال القليل وأشباههم في أقطار الأرض وأطراف البلاد: فعلمتُ أن ربي سيسألني عنهم فبكيت.

إنما الطاعة في المعروف

روى البخاري عن عليّ قال:

بعث النبي - ﷺ - سريةً وأمر عليها رجلاً من الأنصار، وأمرهم أن يطيعوه، فغضب عليهم وقال: أليس قد أمر النبي - ﷺ - أن تطيعوني؟

قالوا: بلى.

قال: عزمت عليكم لما جمعتم حطباً وأوقدتم ناراً ثم دخلتم فيها؛ فجمعوا حطباً فأوقدوا، فلما هموا بالدخول، فقام ينظر بعضهم إلى بعض:

قال بعضهم: إنما تبغنا النبي - ﷺ - فراراً من النار، أفندخلها؟

فبينما هم كذلك، إذ خمدت النار، وسكن غضبه. فذكر ذلك للنبي - ﷺ - فقال:

لو دخلوها ما خرجوا منها؛ إنما الطاعة في المعروف.

انتظر ثيابي حتى تجف

دخل على الخليفة (عمر بن عبد العزيز) - رضي الله عنه - واحد من أقربائه فهالهُ ما رأى! لقد رآه لانثداً بركن مشمس من داره، متدثراً بإزار؛ فحسبه مريضاً فسأله:

ما الخطبُ يا أمير المؤمنين؟

فأجابه عمر: لا شيء.. إني أنتظر ثيابي حتى تجف.

عاد الزائر يسأل الخليفة - والدهشة البالغة تأخذ منه كل ماخذ -:

وما ثيابك يا أمير المؤمنين؟

قال عمر: قميص ورداء وإزار.

قال له الزائر: ألا تتخذُ قميصاً آخر ورداءً أو إزاراً؟

فأجابه: قد كان لي ذلك ثم تَمَزَّقَتْ.

قال: ألا تتخذ سواها؟

فِيُطْرَقُ عمر، وَيُجْهِشُ بالبكاء وهو يردد قول العليم الخبير:

﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجَعَهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا

وَالْمَقِيمَةَ لِلْمُنْفِقِينَ﴾ (٨٣) | [سورة القصص: ٨٣]

أتعبت من بعدك

قال أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - لعائشة حين حضرتها الوفاة: (يا بنية، إنا ولينا أمر المسلمين، فلم نأخذ لهم ديناراً ولا درهماً، ولكننا أكلنا من جريش طعامهم في بطوننا، ولبسنا من خشن ثيابهم على ظهورنا، وإنه لم يبق عندنا من فيء المسلمين قليل ولا كثير إلا هذا العبد الحبشي، وهذا البعير الناضح، وجرد هذه القطيفة: فإذا مت فابعثي بهنَّ إلى عمر. فجاءه الرسول وعنده عبد الرحمن بن عوف؛ فبكى عمر حتى سالت دموعه على الأرض وقال: رحم الله أبا

بكر لقد أتعبَ مَنْ بعده. ارفعهن يا غلام. فقال عبد الرحمن:

سبحان الله - يا أمير المؤمنين - تسلب عيال أبي بكر عبداً حبشياً، وبعيراً ناضحاً، وجزدَ قطيفة ثمنها خمسة دراهم؟

فقال: ما تأمر؟

قال: أمر بردهنَّ على عياله.

قال: خرج أبو بكر عنهن عند الموت وأردهنَّ أنا على عياله؟! لا يكون ذلك والله أبداً، الموت أسرع من ذلك).

هكذا كنا نحكم

قال عمر بن الخطاب يوماً على المنبر:

يا معشر المسلمين، ماذا تقولون لو ملتُ برأسي إلى الدنيا هكذا؟ وأمال رأسه.

فقام إليه رجل، فسألَ سِنِّه وقال:

كنا نقول بالسيف هكذا - وأشار إلى قطعه - فقال عمر: إياي تعني بقولك؟

قال: نعم إياك أعني بقولي... فنهره عمر ثلاثاً، وهو ينهر عمر، فقال عمر:

رحمك الله! الحمد لله الذي جعل في رعيتي من إذا تُعَوِّجَتْ قَوْمِي.

ما ألينه! ما أخشنه!

أمر عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه - رجلاً أن يشتري له كساءً بثمانية دراهم، فاشتراه له، فأتاه به، فوضع يده عليه وقال: ما ألينه! وأعجبه. فضحك الرجل فقال له عمر:

إني لأحسبك أحمق؛ أتضحك من غير شيء؟!!

قال: ما ذاك بي، ولكنك أمرتني قبل ولايتك أن أشتري لك مطرف خز؛ فاشتريت لك مطرفاً بثمانمائة درهم، فوضعت يدك عليه فقلت: ما أحسنه! وأنت اليوم تستلين كساءاً بثمانية دراهم؛ فعجبت من ذلك وأضحكني.

النصيحة والسعاية

قال رجل للخليفة المهدي: عندي نصيحة يا أمير المؤمنين.

فقال: لمن نصيحتك هذه؟ لنا أم لعامة المسلمين أم لنفسك؟

قال: لك يا أمير المؤمنين.

قال المهدي: ليس الساعي بأعظم عورة ولا أقبح حالاً ممن قبل سعائته، ولا تخلو من أن تكون حاسد نعمة؛ فلا نشفي غيظك، أو عدواً، فلا نعاقب لك عدوك! ثم أقبل على الناس فقال:

لا ينصح لنا ناصح إلا بما فيه الله رضىً وللمسلمين صلاح؛ فإنما لنا الأبدان وليس لنا القلوب، ومن استتر عتاً لم نكشفه، ومن بادأنا طلبنا توبته، ومن أخطأ أقلنا عشرته، فإني أرى التأديب بالصفح أبلغ منه بالعقوبة، والسلامة مع العفو أكثر منها مع المعاجلة، والقلوب لا تبقى لوالٍ لا يعطف إذا استعطف، ولا يعفو إذا قدر، ولا يغفر إذا ظفر، ولا يرحم إذا استرحم.

يا دنيا غري غيري

دخل (ضرار الصدائي) على (معاوية بن أبي سفيان) - رضي الله عنه - فقال له: يا ضرار، صِف لي علياً.

فقال: اعفني يا أمير المؤمنين.

قال: لتصفئه.

قال: أما إذ لا بُدُّ من وصفه، فكان - والله - بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلاً، ويحكم عدلاً، يتفجَّرُ العلمُ من جوانبه، وتنطق الحكمةُ من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل ووحشته، وكان غزير العبرة، طويل الفكرة، يعجبه من اللباس ما قَصُرَ، ومن الطعام ما خشن، وكان فينا كأحدنا، يجيئنا إذا سألناه، وينبئنا إذا استبأناه، ونحن والله - مع تقريبه إيانا وقربه منا - لا نكاد نكلِّمُهُ هيبَةً له.. يُعْظَمُ أهل الدين، ويقرَّبُ المساكين. لا يطمع القوي في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله. وأشهدُ لقد رأيتُه في بعض مواقفه وقد أرخى الليلُ سدوله، وغارت نجومه، قابضاً على لحيته، يتململ تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين، ويقول: يا دنيا غرِّي غيري.. إليَّ تعرَّضتِ أم إليَّ تشوَّقت؟ هيهات هيهات!! قد باينتكَ ثلاثاً لا رجعة فيها. فعمرك قصير، وخطرك حقير. آه من قلة الزاد، وبعد السفر ووحشة الطريق.

فبكى معاوية وقال: رحم الله أبا الحسن.. كان والله كذلك. فكيف حزنك عليه يا ضرار؟

قال: حزن من ذُبَحَ ولذَّها وهو في حجرها.

من يستطيع ذلك

قال سعيد بن عامر الجمحي - رضي الله عنه - لعمر بن الخطاب - رضي الله عنه :-

إني أريد أن أوصيك يا عمر.

قال: أجل، فأوصني.

قال: أوصيك أن تخشى الله في الناس، ولا تخشى الناس في الله، ولا يختلف قولك وفعلك، فإن خير القول ما صدقه الفعل، ولا تقض في أمر واحد بقضائين، فيختلف عليك أمرك وتزيغ عن الحق، وخُذْ بالأمر ذي الحجة تأخذ بالفلج - الفوز - ويُعِينُكَ اللهُ

ويُضلِّحُ رعينتك على يدك، وأقم وجهك وقضاءك لمن ولاك الله أمره من بعيد المسلمين وقريبهم، وأحبَّ لهم ما تحبُّ لنفسك وأهل بيتك، واکره لهم ما تكره لنفسك وأهل بيتك، وخض الغمرات إلى الحق، ولا تخف في الله لومة لائم.

فقال عمر: من يستطيع ذلك؟

فقال سعيد: مثلك، من ولأه الله أمر أمة محمد ﷺ ثم لم يحل بينه وبين الله أحد.

هارون الرشيد والأحمر

قال هرون الرشيد يوصي (الأحمر) معلم ولده الأمين:

«يا أحمر، إنَّ أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه، وثمره قلبه، فصَيَّرَ يَدَكَ عليه مبسوطه، وطاعته لك واجبة، فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين: أقرئه القرآن، وعرفه الأخبار، وروه الأشعار، وعلمه السنن، وبصّره بمواقع الكلام ويَدِّته، وامنعه من الضحك إلا في أوقاته، وخذه بتعظيم مشايخ بني هاشم إذا دخلوا عليه، ورفع مجالس القواد إذا حضروا مجلسه، ولا تمرنْ لك ساعة إلا وأنت مغتئم فائدة تفيده إياها من غير أن تحزنه فتميت ذهنه، ولا تمنع في مسامحته فيستحلي الفراغ ويألفه، وقومُه ما استطعت بالقرب والملاينة، فإن أباهما فعليك بالشدَّة والغلظة».

كيف لو رأيتني بعد ثلاثة في قبري

قال الجاحظ في كتابه (البيان والتبيين):

قال محمد بن كعب القرظي:

دخلتُ على (عمر بن عبد العزيز) في مرضه الذي مات فيه، فجعلتُ أحدُ النظر إليه، فقال لي: يا ابن كعب، مالك تُحدُّ النظر إليّ؟

قلت: لما نحل من جسمك، وتغيَّر من لونك.

قال: فكيف لو رأيتني بعد ثلثة في قبري، وقد سألت حدقتاي على وجنتي، وابتدر فمي وأنفي صديداً ودوداً، كنت والله أشد نكرة عليّ.. أعد عليّ حديثاً كنت حدثنيه عن عبد الله بن عباس.

قلتُ: سمعتُ عبد الله بن عباس يقول: كان رسولُ الله ﷺ يقول: «إنَّ لكلِّ شيءٍ شرفاً، وإنَّ أشرفَ المجالسِ ما استقبلَ به القبلة.

ومن أحبَّ أن يكون أعزَّ الناسِ فليتقِ الله،

ومن أحبَّ أن يكون أقوى الناسِ، فليتوكل على الله،

ومن أحبَّ أن يكون أغنى الناسِ فليكن بما في يدي الله أوثق منه بما في يديه...».

مثلك يكون سلطاناً

(محمد تغلق) حاكم من حكام المسلمين، حكم الهند سنة ٧٢٥ إلى ٧٥٢ هـ وقد عُرفَ بشدته هناك، يذكر عنه (ابن بطوطة) أنه كان يستجيب لطلب القاضي فيمشي على قدميه مجرداً من مظاهر السلطان حتى يحضر أمامه، فيستمع دعوى أقامها عليه رجل من كبار الهنود، لأنه قتل أخاه بغير حق؛ فيحكم عليه القاضي وينفذ حكمه.

وأعجب من هذا أن صبيّاً من أبناء الأمراء ادعى عليه أنه ضربه من غير موجب، ورفع أمره للقاضي، فحكم عليه بأن يرضيه وإلا أخذ بالقصاص. يقول (ابن بطوطة): فشاهدت يوماً وقد عاد لمجلسه، واستحضر الصبي وأعطاه عصاة وقال له: اضربني كما ضربتك، فأخذ الصبي العصاة وضربه بها إحدى وعشرين ضربة، حتى رأيت الكلاة (القلنسوة) قد طارت عن رأسه.

وذكر الأصفى في تاريخه أن تاجر خيل خاصم السلطان (يظفر الحليم الكجراني) عند القاضي، فخرج إليه ماشياً حتى إذا حضر عنده

ما غرنا منه إلا عمامته السوداء

خرج عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - ذات يوم من منزله على بغلة له شهباء، إذ جاء رجل على راحلة له فأناخها، فسأل عن عمر؛ فقيل له: خرج وهو راجع الآن. فأقبل عمر ومعه رجل يحادثه، فقيل للرجل: هذا عمر أمير المؤمنين. فقام إليه فشكا إليه (عدي بن أرطاة) في أرض له، فقال عمر:

أما - والله - ما غرنا منه إلا عمامته السوداء، أما إنني قد كتبتُ إليه فَضَّلْ عن وصيَّتي: إنه مَنْ أتاك بيَّنة على حق هو له فسَلِّمْه إليه، ثمَّ قد عثَّكَ إليَّ! فأمرَ عمر بردُ أرضه إليه، ثم قال له: كم أنفقت في مجيئك إليَّ؟

فقال: يا أمير المؤمنين، تسألني عن نفقتي، وأنت قد ردَّدت عليَّ أرضي وهي خيرٌ من مائة ألف؟

فقال عمر: إنما رددتُ عليك حقَّك، فأخبرني كم أنفقت؟

قال: ما أدري.

مكتبة أهد

قال: احزره.

قال: ستون درهماً.

فأمرَ له بها من بيت المال. فلما ولى صاح به عمر؛ فرجع، فقال له:

خذ هذه خمسة دراهم من مالي، فكلَّ بها لحماً حتى ترجع إلى أهلِكَ إن شاء الله.

ردُّ عليٍّ فأحياني أحياء الله

صعد (معاوية بن أبي سفيان) - رضي الله عنه - المنبر يوم الغمامة فقال في خطبته:

«إنما المال مالنا، والفيء فيثنا، فمن شئنا أعطيناه، ومن شئنا منعه». .

فسكت الناس كلهم ولم يجبه أحد. فلما كان في الجمعة الثانية قال مثل ذلك، فلم يجبه أحد. فلما كان في الجمعة الثالثة قال مثل مقالته؛ فقام إليه رجل ممن حضر المسجد فقال:

كلا... . إنما المال مالنا، والفيء فيثنا، فمن حال بيننا وبينه حاكمناه إلى الله بأسيافنا.

فنزل معاوية - رضي الله عنه - فأزسَلَ إلى الرجل فأدخله، فقال القوم: هَلَكَ الرجل. ثم دخل الناس فوجدوا الرجل معه على السرير، فقال معاوية للناس:

إنَّ هذا الرجل أحياني أحياء الله! سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «سيكون بعدي أمراء يقولون ولا يُرَدُّ عليهم، يتقاحمون في النار كما تتقاحم القرودة».

وإني تكلمتُ أوَّل جمعة، فلم يرِدْ عليَّ أحد، فخشيتُ أن أكون منهم... . ثم تكلمتُ في الجمعة الثانية، فلم يرِدْ أحدٌ عليَّ، قلتُ في نفسي: إني من القوم، ثم تكلمتُ في الجمعة الثالثة، فقام هذا الرجل فرَدَّ عليَّ فأحياني أحياء الله!

عمر يتحدَّث إلى أهله

كان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - إذا نهى الناس عن شيء جمَعَ أهله وأقرباءه وقال: إني نهيتُ الناس عن كذا وكذا، وإنَّ الناس ينظرون إليكم كما ينظر الطير إلى اللحم: فإن وقعتم وُقِعُوا، وإن هبتم هابوا، وإني - والله - لا أوتى برجل منكم وقع فيما نهيتُ الناس عنه إلا ضاعفتُ له العذاب لمكانه مني، فمن شاء منكم فليتقدّم، ومن شاء فليتأخر.

من أين لك هذا؟!

صادر عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أموال عامله (الحارث ابن وهب الليثي) وقال له :

ما قلاص وأعبُد بِعَتَا دینار؟

قال: خرجتُ بنفقةٍ فاتَّجرتُ فيها.

قال: إنا والله ما بعثناك للتجارة، أدها!

قال: أما والله لا أعمل لك بعدها.

فقال عمر: أنا والله لا أستعملك بعدها!!

أن تفتقروا خير من دخولي النار

دخل مَسْلَمَةُ بن عبد الملك على عمر بن عبد العزيز في مرضه الذي مات فيه فقال له :

يا أمير المؤمنين، إنك فطمت أفواه ولدك عن هذا المال، وتركتهم عالة، ولا بدُّ لهم من شيء يصلحهم، فلو أوصيت بهم إليّ، أو إلى نظرائك من أهل بيتك لكفيتك مؤونتهم إن شاء الله.

فقال عمر: أجلسوني؛ فأجلسوه فقال:

الحمد لله، أبا الله تخوفني يا مَسْلَمَةُ؟

أما ما ذكرت من أني فطمت أفواه ولدي عن هذا المال، وتركتهم عالة، فإني لم أمنعهم حقاً هو لهم، ولم أعطهم حقاً هو لغيرهم.

وأما ما سألت من الوصاة إليك، أو إلى نظرائك من أهل بيتي، فإنَّ وصيَّتي بهم إلى الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين. وإنما بنو (عمر) أحد رجلين: رجل اتقى الله، فجعل الله له من أمره يسراً، ورزقه من حيث لا يحتسب، ورجل غيَّرَ وفجر، فلا يكون (عمر) أول

من أعانه على ارتكابه الآثام.. ادعوا إليّ بنيّ... .

فدعوهم وهم يومئذ اثنا عشر غلاماً.

فجعل يُصَعِّدُ بصره فيهم ويُصَوِّبُهُ - حتى اغرورقت عيناه بالدمع

ثم قال: بنفسى فتية تركتهم ولا مال لهم!

يا بنيّ، إني قد تركتكم من الله بخير، إنكم لا تمرون على

مسلم ولا معاهد إلا ولكم عليه حق واجب إن شاء الله.

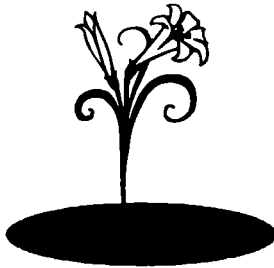
يا بني، لقد أدت رأبي بين أن تفتقروا في الدنيا، وبين أن

يدخل أبوكم النار؛ فكان أن تفتقروا إلى آخر الأبد خيراً من دخولكم

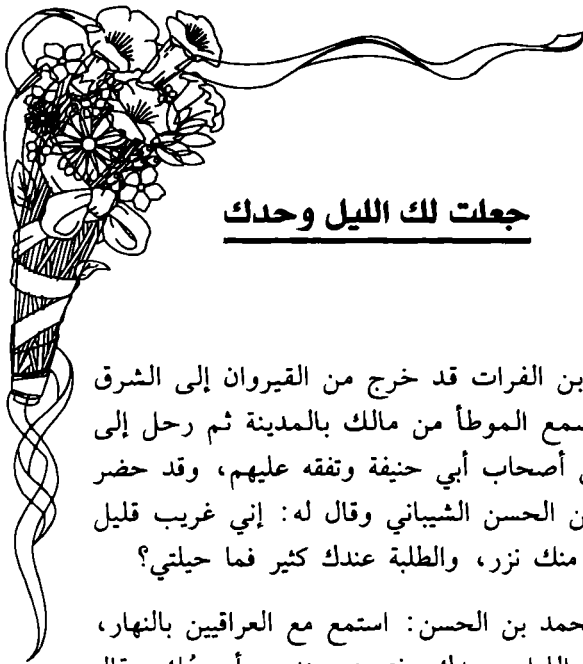
وأبيكم يوماً واحداً في النار... قوموا يا بنيّ عصمكم الله ورزقكم... .

قال: فما احتاج أحدٌ من أولاد عمر ولا افتقر... .

الباقية الثانية
حكايات العلماء المسلمين







جعلت لك الليل وحدك

كان أسد بن الفرات قد خرج من القيروان إلى الشرق سنة ١٧٢ هـ فسمع الموطأ من مالك بالمدينة ثم رحل إلى العراق فسمع من أصحاب أبي حنيفة وتفقه عليهم، وقد حضر مجلس محمد بن الحسن الشيباني وقال له: إني غريب قليل النفقة، والسماع منك نزر، والطلبة عندك كثير فما حيلتي؟

فقال له محمد بن الحسن: استمع مع العراقيين بالنهار، وقد جعلت لك الليل وحدك، فتبيت عندي وأسمعك. قال أسد: وكنت أبيت عنده وينزل إلي، ويجعل بين يديه قدحاً فيه الماء، ثم يأخذ في القراءة، فإذا طال الليل ونعست، ملأ يده ونفح وجهي بالماء فأنتبه، فكان ذلك دأبه ودأبي حتى أتيت على ما أريد من السماع عليه!!

خير لكم أن لا تتعرضوا للأمة

هدد المندوب الفرنسي في الجزائر - أيام جهادها - الشيخ عبد الحميد الجزائري بإغلاق المسجد إذا لم ينقطع عن التدريس فأجابه:

لا تستطيع!

قال: وكيف؟

فقال: إذا كنت في عرس علمت المحتفلين، وإذا كنت في ماتم

وعظت المعزين، وإن جلست في قطار علّمت المسافرين، وإن دخلت السجن أنزت المسجونين. وإن قتلتموني التهبت مشاعر المواطنين. وخير لكم ألا تتعرضوا للأمة في دينها ولغتها.

لا أدري

قال الإمام مالك: «سمعت ابن هرمز يقول: ينبغي أن يورث العالم جلساءه قول لا أدري، حتى يكون ذلك أصلاً في أيديهم يُهرعون إليه فإذا سئل أحدهم عما لا يدري قال لا أدري...».

فيم التخلص من الناس

كان حاتم البلخي مشهوراً بالزهد والتقوى، ومما يروى عنه أنه لما جاء إلى بغداد أراد أن يلقي الإمام أحمد بن حنبل، فمضى إليه واستقبله ابن حنبل ببشاشة ورحب به، وبعد حين قال له: أخبرني يا حاتم فيم التخلص من الناس؟ فقال حاتم: يا أبا عبد الله في ثلاث خصال: أن تعطيهم مالك ولا تأخذ من مالهم شيئاً، وتقضي حقوقهم ولا تستقضي منهم حقاً، وتحمل مكروههم ولا تكره أحداً منهم على شيء.

فأطرق ابن حنبل هنيهة ثم رفع رأسه وقال: يا حاتم، إنها لشديدة.

فقال حاتم: وليتك تسلم، وليتك تسلم، وليتك تسلم!

ينادي على خطئه

أفتى الشيخ العز بن عبد السلام مرة بشيء، ثم ظهر له أنه أخطأ، فنادى في القاهرة على نفسه: من أفتى له ابن عبد السلام بكذا فلا يعمل به فإنه أخطأ!

من صبر العلماء

قال يحيى بن معين: لما خرجنا أنا والإمام أحمد بن حنبل إلى عبد الرزاق بصنعاء اليمن حججنا، فبينما أنا بالطواف إذا بعبد الرزاق في الطواف، فسلمتُ عليه وقلت له: هذا أحمد بن حنبل أخوك فقال: حيَّاه الله وثبَّته، فإنه بلغني عنه كل جميل، فقلت لأحمد: قد قرَّب الله خطانا، ووفر علينا النفقة، وأراحنا من مسيرة شهر. فقال أحمد: إني نَوَيْتُ ببغداد أن أسمع من عبد الرزاق بصنعاء، والله لا غَيَّرْتُ نِيَّتِي. قال يحيى: فلما خرجنا إلى صنعاء نفدت نفقة أحمد، فعرض علينا عبد الرزاق دراهم كثيرة فلم يقبلها، فقال له: اقبلها على وجه القرض، فأبى. وعرضنا عليه - أي على أحمد - نفقاتنا فلم يقبل، فاطلعنا عليه، وإذا به يعمل التلكك ويفطر على ثمنها!!

اتق الله

دخل عطاء بن أبي رباح على عبد الملك بن مروان وهو جالس على سريره وحواليه الأشراف من كل بطن، فلما بصر به قام إليه وأجلسه معه على السرير وقعد بين يديه وقال له: ما حاجتك يا أبا محمد؟

فقال عطاء: يا أمير المؤمنين، اتق الله في حرم الله وحرَم رسوله فتعاهده بالعمارة، واتق الله في أولاد المهاجرين والأنصار فإنك بهم جلست هذا المجلس، واتق الله في أهل الثغور فإنهم حصن المسلمين وتفقَّد أمور المسلمين فإنك وحدك المسؤول عنهم، واتق الله فيمن على بابك فلا تغفل عنهم، ولا تغلق بابك دونهم. فقال عبد الملك: أجل أفعلُ إن شاء الله!

فنهض عطاء، فقبض عليه عبد الملك وقال له: يا أبا محمد، إنما سألتنا حاجة لغيرك وقد قضيناها فما حاجتك أنت؟ فقال: مالي إلى مخلوق حاجة، ثم خرج.

فقال عبد الملك: هذا وأبيك الشرف!!

الأوزاعي وطلاب العلم

روى الوليد بن مسلم قال: شِيعْنَا الأوزاعي وقت انصرافنا من عنده، فأبعد في تشييعنا؛ فمشى معنا فرسخين أو ثلاثة، فقلنا له: أيها الشيخ، يصعب عليك المشي على كبر السن! قال: امشوا واسكتوا، لو علمت أن الله طبقةٌ أو قوماً يباهي بهم أفضل منكم لمشيت معهم وشيعتهم، ولكنكم أفضل الناس.

تحبب إلى عباد الله

قال أبو دهمان لسعيد بن مسلم وقد وقف ببابه يطلب الإذن بالدخول فحجبه حيناً ثم أذن له، فلما مثل بين يديه قال: إن هذا الأمر الذي صار إليك وفي يدك قد كان في يد غيرك، فأمسى - والله - حديثاً: إن خيراً فخير وإن شراً فشر، فتحبب إلى عباد الله بحسن البشر، وتسهيل الحجاب، ولين الجانب فإن حب عباد الله موصول بحب الله، وبغضهم موصول ببغض الله، لأنهم شهداء الله على خلقه، ورقبأوه على من اعوج عن سبيله!!

طاعة المحبة أفضل

أراد الخليفة المهدي العباسي أن يغزو أهل الشام لخطأ ارتكبه فقال له (ابن خريم): يا أمير المؤمنين، عليك بالتجاوز والعفو عن المسيء فلأن تطيعك العرب طاعة محبة خير لك من أن تطيعك طاعة خوف!

الأجرة على التحديث

قال الأمير الصنعاني في (توضيح الأفكار ٢/٢٥٤): «ومن

العلماء من رخص في أخذ الأجرة على التحديث، منهم أبو نعيم الفضل بن دكين شيخ البخاري وأحمد وإسحاق بن راهويه وابن المبارك وخلق كان يأخذ العوض على التحديث بحيث أنه كان إذا لم يكن مع الطلبة دراهم صحاح بل مكسورة أخذ صرفها - أي الفرق الذي يكون بين القطع الصغيرة والكبيرة - وكان يقول: يلوموني على الأخذ وفي بيتي ثلاثة عشر إنساناً وما في بيتي رغيف!!

كلكم طالب صيد

كان عمرو بن عبيد من كبار الزهاد المشهورين المعروفين، وقد دخل يوماً على أبي جعفر المنصور وعنده ابنه المهدي فقال المنصور لعمرو:

(هذا ابنُ أمير المؤمنين، وولي عهد المسلمين، ورجائي أن تدعو له)!

فقال: يا أمير المؤمنين، أراك قد رضى له أموراً يصير إليها وأنت عنه مشغول! فاستغبر أبو جعفر. ثم قال عمرو بن عبيد: يا أمير المؤمنين، إن الله أعطاك الدنيا بأسرها؛ فاشتر نفسك منه ببعضها، هذا الذي أصبح في يديك لو بقي في يد مَنْ كان قبلك لم يصل إليك.

فقال أبو جعفر: أعني بأصحابك - وكان لعمرو مئآت من الأتباع الفضلاء - قال: ارفع علمَ الحق يتبعك أصحابه. ثم خرج فأتبعه أبو جعفر بصرة دراهم، فلم يقبلها عمرو منه، فجعل أبو جعفر يقول:

كلكم يمشي رويد كلكم طالب صيد
غير عمرو بن عبيد

أبو يوسف يصف أبا حنيفة

سأل الخليفة هرون الرشيد الإمام أبا يوسف عن أخلاق الإمام أبي حنيفة فقال: كان - والله - شديد الدفاع عن حرمة الله، مجاناً

لأهل الدنيا، طويل الصمت، دائم الفكر، لم يكن مهذاراً ولا ثرثاراً، إن سُئِلَ مسألة كان له فيها علم أجاب، وما علمته - يا أمير المؤمنين - إلا صائناً لنفسه ولدينه، مشتغلاً بنفسه عن الناس، لا يذكر أحداً إلا بخير.

فقال الرشيد: هذه أخلاق الصالحين.

أتيت لآخذ علمك لا للفيل

روي أنه حضر فيل في المدينة المنورة، وكان مالك بن أنس يُدرّس في المسجد، فقال قائل: حضر الفيل! فقام تلاميذ مالك ينظرون إلى الفيل وتركوه إلا يحيى بن يحيى الليثي الأندلسي؛ فقال له مالك: لِمَ لم تخرج لترى هذا الخلق العجيب، وليس في بلادك؟ قال: إنما أتيت لآخذ علمك ولم آت لأنظر إلى الفيل!

كتاب صنفته لله

صنف أبو غالب المعروف بابن التياني (٤٣٦ هجرية) كتاباً جليلاً في مدينة: مرسية بالأندلس. ولما علم أميرها أبو الجيش مجاهد العامري به أرسل إلى ابن التياني ألف دينار أندلسي مع كسوة على أن يزيد في الكتاب عبارة «مما ألقه تمام بن غالب لأبي الجيش مجاهد» لكن هذا العالم ردّ الدنانير والكسوة وقال:

«كتاب صنفته لله ولطلبة العلم أصرفه إلى اسم ملك! هذا والله ما لا يكون أبداً». وبذلك زاد التياني في عين مجاهد، وعظم في صدور الناس!!.

لا يستطاع العلم براحة الجسد

قال ابن أبي حاتم: «كنا بمصر سبعة أشهر لم نأكل فيها مَرَقَةً، نهارنا ندور على الشيوخ، وبالليل ننسخ ونقابل، فأتينا يوماً أنا ورفيق

لي شيخاً فقالوا: هو عليل، فرأيت سمكةً أعجبتنا فاشتريناها، فلما صرنا إلى البيت حضر وقت مجلس بعض الشيوخ فمضينا، فلم نزل السمكة ثلاثة أيام، وكادت تنتن؛ فأكلناها نيئةً لم نتفرغ نشويها، ثم قال: لا يُستطاع العلم براحة الجسد!

دعوة المظلوم سهم صائب

لما اشتد المرض على المعتصم جاء أحمد بن أبي دؤاد القاضي يزوره، وبعد أن جلس رأى الموت بين عينيه، وأنه في أواخر ساعاته، ولم يلبث أن شكى إليه المعتصم ما يلقي من الألم؛ فقال له أحمد: يا أمير المؤمنين إن في السجون آفاً من الأبرياء، وهم وأهلهم يدعون عليك، ودعوة المظلوم سهم صائب، فلو أطلقتهم لانقلبت هذه الألسنة بالدعاء لك، فأمر المعتصم بإطلاقهم، فقال أحمد: يا أمير المؤمنين، إنهم يعودون إلى أهلهم صفر الأيدي ما معهم من شيء، فلو أمرت أن ترد عليهم أموالهم، ويعطوا العطايا؛ فأمر لهم بذلك.

أسوأ هذا الجمع

قال ابن المبارك: جنت إلى سفیان الثوري عشية عرفة وهو جاث على ركبتيه وعيناه تذرفان الدمع فقلت له: من أسوأ هذا الجمع حالاً؟ قال: الذي يظن أن الله لا يغفر له!

اعترض على تصرف السلطان

في سنة ١١٤٨ أصدر السلطان أمراً بإبطال بعض المرتبات التي كانت تصرف في وجوه البر العامة. فلما قرى على العلماء المرسوم الصادر بذلك قال الشيخ سليمان المنصوري معترضاً على تصرف السلطان: «إن ذلك لا يُسَلَّم له، ويخالف أمره؛ لأنه مخالف للشرع، ولا يُسَلَّم للإمام في فعل يخالف الشريعة».

ولم تجد الحكومة بدأ - أمام هذه الفتوى الجريئة التي تمسك بها العلماء - من أن تعدل عما عَزَمَتْ عليه!!

وفي السماء رزقكم وما توعدون

عقد الحافظ ابن الجوزي - رحمه الله - في كتابه (مناقب الإمام أحمد بن حنبل) باباً لذكر جماعة من العلماء لم يجيبوا في محنة (مسألة خلق القرآن) فذكر منهم (عفان بن مسلم) شيخ البخاري. فإنه لما دُعي عفان بن مسلم للمحنة عُرض عليه القول بخلق القرآن فامتنع أن يجيب، فقيل له: يُخْبَسُ عطاؤك، وكان يعطى في كل شهر ألفي درهم فقال: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ (٢٢). فلما رجع إلى داره لاهه نساؤه وَمَنْ في داره، وكان في داره نحو أربعين إنساناً.

فدق عليه داقُ الباب، فدخل عليه رجل، كأنه سَمَان أو زِيَات ومعه كيس فيه ألفُ درهم، فقال: يا أبا عثمان، ثَبَّتَكَ اللهُ كما ثَبَّتَ الدين وهذا لك في كل شهر!!

على قدر هيبتك يخافك الخلق

دخل محمد بن سليمان أميرُ البصرة على حماد بن سلمة عالمها، وقعد بين يديه يسأله:

يا أبا سلمة، مالي كلما نظرتُ إليك ارتعدتُ فرقاً - خوفاً - منك؟

قال حماد: لأن العالم إذا أراد بعلمه وجه الله خافه كل شيء، وإن أراد أن يكثر به الكنوز خاف من كل شيء!
ومما يروى في هذا السبيل قول بعضهم:

على قدر هيبتك لله يخافك الخلق، وعلى قدر محبتك لله يحبك الخلق، وعلى قدر اشتغالك بالله فتشغل الخلق بأشغالك.

المشار إليه خمسة أمور

رأى المنصور في منامه ملك الموت فسأله: كم بقي لي من العمر؟ فأشار إليه بأصابعه الخمس، فانتبه مذعوراً. ثم سأل عن تأويل رؤياه؟ فقبل له: خمسة أعوام، وقيل: خمسة شهور، وقيل: خمسة أيام، وأخيراً سأل أحد العلماء فقال: المشار إليه خمسة أمور انفرد الله بعلمها وهي: «إن الله عنده علم الساعة، ويُنزل الغيث، ويعلم ما في الأرحام، وما تدري نفس ماذا تكسب غداً، وما تدري نفس بأي أرض تموت».

ليست النائحة كالشكلى

قال عمر بن أبي ذر لأبيه:

مالك إذا تكلمت أبكيت الناس، فإذا تكلم غيرك لم يبكيهم؟

قال أبو ذر: يا بني، ليست النائحة الشكلى مثل النائحة المستأجرة.

ما حجتك عند الله

خرج الشيخ عز الدين بن عبد السلام إلى القلعة في يوم عيد فشاهد الجنود مصطفين بين يدي السلطان نجم الدين، وقد خرج على قومه في زينته، وأخذ الأمراء يقبلون الأرض فناده الشيخ بأعلى صوته: يا أيوب! ما حجتك عند الله إذا قال لك: ألم أبوء لك ملك مصر ثم تبيع الخمور؟ فقال الملك: هل جرى هذا؟ فقال الشيخ: نعم، الحانة الفلانية تباع فيها الخمور، وغيرها من المنكيات وأنت تتقلب في نعمة هذه المملكة؟ قال الملك: يا سيدي، هذا ما أنا عملته، هذا من زمان أبي! فقال الشيخ: أنت من الذين يقولون: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾ فأمر الملك بإغلاقها فوراً! فلما عاد الشيخ إلى مدرسته قال له احد تلاميذه: لم فعلت ذلك، وكان يسعك

نصحه بينك وبينه؟ فقال: يا بني، لقد رأيت في تلك العظمة فأردت أن أهينه لئلا تكبر عليه نفسه فتؤذيه. قال التلميذ: يا سيدي أما خفته؟ قال العز: لقد استحضرت هيبة الله تعالى إذ خاطبته فصار السلطان أمامي كالقط!

جمعوا له مالاً ليشتري ثوباً

قال عمر بن حفص الأشقر: فقدنا البخاري أياماً من كتابة الحديث بالبصرة، فطلبناه فوجدناه في بيت وهو عريان، وقد نفذ ما عنده ولم يبق معه شيء، فاجتمعنا، وجمعنا له الدراهم، حتى اشترينا له ثوباً وكسونه، ثم اندفع معنا في كتابة الحديث.

يُقتل ولا يأكل

قال وهب بن منبه: إن ملكاً كان يحمل الناس على أكل لحم الخنزير، فأنتي بأفضل أهل زمانه ليأكله، ورق له صاحب الطعام؛ فوضع له جدياً مكانه؛ فأبى العالم أن يأكله مع هذا.

ولما أمر الملك بقتله قال له الشرطي: ما منعك أن تأكل منه وهو لحم جدي؟ قال: خِفْتُ أَنْ يُفْتَنَ النَّاسَ بِي، فَإِنْ أَكْرَهُوا عَلَيَّ أَكَلْ قَالُوا: قَدْ أَكَلَهُ فِلَانٌ فَيَسْتَتُونُ بِي (لأنهم لا يعلمون أنه لحم جدي) وأكون فتنة لهم فقتل رحمه الله.

أتبنون بكل ربيع آية تعبتون

لما بنى الناصر مدينة الزهراء في الأندلس واستغرق في تنميقها وإتقان قصورها، وانهمك حتى تعطل مرة عن شهود الجمعة في المسجد الجامع بقرطبة، وحضر لصلاة الجمعة بعد افتتاح الزهراء، قام قاضي قرطبة (منذر بن سعيد) يخطب فافتتح خطبته بقوله تعالى: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رَيْبٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٧٨﴾ وَتَتَخِدُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلَدُونَ ﴿١٧٩﴾

وإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبْرِينَ ﴿١٢٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٢١﴾ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَمِ رِيحٍ ﴿١٢٣﴾ وَحَسَّتِ وَعْيُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنَّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٢٥﴾ ومضى في ذم تشييد البنائيات والإسراف في الإنفاق عليها. فعلم الخليفة أنه المقصود من ذلك فبكى وندم، إلا أنه وجد على منذر في نفسه، وشكى ذلك لولده الحكم وقال: والله لقد تعمّدني منذر بخطبته وأسرف عليّ وأفراط في تقريعي، ثم أقسم ألا يصلي الجمعة خلفه؛ ولزم الصلاة وراء أحمد بن مطرف، فقال له الحكم: ما يمنعك من عزل منذر إذ كرهته؟ فزجره وقال له: أمثل منذر بن سعيد في فضله وعلمه وخيره - لا أم لك - يعزل لإرضاء نفس سالكة غير القصد ناكبة عن الرشد؟ هذا ما لا يكون وإني لأستحيي من الله ألا أجعل بيني وبينه شفيعاً مثل منذر في ورعه وصدقه ولكنه أخرجني فأقسمت، ولوددت أني أجد سبيلاً إلى كفارة يميني بملكي بل يصلي بالناس حياته وحياتنا - إن شاء الله - فما أظننا نعتاض عنه أبداً.

الأمر جد فجد

دخل عطاء بن أبي رباح على الوليد بن عبد الملك يوماً وعنده عمر بن عبد العزيز، فلما دنا عطاء من الوليد قال: السلام عليك يا وليد! فغضب الوليد لأنه لم يسمه بأمره المؤمنين، فقال له: اجلس.

فأقبل عطاء عليه يحدثه فكان فيما حدثه به عطاء أنه قال: بلعنا أن في جهنم وادياً يقال له هيب أعدّه الله لكل إمام جائر في حكمه؛ فصعق الوليد من قوله؛ فقال عمر بن عبد العزيز - وكان جالساً - قتلت أمير المؤمنين! فقبض عطاء على ذراع عمر، وغمزه غمزة شديدة وقال له: يا عمر، إن الأمر جد فجد. ثم قام عطاء وانصرف!!

يعز علي فراقكم

ضاقت المعيشة على النضر بن شمیل البصري بالبصرة. فخرج يريد خراسان فشيَّعه من أهل البصرة نحوً من ثلاثة آلاف رجل، ما فيهم إلا محدث أو نحوي أو لغوي أو إخباري أو عروضي. فلما صار بالمربد جلس وقال: يا أهل البصرة، يعزُّ عليَّ فراقكم! والله لو وجدت كل يوم كيلجة باقلاء ما فارقتكم.

ماذا يصنع بي أعدائي

لما ألقى شيخ الإسلام ابن تيمية في سجن القلعة بدمشق ظلَّ فيه عاماً وبضعة أشهر، وقد تمت محاولة لإخراجه من السجن مقابل أن يتخلى عن بعض آرائه فأبى وكان يقول:

ما يصنع بي أعدائي؟ إن جئتني وبستاني في صدري أين رحمت: فجنتي معي لا تفارقتي، إنَّ حبسي خلوة، وإخراجي من بلدي سياحة، وقتلي شهادة.

أنتم في واد وأنا في واد

كان الشيخ عز الدين بن عبد السلام من أشهر علماء عصره، وكان قاضي القضاة في عهد الملك الصالح سلطان دمشق، فبلغه أن الملك الصالح اصطلع مع الإفرنج الصليبيين ليعينوه على أخيه سلطان مصر نجم الدين أيوب، وأعطاهم لقاء ذلك (صيदा) وغيرها من حصون المسلمين، ودخل الإفرنج دمشق لشراء السلاح فشقَّ على الشيخ ابن عبد السلام وأفتى الناس بتحريم مبايعتهم، لأنهم يقاتلون به المسلمين وكان يخطب الجمعة في مسجد بني أمية، فكان من دعائه في الخطبة:

(اللهم أبرم لهذه الأمة أمراً رشداً، تعز فيه وليك، وتذل فيه عدوك، ويعمل فيه بطاعتك، وينهى فيه عن معصيتك) والناس يبتهلون في الدعاء والتأمين، فغضب السلطان لذلك، فعزله من القضاء، واتجه

الشيخ إلى مصر مهاجراً. وشق ذلك على أهل دمشق، حتى خشي السلطان ثورتهم بسببه، فأرسل إليه من يقول:

(إن السلطان عفا عنك، وردك إلى عملك، على أن تنكسر له وتقبل يده). فما كان من الشيخ إلا أن قال لرسول السلطان:

يا مسكين! والله ما أرضى أن يقبل - هو - يدي، فكيف أقبل يده؟! يا قوم، أنتم في واد وأنا في واد، والحمد لله الذي عافاني مما ابتلاكم به!!

سلني حاجة

حجّ هشام بن عبد الملك أيام خلافته، فدخل الكعبة، فوجد فيها سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب - رضي الله عنهم جميعاً - فقال الخليفة: يا سالم، سلني حاجة!

فقال سالم: إني لأستحي من الله أن أسأل في بيته غيره!

فلما خرج سالم من الكعبة خرج هشام في إثره وقال له:

الآن خرجت من بيت الله؛ فسلني حاجة.

فقال سالم: من حوائج الدنيا أم من حوائج الآخرة؟

قال هشام: من حوائج الدنيا!

فقال سالم: إني ما سألت الدنيا من يملكها، فكيف أسألها من

لا يملكها؟!

لم لا تجيء إلي

سأل السلطان عليّ بن الحسين النيسابوري:

لم لا تجيء إليّ؟

فأجابه: أردت أن تكون خير الملوك؛ إذ تزور العلماء، ولا

أكون شرّ العلماء؛ فأزور الملوك!

العلم العلم

سئل عبد الله بن المبارك: لو أن الله أوحى إليك: تموت العشية، فماذا تصنع اليوم؟
فقال: أقوم واطلبُ العلم!

سُرقت ثيابي

قال علي بن الجهم: كان لنا جار، فأخرج إلينا كتاباً، فقال: أتعرفون هذا الخط؟ قلنا: هذا خط أحمد بن حنبل، فكيف كتب لك؟
قال: كنا بمكة، مقيمين عند شيبان بن عيينة، ففقدنا أحمد أياماً، ثم جئنا لنسأل عنه، فإذا الباب مردود عليه. فقلت: ما خبرك؟
قال: سُرقت ثيابي! فقلت: معي الدنانير، فإن شئت صلة وإن شئت قرصاً، فأبى! فقلت: تكتب لي بأجرة؟ قال: نعم. وأخرجتُ ديناراً فقال لي: اشتر لي ثوباً، واقطعهُ نصفين: إزاراً ورداء، وجثني بورق. ففعلت، وجئت بورق فكتب لي هذا!!

تربية الصحابة

قيل إن عثمان بن عفان - رضي الله عنه - دخل على عبد الله بن مسعود يعوده في مرضه الذي مات فيه، فقال له: ما تشتكي؟
قال: ذنوبي.

قال عثمان: فما تشتهي؟

قال: رحمة ربي.

قال: أفلا ندعو لك بطبيب؟

قال: الطيب أمرضني .

قال: أفلا نأمر لك بعطاء؟

قال: لا .

قال: يكون لبناتك من بعدك .

فقال ابن مسعود: لا حاجة لهن به، وقد تركتهن لخالفهن، فهو

عليم بأحوالهن!!

زهد الآلوسي

قال الأب (انستاس الكرمللي) يصف زهد عالم العراق السيد

(محمود شكري الآلوسي) - رحمه الله :-

«رأيت بعد الاحتلال يلبسُ حذاءً من أحذية جند الإنكليز، وكانت

تباع رخيصةً؛ فقلت له:

يا مولاي! أراك تلبس في رجلك ما لم يرد أن يلبسه جنود

الإنكليز أنفسهم، لضخامة هذه الأحذية، وشكلها الدميم، وللجلبة التي

تحدثها إذا ما سار بها المرء .

قال: إني أقنع بما بين يديّ يقع . ولم يزد على هذا القدر .

وكان - رحمه الله - وَصَلَ إلى حالةٍ قاسيةٍ من الحاجة إلى المال

في عهد الاحتلال... فلما عرف ذلك المعتمد السامي (برسي كوكس)

أهداه ثلاثمائة دينار ذهباً إنكليزياً، وكلفني بتقديمها إليه . فلما أتته بها

رفض قبولها بتاتاً وقال: خيرٌ لي أن أموت جوعاً من أن آخذ مالاً لم

أتعب في كسبه .

فألححتُ عليه إلحاحاً مملأً مزعجاً؛ فأبى وقال: لا تكثر من

إلحاحك، لئلا أطردك من بيتي طرداً لا عودة إليه .

إلا أن فاقته كانت قرأ عليّ وعلى محبيه، وطلب إليّ بعض

الأصدقاء أن أجد له منصباً يثري به، فتكلمتُ مع أولي الأمر، وتمكنتُ من أن يُعيَّنَ (قاضي قضاة المسلمين) في العراق. فلما وقف على تنصيبه أبي وقال لي:

إنَّ هذا المقام يستلزم علماً زاخراً، وذمةً لا غبار عليها، ووقوفاً تاماً على الفقه، وأنا لا أشعر بذلك، ووجداني يحكم عليّ بأنني غير متصف بالصفات المطلوبة لمن يكون قاضي قضاة المسلمين.

والخلاصة: كان الرجلُ آيةً في التواضع والفقير، كما كان آيةً في العلم والدين. وعاش مع ذلك سعيداً، بل أسعد الناس؛ لأنه لم يكن يحتاج إلى أحد.

هذا جزاء من أئتمك على سره

قال ابن خلكان في كتابه (وفيات الأعيان) في ترجمة (داوود بن علي) الأصبهاني الظاهري إمام الظاهرية المتوفى سنة ٢٧٠ والذي انتهت إليه رئاسة العلم في بغداد:

قال أبو عبد الله المحاملي: صليتُ صلاة عيد الفطر في جامع المدينة، فقلت أدخلُ عليّ (داوود بن علي) فأهنيه، فجننته وإذا بين يديه طبق فيه أوراق هندباء (وهو نوع من البقول رخيص مبذول)، وعصارة من نخالة وهو يأكل، فهنأته وعجبتُ من حاله، ورأيتُ أنَّ جميع ما في الدنيا ليس بشيء.

وخرجت من عنده، ودخلت عليّ رجل من محبي الصنعة - أي فعل الخير والكرم - يقال له: الجرجاني، فخرج إليّ حاسر الرأس، حافي القدمين وقال لي: ما عني القاضي؟

قلت: أمر مهم! قال: ما هو؟ قلتُ: في جوارك (داوود بن علي)، ومكانه من العلم ما تعلمه، وأنت كثير الصلة والرغبة في الخير تغفل عنه... وحدثته بما رأيتُ.

فقال الجرجاني: داوود شرس الخُلُق! وجهت إليه البارحة بألف درهم ليستعين بها، فردّها عليّ، وقال للغلام:

قل له: بأيّ عين رأيتني؟ وما الذي بلغك من حاجتي وخلّتي حتى بعثت لي بهذا؟!!

قال المحاملي: فعجبتُ وقلّت للجرجاني: هات الدراهم، فإني أحملها إليه، فدفعتها إليّ، وقال للغلام: اتّني بكيس آخر؛ فوزن ألفاً أخرى وقال: تلك لنا، وهذه لعناية القاضي. وأخذت له الألفين، وجئتُ إليه، ففرعتُ الباب، ودخلتُ وجلستُ ساعة، ثمّ أخرجتُ الدراهم وجعلتها بين يديه، فقال: هذا جزاء من اتّمتّك على سرّه؟ أنا بأمانة العلم أدخلتُك إليّ...! ارجع؛ فلا حاجة لي فيما معك.

قال المحاملي: فرجعتُ وقد صغرتُ الدنيا في عينيّ، وأخبرتُ الجرجاني، فقال: إني أخرجت هذه الدراهم لله تعالى؛ فلا ترجع في مالي، فليتولّ القاضي إخراجها في أهل الخير والعفاف.

لم أقبل يدك فكيف أقبل يده؟!

رُفِعَ إلى الخديوي أنّ الشيخ (محمد عبده) قبّل يدَ (اللورد كرومر) وهو يودعه في المحطة، وكان الشيخ مدعوّاً للعشاء عند الخديوي مع آخرين، فلما ابتدأ الطعام سأله الخديوي عما رفع إليه، فلما سمع الشيخ سؤاله حمي الدّم في عروقه، فرفع يده من الطعام، ورفع المدعوون أيديهم، فاندفع يقول مخاطباً الخديوي:

يا أفندينا، تعرف أنني لم أقبل يدك قط، ولو كانت هناك يد أقبلها لكانت يد الخديوي، فكيف مع هذا تتصور أن أقبل يد اللورد؟ فاعتذر الخديوي من الشيخ وقال: قاتلهم الله إنهم لكاذبون. ولم يهدأ الشيخ إلّا بعد أن اعتذر له الخديوي.

لا أدري

قيل للشعبي: أما تستحيي من كثرة ما تسأل فتقول: لا أدري؟

فقال: لكن ملائكة الله المقربين لم يستحيوا حين سئلوا عما لا يعلمون فقالوا: ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة البقرة: ٣٢].

من مدّ رجله لا يمدّ يده

كان الشيخ (سعيد الحلبي) عالم الشام في عصره يدرّس تلاميذه وقد مدّ رجله، فدخل عليه جبار الشام (إبراهيم باشا) بن محمد علي صاحب مصر، فلم يتحرك له، ولم يقبض رجله، ولم يبدّل قعدته، فتألم الباشا، لكنه كتم ألمه. ولما خرج بعث إليه بصرّة فيها ألف ليرة ذهبية، فردّها الشيخ، وقال للرسول الذي جاء بها:

قل للباشا: إنّ الذي يمدّ رجله لا يمدّ يده.

تصحيح الفتوى

جاءت امرأة إلى (أبي الحسن الزيات) فاستفتته فأجابها، ثم مضت لسبيلها، فما هو إلا قليل، وإذا الشيخ قد تغير وجهه، وأخذ ثوبه فجعله في فمه، وخرج يجري حافياً إلى أن لحق المرأة؛ فصحّح لها الفتوى ثم رجع. فسأله أصحابه عن سبب قيامه وجريه فقال:

ذكرت أنني وهمت في جوابها؛ فأسرعت لثلاث فتوتني.

فقالوا له: لو أمرتنا لفعلنا ذلك.

فقال: ما هي في ذمة أحد منكم: فلو فعلت ذلك فقد يتباطأ أحدكم فتتوت المرأة ولا تعلم جهتها.

بين العالم والخليفة

وقع بين القاضي أبي حامد أحمد بن محمد الاسفرائيني وبين الخليفة جفوة؛ فكتب إليه الشيخ أبو حامد:

اعلم أنك لست بقادر على عزلي عن ولايتي التي ولأنيها الله تعالى، وأنا أقدر أن أكتب إلى خراسان بكلمتين أو ثلاث أعزلك عن خلافتك.

شقتت على أمير المؤمنين

روى البيهقي في كتابه (المحاسن والمساوىء) قال:

دخل (عمرو بن عبيد) على الخليفة (المنصور) فقال له:

يا أمير المؤمنين إن الله - عز وجل - يقفك ويسألك عن مثقال ذرة من الخير والشر، وإن الأمة خصماؤك يوم القيامة، وإن الله - عز وجل - لا يرضى منك إلا بما ترضاه لنفسك، ألا وإنك لا ترضى لنفسك إلا بأن يعدل عليك، وإن الله - عز وجل - لا يرضى منك إلا بأن تعدل بين الرعية.

يا أمير المؤمنين، إن وراء بابك نيراناً تتأجج من الجور.. فبكى المنصور.

فقال سليمان بن مجالد وهو واقف على رأس المنصور:

يا عمرو، قد شقتت على أمير المؤمنين.

فقال عمرو: يا أمير المؤمنين، من هذا؟

قال: أخوك سليمان بن مجالد.

قال عمرو: ويلك يا سليمان! إن أمير المؤمنين يموت، وإن كل ما تراه يفقد، وإنك جيئة غداً بالفناء، لا ينفعك إلا عمل صالح قدمته، ولقرب هذا الجدار أنفع لأمير المؤمنين من قربك، إذا كنت

تطوي عنه النصيحة، وتنتهي من ينصحه.

يا أمير المؤمنين، إن هؤلاء اتخذوك سُلماً إلى شهواتهم.

قال المنصور: فأضنُّ ماذا؟ ادعُ لي أصحابك أولهم.

قال عمرو: ادعُهُم أنت بعمل صالح تحدثه، ومُرْ بهذا الخناق فليرفع عن أعناق الناس، واستعمل في اليوم الواحد عمالاً كلما رابك منهم ريب، أو أنكرت على رجل عزلته ووليت غيره، فوالله لئن لم تقبل منهم إلا العدل ليتقربن به إليك مَنْ لا نية له فيه.

ما لك لم تقم مع الناس

مرَّ الرشيد مرّةً بحلقة (محمد بن الحسن)؛ فقام الناس كلهم إلا محمد بن الحسن، فخرج الآذن، ونادى محمد بن الحسن.

فلما عاد سأله أصحابه عما كان، فقال:

سألني الرشيد: ما لك لم تقم مع الناس؟

فقلت: كرهت أن أخرج عن طبقة العلماء إلى طبقة العامة.

العلم أزين عند أهله

حضر بعض أولاد الخليفة المهدي عند شريك القاضي وهو يلقي الدرس على طلابه، فاستند ابن المهدي إلى الحائط وسأله عن حديث، فلم يلتفت إليه شريك، ثم عاد وسأل فعاد شريك إلى إهماله، فقال ابن الخليفة:

تستخفُّ بأولاد الخلفاء؟

قال: لا، ولكن العلم أزين عند أهله من أن يضيعوه.

اللورد ليس منا

دخل اللورد (كرومر) على الشيخ (محمد الإنبائي) شيخ الجامع الأزهر وسلم عليه؛ فردَّ الشيخ التحية، وصافح اللورد وهو جالس، فاستعظم اللورد هذا، وقعد بجوار الشيخ وقال له:

يا سيدنا الشيخ، ألسنت تقوم للخديوي؟

قال: نعم.

قال: فلم لم تقم لي؟

قال: لأن الخديوي وليُّ الأمر، وأما اللورد فليس منا. فأكبر اللورد نفس الشيخ، وصدقه وصراحته، وقيل: إنه كتب الحادث في أحد تقاريره لحكومته.

الشغف بطلب العلم

يروى عن أبي يوسف (قاضي القضاة) أنه قال:

«مات لي ولد، فأمرتُ من يتولى دفنه، ولم أدع مجلس (أبي حنيفة)؛ خوفاً أن يفوتني منه يوم».

وقرأ (أبو بكر بن الأخشاد) في أول كتاب (الحيوان) ما عدّه الجاحظ من أسماء كتبه، فرأى بينها كتاب (الفرق بين النبي والمنتبىء)، وحاول (أبو بكر) الحصول عليه دون نجاح. فلما دخل (مكة) حاجاً، أقام منادياً بعرفات ينادي:

رَجِمَ اللهُ مَنْ دَلَّنَا عَلَى كِتَابِ (الفرق بين النبي والمنتبىء) لِأَبِي عَثْمَانَ عَمْرُو بْنِ بَحْرِ الْجَاحِظِ.

ودخل الفقيه علي بن عيسى على (أبي الريحان البيروني) وهو يوجد بنفسه، فقال لعلي وهو في تلك الحال:

كيف قلت لي يوماً حساب الجدات؟

فقلت له إشفاقاً عليه: أفي هذه الحال؟ فأجاب:

يا هذا، أدعُ الدنيا وأنا عالم بهذه المسألة، ألا يكون خيراً من أن أخليها وأنا جاهل بها؟

هذا من بقايا تلك الرضعة

في ترجمة إمام الحرمين أن أباه - أبا محمد الجويني - كان في أوّل أمره ينسج بالأجر، فاجتمع له من كسب يده شيء اشترى به جارية موصوفة بالخير والصلاح، ولم يزل يُطعمها من كسب يده - أيضاً - إلى أن حملت بإمام الحرمين وهو مستمر على تربيتها بكسب حلال. فلما وضعته أوصاها إلا تُمكن أحداً من إرضاعه. فاتفق أنه دخل عليها يوماً وهي متألّمة والصغير يبكي وقد أخذته امرأة من جيرانهم، وشاغلته بشديها، فوضع منها قليلاً، فلما رآه شقّ عليه، وأخذه إليه، ونكس رأسه، ومسح بطنه، وأدخل إصبه في فمه. . ولم يزل يفعل ذلك حتى قاء جميع ما شربه وهو يقول:

يسهل عليّ أن يموت ولا يفسد طبعه: يشرب لبن غير أمه!

ويُحكى عن إمام الحرمين أنه كان يلحقه بعض الأحيان فترة في مجلس المناظرة فيقول:

هذا من بقايا تلك الرضعة!

ما ذنب البخاري وما حيلة العلماء؟

لما وقعت الحرب بين مصر والحبشة في زمن الخديوي إسماعيل، وتوالت الهزائم على مصر ضاق صدر الخديوي بذلك، فركب يوماً مع (شريف باشا) وهو محرج، فقال لشريف باشا:

ماذا تصنع حينما تلمّ بك ملمة تريد أن تدفعها؟

فقال: يا أفندينا، إن الله عودني إذا حاق بي شيء من هذا أن

أجأ إلى (صحيح البخاري) يقرؤه لي علماء أطهار الأنفاس فيفرج الله عني.

قال الخديوي: كَلَّم شيخ الجامع الأزهر بهذا، وكان الشيخ العروسي.

فجمع له من صلحاء العلماء جمعاً أخذوا يقرؤون في (صحيح البخاري) أمام القبلة القديمة في الأزهر. ومع ذلك فقد ظلت أخبار الهزائم تتوالى. فذهب (الخديوي) ومعه (شريف باشا) إلى العلماء وقال لهم محققاً:

إما أن هذا الذي تقرؤونه ليس (صحيح البخاري)، أو أنكم لستم العلماء الذين نعهدهم من رجال السلف الصالح، فإن الله لم يدفع بكم ولا بتلاوتكم شيئاً.

فسكت العلماء لذلك، وابتدره عالم من آخر الصف يقول له: (منك يا إسماعيل، فإننا روينا عن النبي ﷺ أنه قال: [لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو لئسلطن الله عليكم شراركم، فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم])، فانصرف الخديوي ومعه شريف باشا ولم ينيسا بكلمة واحدة. فجاء شريف باشا بعد قليل يسأل:

أين الشيخ القائل للخديوي ما قال؟

فقال: أنا.

فأخذه وقام، فصار العلماء يودعونه وداع من لا يأمل أن يرجع، وسار شريف باشا إلى أن دخلا على الخديوي في قصره، فإذا به قاعد في البهو، وأمامه كرسي أجلس عليه الشيخ، وقال له: أعذ ما قلته في الأزهر.

فأعاد الشيخ كلمته، وردّد الحديث وشرحه، فقال له الخديوي:

وماذا صنعنا حتى ينزل بنا هذا البلاء؟

قال له: يا أفندينا، أليست المحاكم المختلطة قد فتحت بقانون
بيح الربا؟

أليس الزنا برخصة؟

أليس الخمر مباحاً؟

أليس... أليس؟ وعدّد له منكرات تجري بلا إنكار، وقال:
تنتظر النصر من السماء؟

فقال الخديوي: وماذا نصنع وقد عاشرنا الأجانب، وهذه
مدنيتهم؟

فأجابه العالم:

إذن فما ذنب البخاري، وما حيلة العلماء؟

ففكّر الخديوي ملياً، وأطرق طويلاً ثم قال له:

صدقت... صدقت. وأمر له براتب قدره ثلاثون جنيهاً يأخذه
في كل شهر.

وعاد الشيخ بعد هذا إلى الأزهر وإخوانه قد ينسوا منه، فكأنما
قد ولد جديداً.

سلاخ العالم والملك

قال (عز الدين بن عبد السلام) - رحمه الله -:

«قد أمرنا الله بالجهاد في نصرة دينه، إلا أن سلاح العالم: علمه
ولسانه، كما أن سلاح الملك: سيفه وسنانه: فكما لا يجوز للملوك
إغمادُ سيوفهم عن الملحدين والمشركين، لا يجوز للعلماء إغمادُ
ألسنتهم عن الزائغين والمبتدعين».

متى عوفيت طلبت للمناصب

كان ابن الأثير مجد الدين أبو السعادات (صاحب كتاب جامع الأصول) من أكابر الرؤساء، محظياً عند الملوك، وتولى لهم المناصب الجليلة. فعرض له مرض كَفَّ يديه ورجليه، فانقطع في منزله وترك المناصب والاختلاط بالناس. وكان الرؤساء يغشونه في منزله. فحضر إلى بعض الأطباء والتزم بعلاجه. فلما طيَّبَه وقارب البرء وأشرف على الصحة، دَفَع للطبيب شيئاً من الذهب وقال: امض لسبيلك...! فلامَهُ أصحابه على ذلك وقالوا: هلاً أبقيته إلى حصول الشفاء؟

فقال لهم: إنني متى عوفيت طُلِبْتُ للمناصب، ودخلتُ فيها، وكُلِّفْتُ قبولها، أمّا ما دمتُ على هذه الحالة، فإني لا أصلح لذلك، فأصرف أوقاتي في تكميل نفسي ومطالعة كتب العلم، ولا أدخلُ معهم فيما يُغضبُ الله ويرضيه، والرزقُ لا بدُّ منه؛ فاختار - رحمه الله - عطلة جسمه لتحصل له بذلك الإقامة على العطلة عن المناصب. وفي تلك المدة أَلَفَ كتاب (جامع الأصول) و(النهاية في غريب الحديث) وغيرهما من الكتب المفيدة.

إن أردت النجاة غداً من عذاب الله

حجَّ (هرون الرشيد) ومعه وزيره (الفضل بن الربيع)، فلما قضى اليوم الأول في (منى) حاك في صدره شيء، فأرسل إلى وزيره، فلما جاءه قال له:

قد حاك في نفسي شيء لا يخرجني إلاً عالم؛ فانظر لي رجلاً أسأله عنه. فصاحبه إلى عدد من العلماء، وكل منهم يقول فيه الرشيد لوزيره: ما أغنى عني صاحبك شيئاً؛ فانظر لي رجلاً أسأله. فأخذه إلى (الفضيل بن عياض) فوجده قائماً يصلي في خيمته يتلو آيةً من كتاب الله ويردها، فقرع عليه الباب ففتحه (الفضيل) ثم أطفأ السراج، والتجأ إلى زاوية في الخيمة، فلمست كف (الرشيد) كف (الفضيل)؛

فقال (الفضيل): أوّاه من كف ما ألينها إن نجت غداً من عذاب الله!

فقال هرون: جد لنا ما جئنا له رحمك الله!

فقال الفضيل: وفيم جئت؟ حملت على نفسك وجميع من معك حملوا عليك، حتى لو سألتهم أن يتحملوا عنك شقصاً (جزءاً) من ذنب ما فعلوا، ولكن أشدهم حباً لك أشدهم هرباً منك! وسكت (الفضيل) هنيهة ثم استأنف كلامه في سكينه الظلام ورهبته - وكانت ضربات قلبه تكاد تسمعها أذناه كأنها ضربات الساعة - فقال:

إن أمير المؤمنين (عمر بن عبد العزيز) - رحمه الله - لما ولي الخلافة، دعا (سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب) و(محمد بن كعب القرظي) و(رجاء بن حيوة) فقال لهم:

«إني قد ابتليت بهذا البلاء؛ فأشيروا عليّ»... فعّد الخلافة بلاءً، وعدادتها أنت وأصحابك نعمة، فقال له سالم:

«إن أردت النجاة غداً من عذاب الله، فليكن كبير المسلمين عندك أباً، وأوسطهم عندك أخاً، وأصغرهم عندك ولداً، فبرّ أباك، وارحم أخاك، وتحنّ على ولدك».

وقال رجاء بن حيوة:

«إن أردت النجاة غداً من عذاب الله، فأحب للمسلمين ما تحب لنفسك، واکره لهم ما تكره لنفسك، ثم مت متى شئت».

ثم قال الفضيل للرشيد: وإني أقول هذا، وأخاف عليك أشدّ الخوف يوم تزلّ الأقدام، فهل معك - رحمك الله - مثل هؤلاء القوم؟ ومن يأمرك بمثل هذا؟

فبكى الرشيد بكاءً شديداً، فقال الوزير للفضيل:

أرفق بأمر المؤمنين. فأجابه:

يا ابن الربيع، قتلته أنت وأصحابك، وأرفق به أنا؟!!

قال هرون للفضيل: زدني.

فقال الفضيل: يا أمير المؤمنين، إن العباس عمّ النبي ﷺ جاء إليه فقال: يا رسول الله، أمّرتني إمارة! فقال النبي ﷺ:

«يا عباس، نفس تُخبيها خيرٌ من إمارة لا تحصيها؛ إن الإمارة حسرةٌ وندامةٌ يوم القيامة؛ فإن استطعت ألا تكون أميراً فافعل».

فبكى هرون وقال له: زدني يرحمك الله!

فقال: أنت الذي يسألك الله عن هذا الخلق يوم القيامة، فإن استطعت أن تقي هذا الوجه من النار فافعل! وإياك أن تصبح وتُمسي وفي قلبك غشٌّ لرعبتك؛ فإن النبي ﷺ قال:

«من أصبح غاشياً لرعبته لم يرح رائحة الجنة».

فبكى الرشيد بكاءً شديداً - أيضاً ثم قال للفضيل:

عليك دين؟

قال: نعم، دينٌ لربي يُحاسِبُنِي عليه، فالويلُ لي إن ناقشني، والويلُ لي إن سألتني، والويلُ لي إن لم يلهمني حجّتي!!

قال هرون: إنما أعني دينَ العباد.

فقال الفضيل: ربي لم يأمرني بهذا، وإنما أمرني أن أصدق وعده، وأطيع أمره.

فقال هرون: هذه ألف دينار؛ فخذها وأنفقها على عيالك، وتقوُّ بها على عبادة ربك.

قال الفضيل: سبحان الله! أنا أدُلكَ على سبيل الرشاد، وأنت تكافئني بمثل هذا!! سلّمك الله ووفّقك.. ورفض الفضيل أن يأخذها...

قال الفضيل بن الربيع: ثم سكّت ولم يكلمنا، فخرجنا من عنده، فقال لي الرشيد:

إذا دَلَّتني على رجل، فدُنِّي على مثل هذا!!

العلم يهتف بالعمل

كتب الإمام الغزالي إلى أحد تلاميذه حين طلب منه أن يقدم له نصيحة:

«يا ولدي، النصيحة سهلة، ولكن الصعب قبولها؛ لأنها في من لم يتعودها مرة المذاق.. وإن من يحصل العلم ولا يعمل به، تكون الحجة عليه أعظم كما قال رسول الله ﷺ: «أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لا ينتفع بعلمه».

يا ولدي، لا تكن من الأعمال مفلساً، ولا من الاجتهاد في الطاعة خالياً، وتيقن أن العلم المجرد لا يأخذ باليد: كما لو كان مع رجل عشرة أسياف هندية وهو في صحراء، فخرج عليه أسد عظيم مهيب، فهل تدفع عنه هذه الأسلحة دون أن يستعملها؟ كذلك مثل العلم والعمل لا فائدة في الأول بدون الثاني..

يا ولدي، لو قرأت العلم مائة سنة، وجمعت ألف كتاب لا تكون مستعداً لرحمة الله إلا بالعمل ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾.

يا ولدي، ما لم تعمل لم تجد الأجر.. والعلم بلا عمل جنون، والعمل بغير علم لا يكون.. فلا بدّ منهما معاً.. وإن العلم - وحده - لا يُبْعِدُكَ اليوم عن المعاصي، ولا ينجيك غداً من النار.. فإذا لم تجتهد اليوم في العمل، لتقولنّ يوم القيامة: «ارجعنا نعمل صالحاً» فيقال لك: «يا هذا، أنت من هناك جئت...».

وقال بعض السلف: العلم يهتف بالعمل، فإن أجب حلّ وإلا ارتحل، وما استدرّ العلم ولا استجلب بمثل العمل، وهو من أعظم أسباب حفظه وثباته.

وقال بعض العلماء: تقول الحكمة: من التمسني فلم يجدني فليعمل بأحسن ما يعلم، وليترك أقبح ما يعلم، فإذا فعل ذلك فأنا معه وإن لم يعرفني.

وقال ابن قيم الجوزية - رحمه الله -: لم يكن السلف يطلقون اسم الفقه إلا على العلم الذي يصحبه العمل، كما سئل سعد بن إبراهيم عن أفته المدينة؟ قال: أتقاهم. وسأل (فرقد اليميني) الحسن البصري عن شيء فأجابه، فقال: إن الفقهاء يخالفونك!

فقال الحسن: ثكلتك أمك! فريقد! وهل رأيت بعينك فقيهاً؟ إنما الفقيه الزاهد في الدنيا، الراغب في الآخرة، البصير بدينه، المداوم على عبادة ربه، الذي لا يهزم من فوقه، ولا يسخر ممن دونه، ولا يتغني على علم علمه الله تعالى أجراً.

وقال معاذ بن جبل - رضي الله عنه -: اعلّموا ما شئتم أن تعلموا فلن يأجركم الله بعلمه حتى تعملوا.

هذا الذي أعزّه العلم

عكرمة بن عبد الله التابعي أحد فقهاء مكة، وقد قال له عبد الله ابن عباس - رضي الله عنهما -: (انطلق فافت الناس).

وسئل سعيد بن جبيرة: هل تعلم أحداً أعلم منك؟
قال: عكرمة.

وعكرمة هذا الذي أعزّه العلم هذا العز كان عبداً مملوكاً لعبد الله بن عباس.

أحب أن أعظم حديث رسول الله

كان الإمام مالك رضي الله عنه إذا أراد أن يحدث عن رسول الله ﷺ، توضأ، وجلس على صدر فراشه، وسرّح لحيته، وتمكّن في

جلوسه بوقارٍ وهيبة، ثم حدّث.. فقيل له في ذلك فقال:

أحبُّ أن أعظّمَ حديثَ رسول الله ﷺ، ولا أحدتُ به إلاّ متمكناً على طهارة. وكان يكره أن يُحدّث على الطريق، أو قائماً، أو مستعجلاً، ويقول:

أحبُّ أن أتفهم ما أحدتُ به عن رسول الله ﷺ.

وكان لا يركب في المدينة مع ضعفه وكبر سنه ويقول: لا أركب في مدينة فيها جثة رسول الله ﷺ مدفونة!

نشترى بأموالنا لا بأدياننا

دخل عبد الله بن محيريز مرةً حانوت بزّاز ليشتري منه ثوباً، فرفع البزاز في السوم، فقال له جاره:

ويحك! هذا ابن محيريز، ضع له. فأخذ ابن محيريز بيد غلامه وقال:

اذهب بنا.. إنما جئت لنشتري بأموالنا لا بأدياننا!! فذهب وتركه.

الإشفاق من الفتوى

عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: أدركتُ عشرين ومائة من الأنصار من أصحاب رسول الله - ﷺ -، ما منهم رجل يُسأل عن شيء إلاّ ودّ أن أخاه كفاه، ولا يحدّث حديثاً إلاّ ودّ أن أخاه كفاه.

وقال سحنون بن سعيد: أجسر الناس على الفتيا أقلهم علماً: يكون عند الرجل الباب الواحد من العلم يظن أن الحق كلّهُ فيه!

وقال ابن قيم الجوزية: كان السلف من الصحابة والتابعين يكرهون التسرع في الفتوى، ويودّ كل واحد منهم أن يكفيه إياها غيره، فإذا رأى أنها قد تعينت عليه، بذل اجتهاده في معرفة حكمها من

الكتاب والسنة أو قول الخلفاء الراشدين، ثم أفتى.

وقال القاضي أبو يوسف عند وفاته: كل ما أفتيتُ به فقد رجعتُ عنه إلا ما وافق كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

إنك لست في زمان عمر

كتب عمر بن عبد العزيز إلى سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب يقول:

«من عمر بن عبد العزيز إلى سالم بن عبد الله. أما بعد، فقد ابتليتُ بما ابتليتُ به من أمر هذه الأمة من غير مشاورة مني ولا إرادة، يعلمُ الله ذلك. فإذا أتاك كتابي فاكتب إليَّ بسيرة عمر بن الخطاب في أهل القبلة وأهل العهد، فإني سائرٌ بسيرته إن الله أعانني على ذلك والسلام.»

فكتب إليه سالم:

«من سالم بن عبد الله إلى عمر بن عبد العزيز أمير المؤمنين. أما بعد، فإنك كتبت إليَّ تسألني تذكر أنك ابتليت بما ابتليت به من أمر هذه الأمة من غير مشاورة ولا إرادة، يعلم الله ذلك، تسألني أن أكتب لك بسيرة عمر وقضائه في أهل القبلة وأهل العهد، وتزعم أنك سائرٌ بسيرته إن الله أعانك على ذلك. وإنك لست في زمان عمر، ولا في مثل رجال عمر. فأما أهل العراق، فليكونوا منك بمكان من لا غنى بك عنهم، ولا مفقرة إليهم، ولا يمنحك من نزع عامل أن تنزعه أن تقول: لا أجد من يكفيني مثل عمله، فإنك إذا كنت تنزع لله، وتستعمل لله، أتاح الله لك أعواناً وأتاك بهم. فإنما قدر عون الله للعباد على قدر النيات، فمن تمت نيته تمَّ عون الله له، ومن قَصُرَتْ نيته قَصُرَ عون الله له، والله المستعان والسلام.»

لقد نقلتني هذه الصفحة نقلةً هائلةً إلى عالم آخر. إلى الحياة التي حكمتها تلك النماذج الإنسانية الرفيعة من أمثال سالم وعمر، وطويبتُ الكتاب خاشعاً، وفي عيني دموع، لست أدري أهني دموع

القلب الخافق لجلال هذا السلف، أم هي دموع الأسي على الجهل
والصغار والغفلة التي أصابت المسلمين!

من رأس العين يأتي الكدر

قال هرون الرشيد لليث بن سعد لما قدم عليه: ما صلاح
بلدكم؟

قال: يا أمير المؤمنين، صلاح بلدنا إجراء النيل وصلاح أمره،
ومن رأس العين يأتي الكدر؛ فإذا صفا رأس العين صفت العين.
قال: صدقت يا أبا الحارث.

أنتم الأطباء ونحن الصيادلة

كان الإمام أبو حنيفة عند الأعمش المحدث، فسئل عن مسائل،
فقال لأبي حنيفة: ما تقول فيها؟ فأجابه.
قال له: من أين لك هذا؟

قال: من أحاديثك التي رويتها عنك، وسرد له عدة أحاديث،
فقال الأعمش: حسبك، ما حدثتك به في مائة يوم تحدثني به في
ساعة واحدة! يا معشر الفقهاء، أنتم الأطباء ونحن الصيادلة.

في سقطة العالم سقوط العالم

أراد غلام أن يستحم في النهر؛ فقال له أبو حنيفة - رضي الله
عنه -: احذر يا غلام أن تسقط؛ فأجابه الغلام:
احذر أنت أيها الإمام؛ فإن في سقطة العالم سقوط العالم.

إن قبلت مني خمس خصال

روي أنّ رجلاً أتى (إبراهيم بن أدهم) فقال:

يا أبا إسحق، إني مسرف على نفسي، فاعرض عليّ ما يكون لها زاجراً..

قال إبراهيم: إن قبلت مني خمس خصال فقدرت عليها، لم تضرك المعصية.

قال: هات يا أبا إسحق..

قال إبراهيم: أما الأولى، فإذا أردت أن تعصي الله - عزّ وجل - فلا تأكل رزقه.

قال: فمن أين آكل، وكل ما في الأرض من رزقه؟

قال: أفحسن بك أن تأكل رزقه وتعصيه؟

قال: لا. هات الثانية.

قال: وإذا أردت أن تعصيه فلا تسكن شيئاً من بلاده.

قال: هذه أعظم من الأولى يا إبراهيم.. إذا كان المشرق والمغرب وما بينهما له فأين أسكن؟

قال: يا هذا، أفيليق بك أن تأكل رزقه، وتسكن بلاده، وتعصيه؟

قال: لا. هات الثالثة..

قال: إذا أردت أن تعصيه فانظر موضعاً لا يراك فيه.. فاعصه فيه...

قال: يا إبراهيم، ما هذا؟ وهو يطلع على ما في السر؟

قال: يا هذا، أفحسن بك أن تأكل رزقه، وتسكن بلاده، وتعصيه، وهو يراك ويعلم ما تجاهر به؟

قال: لا. هات الرابعة..

قال: إذا جاءك مَلَكُ الموت ليقبض روحك، فقل له أُخْرني حتى أتوب.

قال: لا يقبل مني..

قال: يا هذا، إذا كنت لا تقدر أن تدفع عنك الموت لتتوب، وتعلم أنه إذا جاء لم يكن له تأخير، فكيف ترجو الخلاص؟

قال: هات الخامسة.

قال: إذا جاءك الزبانية يوم القيامة ليأخذوك إلى النار فلا تذهب معهم.

قال: إنهم لا يقبلون مني..

قال: فكيف ترجو النجاة إذن؟

قال: يا إبراهيم، حسبي حسبي، أنا أستغفر الله وأتوب إليه!

أشهد أن الظلم ببابك فاش

أورد الإمام الغزالي في (إحياء علوم الدين) عن الإمام الشافعي - رضي الله عنهما - قال:

حدثني محمد بن علي قال: إني لحاضر مجلس أمير المؤمنين أبي جعفر المنصور وفيه (ابن أبي ذئيب)، وكان والي المدينة (الحسن ابن زيد). قال: أتى (الغفاريون)؛ فشكوا إلى أبي جعفر شيئاً من أمر الحسن بن زيد. فقال الحسن:

يا أمير المؤمنين، سل عنهم ابن أبي ذئيب.

قال: فسأله فقال: ما تقول فيهم يا ابن أبي ذئيب؟

قال: أشهد أنهم كثيرو الأذى.

قال أبو جعفر: قد سمعتم؟

فقال الغفاريون: يا أمير المؤمنين، سله عن الحسن بن زيد.

قال ابن أبي ذئيب: أشهد أنه يحكم بغير الحق ويتبع هواه.

فقال الغفاريون: قد سمعت ما قال فيه ابن أبي ذئيب وهو الشيخ الصالح؟

قال الحسن بن زيد: يا أمير المؤمنين، سله عن نفسك.

فقال له المنصور: ما تقول في؟ أسألك بالله إلا أخبرني.

فقال له ابن أبي ذئيب: تسألني بالله كأنك لا تعرف نفسك؟

قال له المنصور: والله لتخبرني.

فقال له ابن أبي ذئيب: أشهد أنك أخذت هذا المال من غير

حقه، فجعلته في غير أهله، وأشهد أن الظلم ببابك فاش.

قال: فجاء أبو جعفر من موضعه حتى وضع يده في قفا ابن أبي

ذئيب فقبض عليه ثم قال له:

أما والله لولا أنني جالس ههنا لأخذت فارس والروم والديلم

والترك بهذا المكان منك.

فقال ابن أبي ذئيب: يا أمير المؤمنين، قد ولي أبو بكر وعمر

فأخذوا الحق وقسما بالسوية، وأخذوا بأقفاء فارس والروم وأذلوهم.

قال: فخلى أبو جعفر قفاه، وخلّى سبيله وقال: «والله لولا أعلم

أنك صادق لقتلتك».

فقال ابن أبي ذئيب: «والله يا أمير المؤمنين، إني لأنصح لك من

ابنك المهدي».

ألف كتبه في السجن

عَلِمَ شَمْسُ الدِّينِ السَّرْحَسِيُّ أَنَّ الخَاقَانَ (ملك الترك ببلاد ما وراء النهر) عزم أن يتزوج بجارية له أعتقها ولم تنقض بعد عِدَّتْهَا، ولم يَرَ السَّرْحَسِيُّ إِزَاءَ هذا أَنه يسعه السكوت، ولو كان الخَاقَانُ ظالماً بطاشاً سَفَاكاً للدِّماء. فَبَيَّنَ له بحزم أَن هذا لا يحل، وغضب الخَاقَانُ، وتهدَّدَ وتوعد، ولكن السَّرْحَسِيُّ لم يكن ممن يحابي في الحق، أو يخاف أمام الوعيد فألقى به في السجن.

وفي السجن أَلَفَ كتابه (المبسوط) بأجزائه الثلاثين، وقد أَلَفَ من غير أن يرجع إلى كتاب أو دفتر أو فقيه، وإنما أملاه كله من خاطره إملاءً وهو مسجون، يملئ من ذاكرته، وطلأه عند أعلى الجب يكتبون هذا الكتاب..

ولم يقتصر تأليفه لهذا الكتاب، بل كتب - أيضاً - كتابه المهم في أصول الفقه (الأصول)، وكتابه الآخر (زيادة الزيادات) الذي قيل فيه:

إِنَّ الزِّيَادَاتِ زَادَ اللهُ رَوْنَقَهَا عَقَمَ مَسَائِلَهَا مِنْ أَصْعَبِ الْكُتُبِ
أَصُولُهَا كَالْعِذَارَى قَطْ مَا افْتَرَعَتْ فَرَوْعُهُنَّ يَدٌ فِي الْعُجْمِ وَالْعَرَبِ
يُنَالُ قَارِئُهَا فِي الْعِلْمِ مَنْزِلَةً يَغِيبُ إِدْرَاكُهَا عَنْ أَعْيُنِ الشُّهُبِ

هذه المؤلفات العظيمة تدلنا على غزارة علم (السرخسي) الذي أعان عليه هذه الذاكرة العجيبة التي حباه الله بها، حتى لنكاد نتردد في التصديق حينما نسمع أنه ذُكِرَ مرةً للسرخسي أن الإمام الشافعي حفظ ثلاثمائة كراس؛ فقال: حفظ زكاة ما أحفظ. فحسب ما حفظه فكان اثني عشر ألف كراس!

يا أمير المؤمنين اتق الله

دخل ابن السماك يوماً على الخليفة العباسي (هارون الرشيد) فقال له:

عظني .

فقال ابن السماك: يا أمير المؤمنين، اتق الله وحده، واعلم أنك غداً بين يديه، وأنت مصروف إلى إحدى منزلتين لا ثالث لهما: جنة أو نار... .

فبكى الرشيد حتى اخضلت لحيته، فأقبل (الفضل بن الربيع) على ابن السماك قائلاً:

سبحان الله! وهل يشك أحد أن أمير المؤمنين مصروف إلى الجنة إن شاء الله؟! .

فلم يلتفت ابن السماك لهذا الكلام، وتابع نصحه للرشيد قائلاً:
يا أمير المؤمنين، إن هذا ليس والله معك ولا عندك في ذلك اليوم، فاتق الله وانظر لنفسك... .

فبكى الرشيد حتى أشفق عليه الحاضرون، وأفجم الفضل فلم ينطق بحرف واحد.

صناديق الثياب وصناديق الكتب

سافر (جمال الدين الأفغاني) إلى تركيا، وقد عجب الناس أشد العجب حين رأوه لا يملك من حطام الدنيا شيئاً... . وقد سأله سائل من الناس عن الصندوق الذي يضم ملابسه ومتاعه؛ فأجابه جمال الدين:

«ليس معي غيرُ صناديق الثياب وصناديق الكتب: أما صناديق الكتب، فها هنا ويشير إلى صدره، وأما صناديق الثياب فهذه ويشير إلى جيبته» .

ثم قال: «كنت أول عهدي بالنفي أستصحب جبة ثانية وسراويل، ولكن لما توالى النفي صرتُ أستقل الجبة الثانية، فأترك التي عليّ إلى أن تخلق فأستبدلها بغيرها» .

التدريس في السجن

اختلف أحمد بن طولون مع قاضيه (بكار بن قتيبة) على مسألة سياسية تتعلق بشأن ولاية العهد في الخلافة، وأراد حبسه، فاستأجر له داراً حبسه فيها. وكان فيها طاق يجلس يتحدث فيها ويكتب عنه الناس وهو في السجن.

أنست وحشة الظالمين

ذكر الإمام الغزالي في كتابه (إحياء علوم الدين) أن الإمام (الزهري) لما خالط السلطان كتب إليه أخ له في الدين يقول له:

«عافانا الله وإياك من الفتن، فقد أصبحت بحال ينبغي لمن عرفك أن يدعو الله ويرحمك! أصبحت شيخاً كبيراً قد أثقلتك نعم الله عليك لما فهمك من كتابه وعلمك من سنة نبيه ﷺ».

وليس كذلك أخذ الله الميثاق على العلماء: فقد قال الله تعالى: ﴿لَتَبَيَّنَنَّ لِلنَّاسِ لِأَيِّ طَرَفٍ هُمْ وَلَا تَكْتُمُونَ﴾.

واعلم أن أيسر ما ارتكبت، وأخف ما احتملت، أنك آنست وحشة الظالم، وسهلت سبيل البغي بدنوك ممن لم يؤذ حقاً ولم يترك باطلاً.

حين أدنوك اتخذوك قطباً تدور عليك رحي ظلمهم، وجسراً يعبرون عليك إلى بلائهم، وسلماً يصعدون فيه إلى ضلالتهم، ويدخلون بك الشك على العلماء، ويقتادون بك قلوب الجهلاء...

فما أيسر ما عمروا لك في جنب ما خزبوا عليك! وما أكثر ما أخذوا منك بما أفسدوا عليك من دينك!! فما يؤمنك أن تكون ممن قال الله تعالى فيهم: ﴿خَلَفَ مِنْ بَعدِمْ خَلْفَ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا﴾.

وانك تعامل من لا يجهل - سبحانه - ويحفظ عليك من لا

يغفل، فداو دينك، فقد دخله سقم، وهيبء زادك فقد حَصَرَ سَفْرَ بعيد
﴿وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ .
والسلام.

سليمان وأبو حازم

حجَّ سليمان بن عبد الملك. فلما قدم المدينة للزيارة بعث إلى
أبي حازم الأعرج. فلما دخل قال له:
تكلم يا أبا حازم.

أبو حازم: فيم أتكلم يا أمير المؤمنين؟

سليمان: ما المخرج من هذا الأمر؟

أبو حازم: يسير إن أنت فعلته.

سليمان: وما ذاك؟

أبو حازم: لا تأخذ الأشياء إلا من حلها، ولا تضعها إلا في
أهلها...

سليمان: ومن يقوى على ذلك؟

أبو حازم: مَنْ قَلَّده الله من أمر الرعية ما قَلَّدَكَ..

سليمان: عظني يا أبا حازم.

أبو حازم: اعلم أن هذا الأمر لم يصر إليك إلا بموت مَنْ كان
قبلك، وهو خارج من يديك بمثل ما صار إليك.

سليمان: يا أبا حازم، أشر عليّ.

أبو حازم: إنما أنت سوق، فما نَقَقَ عندك حُمِلَ إليك من خير
أو شر، فاختر أيهما شئت...

سليمان: ما لك لا تأتينا؟

أبو حازم: وما أصنع بإتيانك يا أمير المؤمنين؟ إن أذنبتني فتنتني، وإن أقصيتني أخزيتني، وليس عندك ما أرجوك له، وليس عندي ما أخافك عليه.

سليمان: ارفع إلينا حاجتك.

أبو حازم: قد رفعتها إلى مَنْ هو أقدَرُ منك عليها، فما أعطاني منها قبلتُ، وما منعتني منها رضيت.

ردّ الحقوق

قيل لمالك بن دينار: ادع لفلان المحبوس، فقال:

مَثَلُ محبوسكم مَثَلُ شاةٍ عَدَّتْ إلى عجيين فقير فأكلته، فأتخمت؛ فصاحبها يقول: اللَّهُمَّ سَلِّمْهَا، وصاحبُ العجيين يقول: اللَّهُمَّ أَهْلِكْهَا. ولا ينفع دعاء صاحبها من دعاء المظلوم. فقولوا لصاحبكم يرده إلى كل ذي حقِّ حقّه، فإنه لا يحتاج إلى دعائي حينئذٍ.

أترانا أضعناك

كان للإمام أبي حنيفة - رحمه الله - جار إسكافي وكان يشرب الخمر في كل ليلة وينشد:

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريمة وسداد ثغر

وكان الإمام يصلي الليل ويسمع حديثه وإنشاده، ففقد صوته بعض الليالي، فسأل عنه، فقيل: أخذته الشرطة منذ يومين، وهو في السجن.

فصلى الإمام الفجر، وركب دابته، ومشى واستأذن على الأمير فأذن له. فلما دخل عليه، أجلسه مكانه وقال: ما حاجة الإمام؟

فقال: لي جار إسكافي، أخذته الشرطة فتأمر بتخليته.

قال الأمير: نعم وكل من أخذ تلك الليلة، ثم أمر بتخليته

وتخليتهم أجمعين.. فركب الإمام أبو حنيفة وتبعه جاره الإسكافي،
فلما وصل إلى داره قال له الإمام:

أترانا أضعنك؟

قال: لا، بل حفظت ورعيت، جزاك الله خيراً، والله عليّ أن لا
أشرب خمراً بعد اليوم..

فتاب من يومه، ولم يعد إلى ما كان عليه.

طلب العلم

سئل الحسن البصري - رضي الله عنه - عن الرجل له ثمانون
سنة: أيحسن أن يطلب العلم؟

قال: إن كان يحسن به أن يعيش.

وقيل لبعض العلماء: متى يحسن بالمرء أن يتعلم؟

قال: ما حسنت به الحياة.

وقال أحمد بن حنبل - رضي الله عنه -: إنما أطلب العلم إلى
أن أدخل القبر.

وقال عبد الله بن بشر الطالقاني: أرجو أن يأتيني أمر الله
(الموت) والمخبرة بين يدي، ولم يفارقني العلم والمخبرة.

وكذلك قال ابن المبارك وقد آخذه قوم وقالوا: إلى متى تطلب
العلم؟

قال: إلى الممات.

السلطان بمنزلة السوق

لما ولي المنصور الخلافة، وفد عليه عبد الرحمن بن زياد،
وكان يطلب العلم معه قبلها، فقال له المنصور:

كيف سلطاني من سلطان بني أمية؟!

قال: ما رأيتُ في سلطانهم من الجور شيئاً إلا رأيتُهُ في سلطانك .

فقال المنصور: إنا لا نجد الأعوان!

قال عبد الرحمن: قال عمر بن عبد العزيز - رحمه الله -:

إنَّ السلطان بمنزلة السوق، يجلب إليها ما ينفق فيها، فإن كان براً أتوه ببرهم، وإن كان فاجراً أتوه بفجرهم.. فأطرق المنصور ولم يتكلم.

هؤلاء ملأوا العبادة

دخل الحسن البصري المسجد مرّةً ومعه (فرقد)، فقعده إلى جنب حلقة، فأنصت يستمع حديث أهلها وهم يتكلمون في الدين والزهد، ثم أقبل على (فرقد) فقال:

يا فرقد، والله ما هؤلاء إلا قوم ملأوا العبادة، وصعب عليهم العمل، وقلّ ورعهم، فوجدوا الكلام أهون عليهم فتكلموا.

استعمل أهل الخير

لما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة كتب إليه طاووس التابعي كتاباً جاء فيه:

إن أردت أن يكون عملك خيراً كلّهُ فاستعمل أهل الخير.

فقال عمر: كفى بها موعظة!

كيف أنت يا هشام

طلب الخليفة الأموي (هشام بن عبد الملك) طاووس اليماني يوماً إلى مجلسه. فلما دخل عليه، لم يُسلّم عليه بأمره المؤمنين،

ولكن قال: السلام عليك يا هشام، وجلس بإزائه، وقال: كيف أنت يا هشام؟ فغضب هشام غضباً شديداً وقال له:

يا طاووس، ما الذي حَمَلَكَ على ما صنعت؟

قال: وما الذي صنعت؟

فازداد غضباً وغيظاً، وقال:

خلعت نعليك بحاشية بساطي، ولم تُسَلِّمْ عليَّ بأمره المؤمنين، ولم تكتني، وجلست بإزائي بغير إذني، وقلت: كيف أنت يا هشام.

قال: أما ما فعلت من وضع نعلي بحاشية بساطك، فإني أضعها بين يدي ربِّ العزة كلَّ يوم خمس مرات.

وأما قولك: لم تسلم عليَّ بأمره المؤمنين، فليس كل الناس راضين بأمرتك؛ فكرهت أن أكذب.

وأما قولك: جلست بإزائي، فإني سمعت أمير المؤمنين علياً يقول: إذا أردت أن تنظر إلى رجل من أهل النار، فانظر إلى رجل جالس وحوله قوم قيام.

قال هشام: عظني.

فقال: سمعت أمير المؤمنين علياً - رضي الله عنه - يقول: إنَّ في جهنم حيات كالقلال، وعقارب كالبغال تلدغ كل أمير لا يعدل في رعيته ثم قام.

في قفص الاتهام يتحدث عن الإسلام

قدّم الإنكليز (أبا الكلام آزاد) للمحاكمة بتهمة التحريض على الثورة سنة ١٩٢٢. ووقف آزاد موقفاً بطولياً في قفص الاتهام، وصرخ في وجه القضاة قائلاً:

«إني مسلم.. ولأني مسلم وَجَبَ عليَّ أن انددَّ بالاستبداد وأقبه

وأشهر بمساويه. إن الإسلام بمجرد ظهوره أعلن أن الحق ليس بالقوة ولا هو القوة؛ بل الحق هو الحق، وإنه ليس لأحد من البشر أن يعبد عباد الله ويذلهم ويسخرهم. . . ولعمري إن مطالبة المسلم بأن يسكت عن الحق ولا يسمي الظلم ظلماً مثل مطالبته بأن يتنازل عن حياته الإنسانية. . .»

ويقول بعد ذلك:

«إنني أقول حقاً: إنه لا يؤلمني أن أرى الحكومة عازمة على معاقبتي، وأنها لا تحاكمني إلا لكي تزجني في السجون؛ إذ هذا أمر لا بد منه. . . وإنما الذي يؤلمني فيفتت كبدي، هو أن أرى الحالة تنقلب انقلاباً تاماً. فبدلاً من أن ينتظر من المسلم صدق اللهجة والقول الحق، يطلب منه السكوت عنه، وكتمان الشهادة، وألاً يقول للظالم إنك ظالم؛ لأن قانون المستعمرات يعاقب عليه!». . .

متى يفتيه بأخذ المال من الرعية

لما خرج الظاهر (بيبرس) إلى قتال التار بالشام، أخذ فتاوى من العلماء بأنه يجوز له أخذ مال من الرعية؛ ليستنصر به على قتال العدو، فكتب له فقهاء الشام بذلك، فقال: هل بقي أحد؟

فقال: نعم بقي الشيخ محي الدين النووي. فطلبه فحضر فقال: اكتب خطك مع الفقهاء. فامتنع.

فقال: ما سبب امتناعك؟

فقال: أنا أعرف أنك كنت في الرق للأمير (بندقدار) وليس لك مال، ثم من الله عليك وجعلك ملكاً، وسمعت أن عندك ألف مملوك: كل مملوك له حياصة من الذهب، وعندك مائتا جارية، لكل جارية حُق من الحلّي، فإذا أنفقت ذلك كله، وبقيت ممالكك بالبندود الصوف بدلاً من الحوائص، وبقيت الجوارى بشبابهن دون الحلّي، أفنتيك بأخذ المال من الرعية. . .!

فغضب (الظاهر بيبرس) من كلامه وقال: اخرج من بلدي - يعني دمشق - .

فقال: السمع والطاعة، وخرج إلى (نوى)، فقال الفقهاء: إن هذا من كبار علمائنا وصلحائنا وممن يُقْتَدَى به فأعده إلى دمشق، فأمر برجوعه؛ فامتنع الشيخ وقال: لا أدخلها و(الظاهر) بها، فمات (الظاهر بيبرس) بعد شهر.

رغبتهم فيما عندهم فزهدوا فيما عندكم

مرَّ الحسن البصري - رضي الله عنه - بباب الأمير (ابن هبيرة)، فإذا هو بالقراء على الباب، فقال: ما يجلسكم هنا؟ تريدون الدخول على هؤلاء الخبيثاء؟ أما والله ما مجالسهم بمجالس الأبرار، تفرَّقوا فرَّق الله بين أرواحكم وأجسادكم، قد شمردتم ثيابكم، وجززتم شعوركم، فضحتم القراء فضحككم الله! أما والله لو زهدتم فيما عندهم، لرغبوا فيما عندكم، لكنكم رغبتهم فيما عندهم؛ فزهدوا فيما عندكم.

العظمة لله!

حكَّم بلادَ الهند في القرن الثامن الهجري حاكم يسمى (محمد تغلق) عُرفَ بالبأس والشدة. وقد عسكر مرَّةً بالقرب من عالم اسمه (الشيخ قطب الدين منور) وجاء العلماء والشيوخ يُسَلِّمون عليه. . أما الشيخ (قطب الدين)، فلم يأتَه؛ فغضب الملك وطلبه إلى (دهلي) عاصمة البلاد. ولما حضر ودخل الديوان الملكي، رأى الأمراء والوزراء والحكام ورجال البلاد واقفين في صفين متقابلين مسلحين في هيئة تنخلع منها القلوب، وكان معه ولده (نور الدين)، وكان حديث السن لم يزر بلاط الملك في حياته؛ ففرغ لهذا المنظر الغريب، وامتلأ رغباً، فناداه الشيخ (قطب الدين) بصوت عالٍ قائلاً: يا ولدي، العظمة لله!

يقول (نور الدين): إني استشعرت فيّ قوّة غريبة بعد هذا النداء،
وزالت الهيبة من نفسي، وبدا الجميع عندي كأنهم ضأن أو معز.

وسأل الملك الشيخ وعاتبه قائلاً: إننا مررنا بزوايتكم فلم تشرفونا
بزيارتكم؟ فأجاب الشيخ:

إنني لا أستطيع أن أقابل الملوك؛ لأنني أعيش في عزلة، وأدعو
للملك وللمسلمين كلهم؛ فأرجو أن تعذروني...

وبعد أن انصرف الشيخ (قطب الدين) قال الملك لوزرائه:

لقد صافحتُ كثيراً من الشيوخ والعلماء، فكانت أيديهم ترتعش
خوفاً وإشفاقاً.. أما هذا الشيخ فما وجدتُ في كفه ليناً وضعفاً، وما
وجدتُ في يده ارتعاشاً، بل صافحني بقوّة وحرارة زائدة واعتزاز
نفس.

ولقد قدّم إليه الملك مائة ألف قطعة من الذهب، فقال الشيخ:
سبحان الله! تكفيني (أقتان) من أرز، وسمن بفلس واحد، ماذا أفعلُ
بهذا المال الكثير؟

ولكن قيل له: إنّ الملك يسخط إذا لم تقبل هذه الهدية، فقبل
الشيخ ألفي روية، وقسّمها بين إخوانه وأصحابه وذوي الحاجة.

تربية الطفل

لخصّ الإمام الغزالي منهجه في تربية الطفل على صورة واجبات
الوالد نحو ولده، فبيّن أنه يجب عليه:

١ - تأديبُ ابنه وتهذيبُه وتعليمه محاسن الأخلاق، وحفظه من
قرناء السوء.

٢ - أن لا يحبّب إليه الزينة وأسباب الرفاهية، لئلا يتعود التنعم
فيعسر تقويمه بعد ذلك.

٣ - إذا رأى مخايل التمييز وبواد الحياة، فليعلم أن عقله مشرق، وأن تنمية هذه الباكورة من عزم الأمور، وأحسن ما تنمي به أن يستعان في تأديبه وتهذيبه.

٤ - ليعلم أن أول ما يغلب على الطفل شره الطعام؛ فينبغي أن يؤدب في ذلك، وأن يعود أخذ الطعام بيمينه، والبدء باسم الله، والأخذ بما يليه. . وأن يقبح عنده كثرة الأكل بطريق غير مباشرة، وذلك بدم الطفل الشره، ومدح المتأدب القليل الأكل أمامه.

٥ - أن يعود على اللباس المحتشم والوقور.

٦ - الاعتماد في تربيته على الثواب والعقاب، والمدح أمام الناس. ولا يكون العقاب لكل أمر، بل الأفضل التغافل والتغاضي عن بعض الأمور، ولا سيما إذا خجل الطفل منها، وتستر لإخفائها. ولا يكون العقاب علناً حتى لا تزيد جسارة الطفل، وليكن العقاب قليلاً مجزياً لئلا يهون على الطفل وقع الملام وسماع التأنيب.

٧ - منعه من النوم نهاراً، ومن كل ما يفعله خفية؛ فإنه لا يخفي إلا ما هو قبيح.

٨ - تعويده على الحركة والرياضة والاحتشام.

٩ - منعه من الافتخار على أقرانه بما يملكه هو أو والده، وتعويده التواضع وطيب الحديث.

١٠ - تعويده الإعطاء لا الأخذ ولو كان فقيراً.

١١ - نهيهِ عن بعض الأعمال غير المستحسنة في المجالس كالبصاق والتثاؤب.

١٢ - منعه من القَسَم صادقاً أو كاذباً.

١٣ - تعويده الإقلال من الكلام إلا لحاجة أو ضرورة ويقدر ما يتطلب قضاؤها.

١٤ - تعويده على الصبر .

١٥ - أن يأذن له باللعب بعد الدراسة حتى يستريح ويتجدد ذكاؤه ونشاطه وكى لا يستثقل العلم .

١٦ - تخويفه من السرقة وأكل الحرام وغير ذلك من الأخلاق المذمومة .

١٧ - وإذا بلغ سنَّ التمييز فينبغي أن لا يتساهل معه في كل ما يحتاج إليه أمر الشرع .

إذا صح الحديث فهو مذهبي

روى الربيع بن سليمان قال: سمعتُ الشافعي وقد سأله رجل عن مسألة فقال: يُروى عن النبي ﷺ أنه قال كذا وكذا فقال له: يا أبا عبد الله، أتقول بهذا؟ (أي هل هذا هو رأيك). فارتعد الشافعي، واضفّر لونه وقال: أيُّ أرضٍ تقلني، وأيُّ سماءٍ تظلني إذا رويت عن رسول الله ﷺ ولم أقل: نعم على الرأس والعينين!

وكان الشافعي يُرَدِّد: «مهما قلتُ من قول، أو أصلتُ من أصل، فيه عن رسول الله خلاف ما قلت، فالقول ما قال وهو قولي».

في رحاب العلماء

قال محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة:

«ترك أبي ثلاثين ألف درهم، فأنفقتُ خمسة عشر ألفاً على النحو والشعر، وخمسة عشر ألفاً على الحديث والفقه».

وقال خلف البزاز: «أشكَلُ عليّ باب من النحو، فأنفقتُ ثمانين ألف درهم حتى حدّته».

وقال الفقيه هشام بن عبد الملك الرازي المتوفى سنة ٢٢١هـ:

«أنفقتُ في طلب العلم سبعمائة ألف درهم».

وأنفق محمد بن سلام البيكندي في طلب العلم أربعين ألف درهم.

ابن جرير الطبري

عالم فاضل عُرف بالتفسير والحديث والفقهِ والأصول والقراءات والتاريخ واللغة. وُلِدَ في بلدة (أمل) من بلاد (طبرستان) سنة ٢٢٤، وحفظ القرآن وعمره سبع سنوات، ورحل في طلب العلم وعمره اثنتا عشرة سنة، ودخل بغداد بعد وفاة الإمام (أحمد بن حنبل) سنة ٢٤١ فلم يلقه. له تفسير قيم عنوانه (جامع البيان عن وجوه تأويل آي القرآن) قال عنه أبو حامد الإسفراييني: لو سافر رجل إلى الصين حتى يحصل له تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيراً.

قال (ابن جرير الطبري) يوماً لأصحابه: أنتشطون لتفسير القرآن؟

قالوا: كم يكون قدره؟

قال: ثلاثون ألف ورقة.

فقالوا: هذا مما تفتى الأعمار قبل تمامه!

فاختصره في نحو ثلاثة آلاف ورقة، وأملاه في سبع سنين، وهو مطبوع معروف.. ثم قال لهم:

أنتشطون لتاريخ العالم من آدم إلى وقتنا هذا؟

قالوا: كم قدره؟

فذكرَ نحواً مما ذكره في التفسير، فأجابوه بمثل ذلك فقال: إنا لله! ماتت الهمم. فاختره في نحو مما اختصر التفسير وهو مطبوع عدة طبعات.

قال تلميذه عبد الله الفرغاني في كتاب (الصلة):

إِنْ قوماً من تلاميذ ابن جرير، حَصَّلُوا أيام حياته منذ بلغ الحلم إلى أن توفي وهو ابن ست وثمانين سنة ثم قَسَّمُوا عليها أوراق مصنفاته، فصار منها على كل يوم أربع عشرة ورقة.

وفي خلال تطوافه في البلدان وارتحاله لتلقي العلوم من كبار العلماء مسَّهُ الجوع أكثرَ من مرَّة حتى فَتَّقَ كَمِّي قميصه وباعهما ليقَّات بثمانهما حين أبطأت عليه نفقة والده. وذلك بمصر في حدود سنة ٢٥٦.

وكان - رحمه الله - إذا أهدى إليه مهدٍ هديةً مما يمكنه المكافأة عليها قبلها وكافأه، وإن كانت مما لا يمكنه المكافأة عليها ردَّها واعتذر إلى مهديها.

وكان - رحمه الله - لا يضيع دقيقةً من حياته في غير الإفادة والاستفادة. روى المعافى بن زكريا عن بعض الثقات أنه كان بحضرة (ابن جرير الطبري) قبل موته - وتوفي بعد ساعة أو أقل منها - فذَكَرَ له دعاء عن (جعفر بن محمد)، فاستدعى محبرة وصحيفة فكتبه، فقيل له: أفي هذه الحال؟

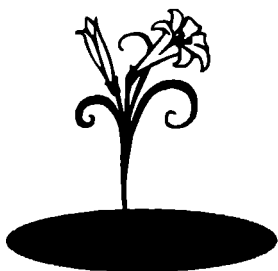
فقال: ينبغي للإنسان أن لا يدع اقتباس العلم حتى الممات.

توفي سنة ٣١٠ من الهجرة النبوية.

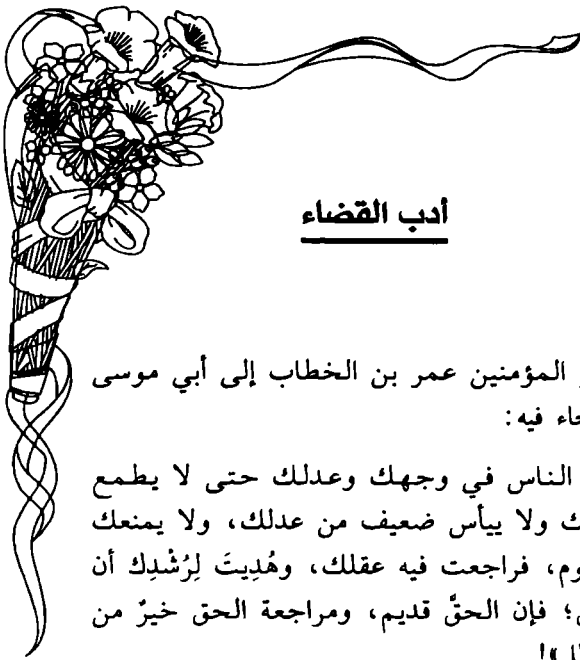
رحمك الله رحمة واسعة يا أبا جعفر.

سعدت أعينُ رأتك وقرَّت العيونُ التي رأت من رآك

الباقة الثالثة
حكايات القضاة العاديين







أدب القضاء

كتب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري كتاباً جاء فيه:

«أس بين الناس في وجهك وعدلك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك، ولا يمنحك قضاء قضيته اليوم، فراجعت فيه عقلك، وهديت لِرُشدك أن ترجع إلى الحق؛ فإن الحق قديم، ومراجعة الحق خيرٌ من التماذي في الباطل!»

وزير لا تقبل شهادته

شهد الفضل بن الربيع وزير الرشيد عند أبي يوسف القاضي، فلم يقبل شهادته فعاتبه الخليفة في ذلك، وقال له: لم رددت شهادته؟ قال أبو يوسف: لأنني سمعته يوماً يقول للخليفة: أنا عبدك، فإن كان صادقاً فلا شهادة للعبد، وإن كان كاذباً فلا شهادة للكاذب، وإذا لم يبال في مجلسك بالكذب فلا يبالي به في مجلسي فعذرة الخليفة!!

حتى لا تضيع الحقوق

رُفعت قضيةٌ لمحمد بن بشير قاضي قضاة الأندلس ضد الوزير ابن فطيس، فاستمع للمدعي ثم استمع للشهود بعد أن استوثق منهم، وبعد ذلك أبرم الحكم ضد الوزير، فطالب الوزير بأن يعرفه بالشهود؛ لأن

هذا من حقه، ولكنَّ محمداً رفض ذلك؛ فاستشاط الوزير غضباً، ورفع الأمر إلى الحكم بن هشام متظلماً، فكتب إليه الحكم يعاتبه، فقال له محمد: ليس ابن فطيس ممن يُعرَّفُ بمن شهد عليه، لأنه إن لم يجد سبيلاً لتجريحهم لا يتخرج من إيذائهم في أنفسهم وأموالهم - ولا يعدم الوسيلة لذلك - مما يجبرهم على ترك الشهادة هم ومن يتأسى بهم؛ وبهذا تضيع حقوق الناس وأموالهم، فأقره الخليفة على ذلك!

كتاب في القضاء

كتب عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - إلى معاوية كتاباً في القضاء يقول فيه: إذا تقدّم إليك الخصمان فعليك بالبيّنة العادلة، أو اليمين القاطعة، وإدناء الضعيف حتى يشتدّ قلبه، وينسط لسأته وتعاهد الغريب، فإنك إن لم تتعاهده سقط حقه، ورجع إلى أهله، وإنما ضيغَ حقه من لم يرفق به. وآس بين الناس في لَحْظِكَ وطَرْفِكَ. وعليك بالصلح بين الناس ما لم يَتَيَّنْ لك فصل القضاء.

مهلاً يا أمير المؤمنين

طلب أبو جعفر المنصور - الخليفة العباسي - مسعر بن كدام ليوليه القضاء، فقال له: مهلاً يا أمير المؤمنين... إنَّ أهلي يطلبون حاجة بدرهم فأقول لهم: أنا أشتريها لكم، فيقولون: لا نرضى بشرائك، فإذا أهلي لا يرضون بشرائي حاجة لهم بدرهم، فكيف يولّيني أمير المؤمنين القضاء؟ فأعفاه.

وهكذا كان أهل الإيمان والتقوى يخافون حمل تلك الأمانة، ويعملون على إعفائهم منها.

سلطان ترد شهادته

حضر السلطان بايزيد إلى المحكمة بين يدي شمس الدين محمد

حمزة الفناري قاضي القسطنطينية ليشهد في قضية رُفعت إليه، فما كان من قاضي القسطنطينية إلا أن يردَّ شهادة السلطان ولم يقبلها! ولما سأل السلطان عن وجه ردها جاءه الجواب الحاسم من القاضي المؤمن: إنك تاركٌ للصلاة مع الجماعة!

عدالة القضاء

دخل الأشعث بن قيس على (شريح) القاضي في مجلس الحكومة، فرحب به شريح وقال له: مرحباً وأهلاً بشيخنا، وأجلَّسَه معه. وبينما هو جالس عنده إذ دخل رجل يتظلم من أشعث فقال له شريح: قُمْ فاجلس مجلس الخصم وكلِّمْ صاحبك.

قال: بل أكلمهُ من مجلسي.

فقال له: لتقومن. أو لأمرن من يقيمك.

فقال أشعث: لشد ما ارتفعت!

مكتبة أهد

فقال شريح: هل رأيت ذلك ضرك؟

قال: لا.

قال: فأراك تعرف نعمة الله على غيرك، وتجهلها على نفسك!

هذه أخلاق الأنبياء

سقطت يوم خيبر درعٌ لعلي بن أبي طالب - رضي الله عنه - فالتقطها رجل من اليهود. ولما وجدها عليٌّ عند اليهودي تحاكماً إلى قاضي المسلمين، وكان عليٌّ إذ ذاك أميراً على الناس.. لكنَّ علياً ليس معه بيِّنة على درعه إلا ابنه الحسن..

فقال له القاضي: أنا أعلم أنك صادق أيها الأمير، ولكن لا بيِّنة لك، ولا تصح شهادة ابنك لك، واليهودي هو واضع اليد.

وحكم القاضي بالدرع لليهودي عملاً بظاهر الأمر، فامتثل عليٌّ وخرج.

فقال اليهودي: أنا أشهد أن هذه أخلاق الأنبياء، وأن هذا هو الدين الحق، وأن الدرع درع عليّ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله.

من سمات المجتمع المسلم

لبث عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قاضياً على المدينة المنورة في خلافة (أبي بكر الصديق) مدة ليست بالقصيرة من الزمن، لم يختصم إليه فيها أحد، فطلب من (أبي بكر) أن يعفيه من هذه المهمة؛ فقال له أبو بكر:

أمن مشقة القضاء تطلب الإعفاء يا عمر؟

فقال: لا يا خليفة رسول الله، ولكن ليس لي حاجة عند قوم مؤمنين: عَرَفَ كُلُّ مَنْهُمْ مَا لَهُ مِنْ حَقٍّ، فَلَمْ يَطْلُبْ أَكْثَرَ مِنْهُ، وَمَا عَلَيْهِ مِنْ وَاجِبٍ، فَلَمْ يُقَصِّرْ فِي آدَائِهِ، أَحَبُّ كُلِّ مَنْهُمْ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ، إِذَا غَابَ أَحَدُهُمْ تَفَقَّدُوهُ، وَإِذَا مَرَضَ عَادُوهُ، وَإِذَا افْتَقَرَ أَعَانُوهُ، وَإِذَا احتاج سَاعَدُوهُ، وَإِذَا أَصِيبَ وَاسَوْهُ، دَيْتُهُمُ النَّصِيحَةُ، وَخُلُقُهُمُ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ؛ ففيم يختصمون؟!

يطلب إعفاءه من القضاء

دخل القاضي (عاقبة بن يزيد) على الخليفة المهدي في وقت الظهيرة، واستعفاه من القضاء، وطلب منه أن يقله من ولايته.

فطنَّ (المهدي) أن بعض الولاة قد عارضه في حكمه؛ فقال له في ذلك:

إن كان عارضك أحد لتكرنَّ عليه.

القاضي: لم يكن شيء من ذلك.

القاضي: يا أمير المؤمنين، تقدّم إليّ خصمان منذ شهر في قضية مشكّلة، وكلّ يدّعي بيّنة وشهوداً، وبدلي بحجج تحتاج إلى تأمل وتثبت؛ فرددت الخصوم؛ رجاء أن يصطلحوا أو أن يظهر الفصل بينهما.

سمع أحدهما أنني أحبّ الرطب، فعمد في وقتنا هذا وهو أوّل أوقات الرطب، فجمع رطباً لا يتهيأ في وقتنا جمع مثله لأمير المؤمنين، وما رأيت أحسن منه، ورشا بوابي بدراهم على أن يدخل الطبق علي، ولا يبالي أن يرد عليه، فلما أدخله علي أنكرت ذلك وطردت بوابي، وأمرت برد الطبق؛ فردّ عليه.

فلما كان اليوم تقدم الخصمان إلي، فما تساويا في عيني ولا قلبي.

فهذا يا أمير المؤمنين ولم أقبل، فكيف يكون حالي لو قبلت؟ ولا آمن أن تقع على حيلة في ديني فأهلك، وقد فسد الناس، فأقلني يا أمير المؤمنين أقالك الله، واعفني عفا الله عنك، فأقاله.

أصدر حكمه على الخليفة

أخذ (عمر بن الخطاب) - رضي الله عنه - فرساً من بائع وركبه ليشوره ويختبره، فحصل للفرس بعض العطب، فقال للرجل: خذ فرسك. ولكنّ الرجل أبى أن يقبله، وقامت خصومةً بينه وبين الخليفة، فقال الخليفة: اجعل بيني وبينك حكماً. قال الرجل: شريح، ورضي الخليفة وتحاكماً إليه، وأصبح الرجل والخليفة سواء أمام القضاء. ونظر (شريح) القضية، ثم أصدر حكمه على الخليفة وقال له: أخذت الفرس صحيحاً سليماً، فخذ ما أبقيت أو ردّ كما أخذت. وتقبّل عمر الحكم بصدور رحب، بل بما هو أكثر من ذلك؛ فقد رأى في (شريح) قاضياً عادلاً، ينطق بالحق ولا يبالي؛ فسُرّ به وقال: وهل



القضاء إلا هكذا؟! وبعثه إلى الكوفة قاضياً فيها، وبقي (شريح) قاضياً هناك ستين سنة!

ما يحل لك أن توليني

كتب الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن أرطاة واليه على العراق: أن اجمع بين (إياس بن معاوية) و(القاسم بن ربيعة الحرشي)؛ فولّ القضاء البصرة أنفذهما. فجمع بينهما، فقال له إياس:

أيها الأمير، سأل عني وعن القاسم فقيهي المصر: الحسن البصري ومحمد بن سيرين. وكان القاسم يجيئهما وإياس لا يجيئهما؛ فعلم القاسم أنه إن سألهما أشارا به فقال له:

لا تسأل عني ولا عنه، فوالله الذي لا إله إلا هو، إن إياس بن معاوية أفقه مني وأعلم بالقضاء: فإن كنت كاذباً فما يحل لك أن توليني وأنا كاذب، وإن كنت صادقاً، فينبغي لك أن تقبل قولي.

فقال إياس للأمير: إنك جئت برجل أوقفته على شفير جهنم؛ فنجى نفسه منها بيمين كاذبة يستغفر الله منها، وينجو مما يخاف.

فقال عدي لإياس: أما إذ فهمتها فأنت لها، واستقضاه!

اكتبوا هذا في مكارم الأخلاق

جلس موسى بن إسحاق قاضي (الري) و(الأهواز) في القرن الثالث الهجري ينظر في قضايا الناس. وكان بين المتقاضيين امرأة ادّعت على زوجها أن عليه خمسمائة دينار مهراً لها؛ فأنكر الزوج أن لها في ذمته شيئاً، فقال له القاضي: هات شهودك. فقال: قد أحضرتهم. فاستدعى القاضي أحدهم وقال له: انظر إلى الزوجة لتشير إليها في شهادتك، فقام الشاهد وقال للزوجة: قومي.

فقال الزوج: ما تريد منها؟

فقيل له: لا بُدَّ أن ينظر الشاهدُ إلى امرأتك وهي مسفرةُ الوجه لتصح عنده معرفتهُ بها.

فكره الرجل أن تُضطرَّ زوجته إلى الكشف عن وجهها للشهود أمام الناس؛ فصاح: إني أشهد القاضي على أن لزوجتي هذا المهر الذي تدعيه ولا تسفر عن وجهها.

فلما سمعت الزوجة ذلك أكبرت في رجلها أنه يضمن بوجهها على رؤية الشهود، وأنه يصونها عن أعين الناس؛ فصاحت تقول للقاضي:

إني أشهدك أنني قد وهبتُ له هذا المهر وأبرأته منه في الدنيا والآخرة!

فقال القاضي لمن حوله: اكتبوا هذا في مكارم الأخلاق!

لم يحكم القاضي للخليفة

بعث الخليفة (المعتضد) إلى القاضي (شريك) كتاباً يقول فيه:

إن لي على فلانٍ مالاً، وقد بلغني أن غرماءه أثبتوا عندك، وقد قسَّطت لهم ماله؛ فاجعلنا كأحدهم.

فقال القاضي لرسول الخليفة: قل له يا أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - ذاكراً له ما قال لي وقت قلْدني - أي عندما ولأه القضاء - أنه أخرج الأمر من عنقه وجعله في عنقي، ولا يجوز لي أن أحكم في مال رجلٍ لمُدِّعٍ إلا بيِّنة.

فرجع الرسول إلى الخليفة.. فقال الخليفة لرسوله:

اذهب إلى القاضي شريك وقل له: فلان وفلان يشهدان. وكانا رجلين جليلين.

فقال القاضي: يشهدان عندي، وأسأل عنهما، فإن زكياً قبلتُ

شهادتهما، وإلاً أمضيتُ ما ثبت عندي.

فامتنع الشاهدان من الشهادة فزعاً، ولذلك لم يحكم القاضي للخليفة بشيء.

القاضي يدعو الخليفة لمجلس الحكم

قدم الخليفة أبو جعفر المنصور المدينة المنورة و (محمد بن عمران الطلحي) قد تولى القضاء فيها. فحضر جماعة من الجمالين، واستعدوه على أمير المؤمنين المنصور في شيء ذكروه، فأمر كاتبه أن يكتب كتاباً إلى المنصور بالحضور معهم، أو إنصافهم، فقال له كاتبه: أرجو أن تعفيني من ذلك؛ فإنه يعرف خطي.

فقال: اكتب. فكتبته وختمت. فقال: والله ما يمضي به غيرك. فمضيتُ به إلى (الربيع) حاجبه، وجعلتُ أعتذر إليه؛ فقال: لا بأس عليك. ودخل بالكتاب على المنصور، ثم خرج الربيع فقال للناس وقد حضر وجوه أهل المدينة:

إن أمير المؤمنين يقرأ عليكم السلام، ويقول لكم: إني قد دُعيت إلى مجلس الحكم؛ فلا أحد منكم يقوم إذا خرجت، ولا يبدأني بالسلام.

قال: ثم خرج وبين يديه (المسيب) و(الربيع) وأنا خلفه، وهو في إزار ورداء، فسلم على الناس؛ فما قام إليه أحد ثم مضى حتى بدأ بقبر النبي ﷺ فسلم عليه، ثم التفت. فلما رآه ابن عمران القاضي أطلق رداءه على عاتقه ثم احتبى به، ودعا بالخصوم الجمالين، ثم دعا المنصور؛ فادعى عليه القوم، وقضى لهم عليه، ثم انصرف. فلما دخل المنصور الدار قال للربيع:

اذهب، فإذا قام القاضي من مجلسه فادعه. فلما دعاه ودخل على المنصور سلم عليه فردَّ عليه السلام وقال له:

جزاك الله عن دينك وعن نبيك وعن حسبك وعن خليفتك
أحسن الجزاء، وأمر له بعشرة آلاف صلة له؛ فكانت عامة أموال
(محمد بن عمران) من تلك الصلة؛ فما أبرك سلوك السنن القويم،
واتباع الصراع المستقيم!

القاضي يحبس صاحب الشرطة ووجهاء الكوفة

أتت امرأة يوماً إلى (شريك بن عبد الله) قاضي الكوفة تشكو إليه
الأمير (موسى بن عيسى) - ابن عم المهدي -؛ إذ أدخل أرضها في
أرضه قسراً، بعد أن ساومها ورغبها في البيع ولكنها لم تبع، فأرسل
يدعوه إلى مجلس القضاء، فطلب الأمير من مدير الشرطة أن يذهب
إليه ويعاتبه، قال صاحب الشرطة: إن رأى الأمير أن يعفيني من ذلك،
فقال: امض وملك! فخرج وقال لغلمانه: اذهبوا وأدخلوا إلى حبس
القاضي بساطاً وفراشاً وما تدعو الحاجة إليه، ثم مضى إلى القاضي
(شريك)، فلما أدى الرسالة أمر به إلى الحبس. وبلغ (موسى بن
عيسى) الخبر، فوجّه الحاجب إليه وقال: رسول أدى رسالة أي شيء
عليه؟

فقال شريك: اذهبوا به إلى رفيقه إلى الحبس. عند ذلك بعث
الأمير إليه جماعةً من وجوه الكوفة من أصدقاء شريك ليكلموه في هذه
القضية، فأمر بهم إلى الحبس جميعاً قائلاً:

حتى لا تعودوا برسالة ظالم.

فركب الأمير موسى في الليل إلى السجن، وفتح الباب بالقوة
وأخرجهم كلهم. فلما كان الغد، وجلس شريك للقضاء، جاءه السجنان
فأخبره؛ فجمع أوراقه ودعا بالقمطر الذي يسان فيه الكتب فختمه
ووجه به إلى منزله، وقال لغلامه: الحق بثقلي إلى بغداد. والله ما
طلبنا هذا الأمر منهم ولكن أكرهونا عليه، ولقد ضمنوا لنا فيه الإعزاز
إذا تقلدناه لهم.

وبلغ الخبر إلى موسى بن عيسى، فركب ولحقه، وجعل يناشده الله أن يرجع، ويعاتبه في حبس إخوانه. قال: نعم؛ لأنهم مشؤوا لك في أمر لم يجز لهم المشي فيه، ولست ببارح أو يُرذوا جميعاً إلى الحبس، وإلاً مضيتُ إلى أمير المؤمنين المهدي فاستعفيته مما قلّدي.

فأمر موسى بردهم جميعاً إلى الحبس، وجلس الأمير مجلس القضاء، وعند ذلك أمر القاضي بإطلاق سراحهم، وحكم على الأمير بعد التقاضي قائلاً: تردُّ ما أخذت منها، وتبني حائطاً سريعاً كما كان. قال الأمير: أفعل ذلك.

قال لها: أبقى لك عليه دعوى؟

قالت: لا، وبارك الله عليك وجزاك خيراً!

هرون الرشيد أمام القضاء

جاء رجل نصراني إلى القاضي (أبو يوسف) يتظلم من ظلم لحقه من هرون الرشيد، يزعم أنه اغتصب منه أرضه. فقال له أبو يوسف: هذه الضيعة في يد من هي؟ قال: في يد أمير المؤمنين.

ثم قال أبو يوسف: فأردتُ تقرب الأمر إليه. فقلت:

من يبيع ثمارها؟

قال: أمير المؤمنين.

قال: ومن يجمع غلاتها؟

قال: أمير المؤمنين.

قال أبو يوسف: وجعلتُ كلما أردتُ منه أن يذكر خصماً غير أمير المؤمنين ردَّ الخصومة فيها إلى أمير المؤمنين.

فلما كان يوم المجلس - مجلس القضاء - جعلتُ أدعو رجلاً

رجلاً حتى وقعت قصة النصراني فدعوته فدخل . . فقرأت قصته على أمير المؤمنين، فقال: هذه الضيعة لنا ورثناها عن المنصور.

فقلت للنصراني: قد سمعت الذي قال: ألك بينة على ما تدعي؟ قال: لا، ولكن خذ لي بيمينه.

فقلت لهرون الرشيد: أتحلف يا أمير المؤمنين؟

قال: نعم. فحلف أمير المؤمنين وانصرف النصراني.

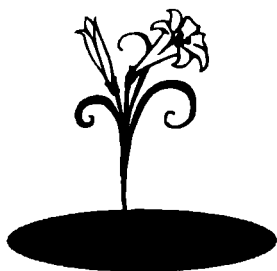
ثم قال أبو يوسف: فما أخاف على نفسي إلا من هذا.

قال الحسن: وأي خوف في هذا، وقد فعلت الذي فعلت؟

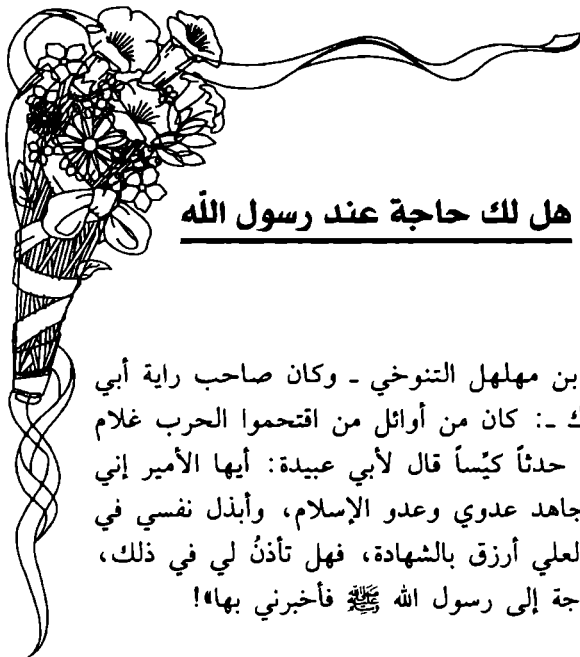
قال أبو يوسف: من تركي أن أقعده معه في مجلس واحد.



الباقية الرابعة
حكايات الأبطال المجاهدين







هل لك حاجة عند رسول الله

قال ورقة بن مهلهل التنوخي - وكان صاحب راية أبي عبيدة في اليرموك -: كان من أوائل من اقتحموا الحرب غلام من الأزد، وكان حدثاً كَيْساً قال لأبي عبيدة: أيها الأمير إنني أشفي قلبي، وأجاهد عدوي وعدو الإسلام، وأبذل نفسي في سبيل الله تعالى لعلي أرزق بالشهادة، فهل تأذن لي في ذلك، وإن كان لك حاجة إلى رسول الله ﷺ فأخبرني بها!

انصر عبادك واجعلني أول شهيد

في نهاوند قال النعمان بن مقرن المزني قبل نشوب المعركة: اللهم أعزز دينك، وانصر عبادك، واجعل النعمان أول شهيد اليوم... اللهم إنني أسألك أن تُقِرَّ عيني اليوم بفتح يكون فيه عز الإسلام أمنوا يرحمكم الله!!

رهبان بالليل فرسان بالنهار

سأل هرقل ملك الروم في القسطنطينية رجلاً من قومه قد أسره المجاهدون المسلمون فأقلت، سأله هرقل عن المسلمين: «أخبرني عن هؤلاء القوم» فقال: أحدثك كأنك تنظر إليهم: هم فرسان بالنهار، رهبان بالليل، ما يأكلون في ذمتهم إلاّ بثمن، ولا يدخلون إلاّ بسلام، يقفون على من حاربهم حتى يأتوا عليه.

فقال (هرقل): لئن صدقتني ليرثون ما تحت قدمي هاتين!

يجر يده وهو يقاتل

حدث في وقعة بدر أن معاذ بن عمرو بن الجموح كُرَّ على أبي جهل، وكان محاطاً بزمرة من رجاله فاخترق الناس إليه، فضربه ضربة أصابت ساقه، فهجم عكرمة بن أبي جهل على معاذ بضربة قطعت يده، فطرحها عن عاتقه ولكنها ظلت معلقة بجلده، فما زال معاذ يقاتل كل ذلك اليوم ويده يجرها وراءه ولم يكن يبالي، فلما آذته وعاقته، جعل رجله عليها وتمطى حتى انفصلت فتركها وواصل القتال.

إن هذا اليوم له ما بعده

قدم خالد بن الوليد إلى الشام مدداً لجيوش المسلمين التي كانت مشتبكة مع الروم على ضفة اليرموك، ويومها وجدهم يقاتلون الروم مفرقين، كل أمير على جيش: أبو عبيدة على جيش، ويزيد بن أبي سفيان على جيش، وشرحبيل بن حسنة على جيش، وعمرو بن العاص على جيش، فخطب فيهم خالد قائلاً:

«إن هذا اليوم من أيام الله لا ينبغي فيه الفخر ولا البغي، فأخلصوا لله جهادكم، وتوجهوا لله تعالى بعملكم، فإن هذا اليوم له ما بعده، فلا تقاتلوا قوماً على نظم وتعبئة وأنتم على تساند وانتشار، فإن ذلك لا يحل ولا ينبغي، وإن من وراءكم لو يعلم عملكم حال بينكم وبين هذا، فاعملوا فيما لم تؤمروا به بالذي ترون أنه هو الرأي من واليكم» قالوا: فما الرأي؟

قال: إن الذي أنتم عليه أشد على المسلمين مما غشيهم، وأنفع للمشركين من إمدادهم، ولقد علمت أن الدنيا فرقت بينكم والله، فهلموا فلتتعاور الإمارة، فليكن علينا بعضنا اليوم وبعضنا غداً، والآخر بعد غد يتأمر كلكم ودعوني اليوم عليكم. قالوا: نعم،

فأمروه وكان الفتح على يد خالد يومئذ!

هذا أبيض كسرى

حين رأى المسلمون إيوان كسرى يلوح أمامهم أبيض ناصعاً تذكروا وعد رسول الله ﷺ على ما رواه مسلم عن جابر بن معمرة أن رسول الله ﷺ قال: «عُصِيَّةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَفْتَحُونَ الْبَيْتَ الْأَبْيَضَ بَيْتَ كَسْرَى أَوْ آلِ كَسْرَى».

فَقَوِيَتْ قُلُوبُهُمْ، وَعَظُمَتْ هِمَّتُهُمْ، وَازْدَادَ إِقْبَالَهُمْ، وَاشْتَاقَتْ نَفُوسُهُمْ إِلَى أَنْ يَكُونُوا تِلْكَ الْعَصِيَّةَ فَنَادَى ضَرَارُ بْنُ الْخَطَّابِ: (الله أكبر) هذا أبيض كسرى. هذا ما وعد الرحمن وصدق رسوله، وكبر المسلمون وفتحوا المدينة، ونزل سعد القصر الأبيض واتخذه مصلى وصلى وقرأ في صلاته قوله تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعَمٍ كَانُوا فِيهَا فَكَاهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَلِكَ وَأَوْفَقْنَاهَا قَوْمًا ءآخِرِينَ ﴿٢٨﴾﴾!

غسيل الملائكة

قال ابن كثير: وحنظلة هذا هو غسيل الملائكة المشهور، وذلك أنه - رضي الله عنه - استشهد وهو جنب، فغسلته الملائكة، فقد كانت معركة (أحد) صبيحة زفافه، فعندما سمع داعي الجهاد ترك عروسه على عجل وحمل سلاحه فالتحق برسول الله ﷺ قبل أن يغتسل من الجنابة.

فقد ذكر ابن إسحاق أن النبي ﷺ قال (بعد أن استشهد حنظلة البطل): «إن صاحبكم - يعني حنظلة - لتغسله الملائكة فاسألوا أهله ما شأنه؟».

فسئلت زوجته (قال الواقدي: وهي جميلة بنت أبي سلول) وكانت عروساً عليه تلك الليلة، فقالت: خرج وهو جنب حين سمع

الهاتفه (يعني صيحة الجهاد) فقال: رسول الله ﷺ: «لذلك غسلته الملائكة».

الهدف من الجهاد

قال عبادة بن الصامت للمقوقس حاكم مصر:

«إن همتنا الجهاد في سبيل الله، وابتغاء رضوانه، وليس لرغبة في الدنيا ولا الاستزادة منها».

فيرد عليه المقوقس:

«لعمري ما بلغتم ما بلغتم إلا بما ذكرت، وما ظهرتم على أعدائكم إلا لحبهم للدنيا ورغبتهم فيها!»

حتى يراجعوا دينهم

عن ابن عمر قال: لقد أتى علينا زمان وما مؤثراً رجل يرى أنه أحقُّ بديناره ودرهمه من أخيه المسلم، ولقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا ضنَّ الناس بالدينار والدرهم، وتبايعوا بالعينه، واتبعوا أذئاب البقر، وتركوا الجهاد في سبيل الله أدخل الله عليهم ذلاً لا يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم».

ديوانه... ديوانه

وقف سعد بن أبي وقاص أمام (المدائن) ولم يجد شيئاً من السفن، وقد زادت دجلة زيادة عظيمة وأسود ماؤها، ورمت بالزبد من كثرة الماء؛ فخطب سعد الجيش على الشاطئ وقال: ألا إني عزمتُ على قطع هذا البحر إليهم! فقالوا جميعاً: عزم الله لنا ولك على الرشد فافعل، ثم اقتحم بفرسه دجلة، واقتحم الناس لم يتخلف عنه أحد، فساروا فيها كأنما يسيرون على وجه الأرض، حتى ملأوا الجانبين، فلا يرى وجه الماء من الفرسان والرجالة، وجعل الناس

يتحدثون على وجه الماء كما يتحدثون على وجه الأرض! فلما رأهم
الفرس يطوفون على وجه الماء قالوا: (ديوانه... ديوانه) أي مجانين.
ثم قالوا: والله ما تقاتلون إنساً بل تقاتلون جنأ!

نعم الزَّوج ونعمت الزوجة

تقدم المسلمون في أواسط آسيا فاتحين مبشرين بقيادة حبيب بن
مسلم الفهري الذي اشتهر في فتوح الشمال... خرج ذات يوم للجهاد
قائلاً لزوجته: إلى اللقاء، وهو يودعها. قالت: أين؟ قال: في خيمة
قائد جيش العدو، أو في الجنة - إن شاء الله - ونشبت المعركة وحمي
وطيسها، ونصر الله جيش المسلمين. وما أن وصل حبيب إلى خيمة
قائد جيش العدو حتى فوجيء بزوجه تقف في وسطها وبادرته: ألم
تقل عند خروجك: إلى اللقاء في هذه الخيمة أو في الجنة؟!

كثرت السواد وحرست المتاع

خرج سعيد بن المسيب إلى الغزو وقد ذهبت إحدى عينيه فقيل
له: إنك عليل. قال: استنفر الله الخفيف والثقيل. فإن لم يمكني
الحرب كثرت السواد وحرست المتاع.

رصيد المسلمين

في يوم الجمعة سنة ٦٥٩ هجرية (١٢٦٠) ميلادية وعلى مشارف
غزة والجيش الإسلامي يواجه جحافل التتار المكتسحة، وقبيل بدء
الالتحام، انطلق صوت القائد المسلم قطز:

«أيها المسلمون، ما ناجزكم أحدٌ إلا ذلٌّ، فما تدق الساعة الآن
إلا تحملوا على المشركين حملة المستأسد لتنزعوا النصر من أيديهم؛
فأثبتوا ينصركم الله!»!

ودقت ساعة الجهاد، وانتزع الجيش الإسلامي النصر، وجعل من

رمال غزة مقبرةً للمغول الغزاة، وسجلت (عين جالوت) أن ما من أحد ناجز المسلمين إلا ذل!

وعقب هذا النصر المبين وقف القائد المسلم (قطز) وألقى الكلمة الآتية:

«أيها المسلمون إياكم والزهو بما صنعتم، ولكن اشكروا الله واخضعوا لقوته، إنه ذو القوة المتين.. وما يدريكم لعل دعوات إخوانكم على المنابر في الساعة التي حملتم فيها على عدوكم من هذا اليوم العظيم.. يوم الجمعة في هذا الشهر المبارك شهر رمضان.. كانت أمضى على عدوكم من السيوف التي ضربتم بها، والرماح التي طعنتم بها، والقوس التي عنها رميتم، واعلموا أنكم لن تنتهوا من الجهاد وإنما بدأتموه، وإن الله ورسوله لن يرضيا عنكم حتى تقضوا حق الإسلام بطرد أعدائه من سائر بلاده!

يا لها من امرأة

قام منصور بن عمار يحضُّ على الجهاد، وكان من بين السامعين امرأة، فطرحت رقعة كتبت فيها: رأيتك يا ابن عمار تحضُّ على القتال، وقد ألقيتُ ذؤابتي - أي ضفائر شعرها - فلست أملكُ والله غيرها، فبالله اجعلها قيد فرس غاز في سبيل الله، فعسى الله أن يرحمني بها. فارتجَّ المجلس بعد قراءة هذه الرقعة بالبكاء تأثراً وسارع الناس إلى التدافع إلى الجهاد في سبيل الله.

انقض صلاح الدين على الصليبيين

بعثت أوروبا جنودها الصليبيين، وقذفت بهم لفتح فلسطين... وطلع عليهم صلاح الدين الأيوبي وحرَّض المؤمنين على القتال، وانقضَّ بهم على الأعداء، واستنقذ بيت المقدس في شهر تشرين الأول سنة ١١٨٧ م. وخرج منها الصليبيون مخذولين بعد أن استولوا عليها نحو قرن.

انفروا خفافاً وثقالاً

قرأ أبو طلحة الأنصاري سورة (براءة) حتى بلغ هذه الآية:

﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾

فقال: يأمرنا أن نخرج خفافاً وثقالاً، شباباً وكهولاً، ما سمع الله عذر أحد؛ فقال لبنيه: أي بني، جهزوني... جهزوني... جهزوني... جهزوني (يعني للجهاد) فقال بنوه: يرحمك الله! قد غزوت مع النبي ﷺ حتى مات، ومع أبي بكر حتى مات، ومع عمر حتى مات، فنحن نغزو عنك!

قال: لا، جهزوني. فجهزوه بجهاز الحرب، فغزا في البحر، فمات في الطريق، ولم يجدوا له جزيرة يدفونه فيها - رضي الله عنه -!

عليكم بالجهاد

قال خالد بن الوليد - رضي الله عنه -:

(... وما من عمل أرجى عندي بعد لا إله إلا الله من ليلة شديدة الجليد، في سرية من المهاجرين، بثها وأنا متترس والسماء تنهل عليّ، وأنا أنتظر الصبح حتى أغير على الكفار، فعليكم بالجهاد).

ها قد سبقتك إلى الجنة

في معركة (عين جالوت) انتظر الملك المظفر (قطرز) بالمسلمين وقت صلاة الجمعة ليباشروا قتال أعدائهم، وخطباء المسلمين على المنابر يعججون مع المسلمين إلى الله بالدعاء أن يؤيدهم وينصرهم. ولما نشبت المعركة واشتدت، تعرّض السلطان للقتل على أيدي خمسة من التتر: قذفوا بأنفسهم، شاهرين سيوفهم عليه؛ فأسرّع فارسٌ ملثمٌ يدافع عنه، فأصابته طعنة قاتلة خرز على أثرها صائحاً: «صن نفسك يا



سلطان المسلمين، ها قَدْ سَبَقْتُكَ إِلَى الْجَنَّةِ». ولما تَبَيَّنَ لِلسُّلْطَانِ أَنَّ المَلْثَمَ إِنَّمَا هُوَ السُّلْطَانَةُ زَوْجَتُهُ هَالَهُ الأَمْرُ، وَحَمَلَهَا وَهُوَ لَا يَعْقِلُ مَا يَفْعَلُ، حَتَّى أَدْخَلَهَا الخِيْمَةَ، وَأَضْجَعَهَا عَلَى فِرَاشِهَا، وَجَعَلَ يُقَبِّلُ جَبِينَهَا وَالدَّمْعُ وَتَنَهَّمُ مِنْ عَيْنَيْهِ وَهُوَ يَقُولُ: وَازْوَجَاهُ! وَاحْبِيبَتَاهُ! فَأَحْسَنَتْ بِهِ، وَرَفَعَتْ نَظْرَهَا إِلَيْهِ، وَقَالَتْ بِصَوْتٍ ضَعِيفٍ مُتَقَطِّعٍ وَهِيَ تَجُودُ بِرُوحِهَا: «لَا تَقُلْ وَاحْبِيبَتَاهُ! قُلْ وَإِسْلَامَاهُ!!» وَمَا لَبِثَتْ أَنْ لَفِظَتْ الرُّوحَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَطَبَعَ السُّلْطَانُ عَلَى جَبِينِهَا القُبْلَةَ الأَخِيرَةَ، وَمَسَحَ دَمْعَهُ وَنَهَضَ، تَارِكاً زَوْجَتَهُ الشَّهِيدَةَ لِمَنْ يَتَوَلَّى تَجْهِيزَهَا.

ولما رآه المسلمون عاد إلى محله من قلب الجيش صاحوا جميعاً: الله أكبر! وتمثلت لهم بطولَةُ السُّلْطَانَةِ الشَّهِيدَةِ؛ فَشَعَرُوا بِهَوَانِ أَنْفُسِهِمْ عَلَيْهِمْ، وَحَمَلُوا وَاسْتَبَسَلُوا، فَاشْتَدَّتْ هَجَمَاتُ التُّرِّ، وَكَادَتْ تَتَضَعَّضُ صَفُوفُهُمْ تَحْتَ ضَرِبَاتِ التُّرِّ، لَوْلَا أَنَّ السُّلْطَانَ تَقَدَّمَ قَلِيلاً إِلَى الأَمَامِ، فَكَشَفَ عَنْهُ خُوذَتَهُ، وَأَلْقَى بِهَا إِلَى الأَرْضِ، وَصَرَخَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: وَإِسْلَامَاهُ! وَإِسْلَامَاهُ! وَحَمَلَ بِنَفْسِهِ وَبِمَنْ مَعَهُ حَمَلَةً صَادِقَةً، وَتَرَدَّدَ صَوْتُهُ هَذَا فِي أَرْجَاءِ المِيدَانِ، فَسَمِعَهُ مَعْظَمُ العَسْكَرِ وَرَدَّدَهُ مَعَهُ، وَحَمَلُوا حَمَلَةً صَادِقَةً رَدَّتْ التُّرَّ، وَكَانَتْ ابْتِدَاءَ النُّصْرِ المَوْزَّرِ.

صاحب النقب

استعصى على (مسلمة بن عبد الملك) فتح حصن من الحصون؛ فنظر طويلاً في الحصن؛ فوجد نقباً (فتحة يمكن الدخول منها)، فندب الناس للدخول منه.. فخرج رجل من الجيش، ودخل النقب؛ ففتح الله على يديه الحصن!

فأراد (مسلمة) أن يعرف من صاحب النقب، فأمر أن ينادي المنادي في الناس ويقول: إن الأمير يعزم على صاحب النقب أن يدخل عليه ليكافئه على فعله.

فخرج من عرض الجيش رجل ملثم غير معروف، ووقف عند

باب القيادة وأراد الاستئذان على الدخول على الأمير، قال له
الحاجب: أنت صاحبُ النقب؟
قال: أنا أخبركم به.

ولما مثل بين يدي مسلمة قال له:

أيها الأمير، إنَّ صاحب النقب يشترط عليكم ثلاثة شروط؛ حتى
يُعرِّفكم بنفسه.

قال مسلمة: له ذلك.

قال: ١ - أن لا تسألوا عن اسمه واسم أبيه.

٢ - أن لا تُرسلوا اسمه للخليفة.

٣ - أن لا تأمروا له بعتاء.

ثم كشف الرجل عن وجهه وقال: أنا صاحب النقب.

فبكى مسلمة لإخلاق الرجل، وكان إذا صلى يدعو الله قائلاً:

اللهم اجعلني مع صاحب النقب! اللهم احشرنى مع صاحب

النقب!!

استحيي من الله أن يراني مبتسماً

أرسل الخليفة من مصر إلى (نور الدين محمود الشهيد) يستنجده
ويستغيثه لحماية مصر وأعراض المسلمين فيها، وأرسل مع الوفد
خصلات من شعر نسائه حتى يستثير شهامة (نور الدين)؛ فأرسل ثلاث
حملات متتابعات، وكان في كل حملة المجاهد المعروف بصدقه
(صلاح الدين الأيوبي).

وفي الحملة الأخيرة استقرَّ الأمر لـ (نور الدين) في مصر،
وأصبح (صلاح الدين) نائبه في حكمها، فقام (الصليبيون) بإنزال على
سواحل مصر، وتقدَّمت جيوشهم فحاصرت مدينة (دمياط) - شمالي

القاهرة - و طال الحصار، واشتدّ على المسلمين فيها، وكانت أخبار الحصار تصله تباعاً وهو في دمشق، فيتمزق قلبه ألماً وخوفاً على المسلمين المحاصرين.

وجاء رمضان، وكان من عاداته - رحمه الله - أن يذهب إلى الجامع الأموي عصر كل يوم: يؤدي الصلاة، ويستمع إلى بعض العلماء يقرأ أحاديث رسول الله ﷺ بعد الصلاة. فقرأ العالم أحاديث مسلسلة بالتبسم: وهي أحاديث قالها رسول الله ﷺ مبتسماً؛ فتلقاها عنه المسلمون مبتسمين، وكان كلما قرأها قارئ لهم يبتسم ويبتسمون ويبتسم العالم إلا السلطان (نور الدين) فقد كان مكتئباً حزيناً؛ فقال له العالم: يا مولاي، أقرأ أحاديث رسول الله ﷺ مسلسلة بالتبسم، ويبتسم الناس، وتبقى أنت مكتئباً لا تبسم؟ فأجاب - رحمه الله -:

إني لأستحيي من الله أن يراني مبتسماً، والمسلمون يحاصروهم (عباد الصليب).

وكان من عاداته - أيضاً - أن يذهب مُبَكِّراً إلى الجامع الأموي قبل أذان الفجر: يقرأ القرآن، ويصلي ما يبسرُّ الله له إلى أن يشق الفجر. وبعد أيام قليلة من اعتراض العالم عليه وجوابه له، ذهب - كعادته - إلى الجامع، فرأى الإمام واقفاً في طريقه، فسأله: ما شأنك؟

فقال له: رأيت سيدي رسول الله في المنام فقال لي: بشرْ (نور الدين) بأنَّ الله فرَّج عن المسلمين في (دمياط)، ورفع عنهم الحصار! فقلتُ له: يا سيدي يا رسول الله، اذكر لي علامة أقولها لـ (نور الدين) يصدّقني إذا بشرّته؛ فقال لي:

قل له: بعلامة ما سجدت على (تل حارم)^(١)! فنزل (نور الدين) عن فرسه، وسجد وبكى ومرَّغ وجهه بالتراب، وقال: اللهم انصر

(١) مدينة تقع في شمال حلب انهزم فيها المسلمون.



دينك ولا تنصر نور الدين محمود، ومن نور الدين الكلب حتى تنصره؟

تنافس في الشهادة

حدثت قرعة بين سعد بن خيشمة وبين أبيه قبيل غزوة بدر فأصابت القرعة الابن، فطلب منه أبوه أن يتنازل له، فقال له ولده: «يا أبتاه! لو كان ما تريد غير الجنة لأجبتُ» ثم استشهد سعد في المعركة. وفي السنة القادمة حدثت غزوة أحد فأسرع (خيشمة) بالذهاب إلى رسول الله - ﷺ - قائلاً:

لقد رأيت ابني البارحة في المنام في أحسن صورة ينعم في الجنة ويقول:

«لقد وجدتُ يا أبي ما وعدني ربي حقاً، فالحق بنا ترافقنا في الجنة».

وقد أصبحْتُ يا رسول الله مشتاقاً إلى مرافقة ولدي ولقاء ربي، فادع الله أن يرزقني الشهادة. فدعا له رسول الله - ﷺ - ثم دخل المعركة فاستشهد في أحد.

إنه أخي في الله دونك

كان أبو عزيز من مشركي قريش، جاء معهم يقاتل سيدنا محمداً وأصحابه في بدر، وفيهم أخوه (مصعب بن عمير). وكان أبو عزيز يوماً صاحب لواء المشركين، وفي الوقت نفسه كان أخوه مصعب صاحب لواء المسلمين. ووقع أبو عزيز في الأسر، ورآه مصعب فقال لمن أسره: شدُّ يدك به، فإن أمه ذات مال ومتاع كثير.

فقال أبو عزيز: يا أخي، أهذه وساطتُك بأخيك؟

قال مصعب: إنه أخي في الله، ولا أخوة في كفر.

وقد دفعت أمه فداءه أربعة آلاف درهم، وهو أعلى فداء في أسرى بدر.

الله ابتعثنا

أرسل (سعد بن أبي وقاص) - رضي الله عنه - قبل معركة القادسية (ربيعي بن عامر) رسولا إلى (رستم) قائد الجيوش الفارسية وأميرهم. فدخل عليه، وقد زئنا مجلسه بالنمارق وأنواع المفروشات، وأظهروا اليواقيت واللاكيء الثمينه، وكان على رأس (رستم) تاجه وغير ذلك من الأمتعة الثمينه، وقد جلس على سرير من ذهب. أما (ربيعي ابن عامر)، فقد دخل عليه بثياب صفيقة وترس وفرس قصير. . وأقبل وعليه سلاحه، وبيضته على رأسه، فقالوا له: ضع سلاحك؛ فقال: إنني لم آتكم، وإنما جئتكم حين دعوتموني: فإن تركتموني هكذا وإلا رجعت.

فقال (رستم): ائذنوا له.

فدخل عليه فقال له (رستم):

ما جاء بكم؟

فأجابه (ربيعي):

«الله ابْتَعَثَنَا لِنُخْرِجَ مِنْ شَاءَ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَمَنْ ضَيَّقَ الدُّنْيَا إِلَى سَعَةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ، وَمَنْ جَوَرَ الْأَدْيَانَ إِلَى عَدْلِ الْإِسْلَامِ».

انقطعت أسبابي في نصرة دينك

لما بلغ (صلاح الدين الأيوبي) تجمع الصليبيين لاسترداد القدس بعد أن طُردوا منه، وتقاوس أمراء الجند عن الدفاع والحفاظ، ضاق صدره، وأشفق أن يسقط القدس في أيدي الصليبيين من جديد، فقال له ابن شداد:

قد وقع لي واقع، وأظنه مفيداً إن شاء الله تعالى، فقال صلاح الدين: وما هو؟

فقال له القاضي:

الإخلاق إلى الله تعالى، والإنابة إليه، والاعتماد في كشف هذه الغمة عليه!

فقال صلاح الدين: وكيف نصنع؟

فقال القاضي: اليوم الجمعة، فاغتسل يا مولاي عند الرواح، وصل على العادة بالأقصى موضع مسرى النبي - ﷺ - وقدم يا مولاي التصديق بشيء خفية على يد من تثق به، وصل ركعتين بين الأذان والإقامة وقل في باطنك: [إلهي قد انقطعت أسبابي الأرضية في نصره دينك، ولم يبق إلا الإخلاق إليك، والاعتصام بحبلك، والاعتماد على فضلك، أنت حسبي ونعم الوكيل] فإن الله أكرم من أن يخيب قصدك.

يقول القاضي:

ففعل ذلك كله، ووصلت إلى جانبه، وصى الركعتين بين الأذان والإقامة، ورأيت ساجداً، ودموعه تتقاطر على شيبته، ثم على سجادته، ولا أسمع ما يقول... فلم ينقض ذلك اليوم، حتى جاءت الأخبار التي تبشر باختلافهم... ثم توالت الأخبار باختلافهم، ثم امتناع عزمهم عن مهاجمة القدس.

أول من سن ركعتين

حكم المشركون على (خبيب بن عدي) بالقتل، وقدم لينفذ فيه الحكم، فطلب من جلاديه أن يمنحوه فرصة ينجي بها ربه، فقال لهم: دعوني أصل ركعتين.

وبعد أن انتهى من صلاته انصرف إليهم وقال:

لولا أن تروا أن ما بي من جزع من الموت لزدت (أي في

الصلاة)، فكان أول من سنَّ الركعتين عند القتل.

ولما رفعوه على الخشبة لقتله قال:

«اللَّهُمَّ أحصهم عدداً، واقتلهم بدءاً، ولا تبق منهم أحداً» ثم أنشد يقول:

ولست بمببد للعدو تخشعاً ولا جزعاً إني إلى الله مرجعي
ولست أبالي حين أقتل مسلماً على أي جنب كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزع

بطولات المجاهدين في مواجهة الصليبيين

في شهر جمادى الأولى سنة ٥٧٣ هـ، خرج (صلاح الدين الأيوبي) من مصر إلى ساحل الشام يريد غزو الفرنج، وتحرير ديار الإسلام من عساكرهم، وخرج معه جنوده، وانفتح الطريق أمامهم، فظفروا ماضين لا تفرقهم إلا مواضع الغنائم، كأن ليس لها حارس ولا مدافع، إلى أن وصل إلى الرملة، قاصداً بعض حصون العدو في عزيمة لم ينل منها ما نال أكثر جنوده من الطمع في الأسلاب، فلم يرعه إلا وجحافل الفرنج تحدد به من كل ناحية، وتتقدم نحوه مرعدة مزمجرة، فوقف لها مع من بقي معه، وكان أول الأبطال بين يديه ابن أخيه الشاب الذي لما يكتمل بعد سواد لحيته، فقاتل فأنخن في العدو وفرق بعض شمله، ثم عاد يأخذ مكانه إلى جانب عمه القائد، فصرخ فيه أبوه أن أعد الكرة بعد أن فتح الله عليه، فأعاد الكرة فأنخن القتل في العدو إلى أن وافته الشهادة عزيزاً كريماً، وكان من أبطال المعركة الفقيه (الشيخ عيسى الهكاري) الذي لم يكن بلاؤه في ضرب العدو بأقل من بلائه في مسائل الفقه والشريعة، واستحکم هجوم الفرنج على (صلاح الدين) يريدون قطع دابره، فصبر لهم حتى اقترب منه قائدهم الشجاع، فصرعه (صلاح الدين) صرعةً أذهبت أحلام من وراءه، فاختلط بعضهم ببعض، واستمر الأمر كذلك إلى أن غشاهم الليل،

وهو - رحمه الله - يكاد يكون وحده بين كثرة الفرنج ووفرة عدتهم؛ فاتخذ من الليل سرباً يفرُّ به إلى البرية الواسعة، في طريقه إلى القاهرة، وعانى هو ومن لحق به من مشاق الفرار وقلة القوت والماء ما أهلك أكثر دوابهم جوعاً وعطشاً، وضاع في الرملة كثير من المسلمين بين قتيل وأسير، وكان من بين الأسرى الفقيه (الشيخ عيسى الهكاري) بعد أن ضلَّ الطريق، وبقي في الأسر إلى أن افتداه (صلاح الدين) بستين ألف دينار، وبعده ضخم من أسرى الفرنج!..

هكذا ينقل التاريخ قصة هزيمة (صلاح الدين) في الرملة، ولعلك تجد في ثناياها ما وجدته فيها من طرائف المشاهد والعبير..

إن فيها طالع الشؤم القديم عند الرملة!..!

وإن فيها مشهد الشجاعة الفذة في (صلاح الدين) المقاتل، شجاعة تستعلن في خط النار، لا على أعواد المنابر!

وإن فيها كرامة القيادة في أقرباء القائد، كرامة يسبق بها الأقرباء إلى التضحية والفداء..

وإن فيها مكانة العلم والفقه في معسكر صلاح الدين، مكانة مقرونة بالجهاد الذي فرضه الله، وكرامة على نفس القائد حتى ليبدل لافتدائها - وهو المعسر - المال الوافر، والعدد الضخم من أسرى الأعداء، فهي قيادة تحتضن العلم والفقه وتفتديهما..

وإن فيها أمانة القائد البطل الذي لا يكذب على الناس فيسمي الهزيمة انتصاراً: فإن صلاح الدين ما أن وصل إلى القاهرة بعد أسبوعين أو ثلاثة حتى كتب إلى شمس الدولة (نورانشاه) يصارحه بما أصابه في الرملة.

وأخيراً: طالعتُ في شخص صلاح الدين صورة المؤمن الخافض الجناح، لا يرى في نجاته مجداً لشخصه، ولكن بشارة بأن الله إنما يدخره لأمر هو صاحب الإرادة فيه، وبذلك تتضح كلماته التي ختم بها رسالته إلى شمس الدولة:

«لقد أشرفنا على الهلاك غير مرة، وما أنجانا الله - سبحانه - إلا لأمر يريده هو سبحانه».

ترى متى تستعيد أمتنا هذا السميت المؤمن، دون جعجة ولا كذب ولا استعلاء؟!

شدا عليه مثل الصقرين

روى عبد الرحمن بن عوف - رضي الله عنه - مشهداً بطولياً لشابين من شباب الإسلام هما: (عوف) و(معوذ) ابنا الحارث الخزرجي الأنصاري قال:

إني لفي الصف يوم بدر، فالتفتُ عن يميني وعن يساري، فرأيتُ فتَيْنِ حديثي السن، فقال لي أحدهما سرّاً من صاحبه:

يا عم، أرني أبا جهل.

فقلت: يا ابن أخي وما تصنع به؟

قال: عاهدتُ ربي إن رأيتُه أن أقتله أو أموت دونه.

وقال لي الآخر سرّاً من صاحبه مثله؛ فأشرتُ لهما إليه؛ فانطلقا إليه، وشدا عليه مثل الصقرين، فضرباه حتى صرعا. وقد استشهد هذان البطلان في غزوة بدر!!

دعوة وجهاد

قبيل معركة اليرموك، وبعد أن وقف الناس صفين، تقدّم قائد مقدمة البيزنطيين (النصارى) جرجة، فطلب خالد بن الوليد - رضي الله عنه - فخرج إليه، وأمرَ كلَّ منهما صاحبه، ودار بينهما الحوار الآتي:

قال جرجة: يا خالد، اصدقني ولا تكذبني، فإن الحرّ لا يكذب، ولا تخادعني؛ فإن الكريم لا يخادع المسترسل:

هل أنزل الله على نبيكم ﷺ سيفاً من السماء فأعطاكمه، فلا تسله على قوم إلا هزمتهم؟
قال خالد: لا.

قال: ففيهم سُميت سيف الله؟

قال: إن الله بعث فينا نبيّه محمداً ﷺ فكنثُ فيمن كذبه وقاتله، ثم إن الله هداني، فتابعته؛ فقال: أنت سيفُ الله سلّه الله على المشركين، ودعا لي بالنصر.

قال: فأخبرني: إلام تدعو الناس؟

قال: إلى الإسلام، أو الجزية، أو الحرب.

قال: ما منزلة الذي يجيئك ويدخل فيكم؟

قال: منزلتنا واحدة.

قال: فهل له مثلكم من الأجر والذخر؟

قال: نعم، وأفضل، لأننا اتبعنا نبيتنا ﷺ وهو حيٌّ يخبرنا عن الغيب، ونرى منه العجائب والآيات، وحق لمن رأى ما رأينا، وسمع ما سمعنا أن يُسلم.. وأنتم لم تروا مثلنا، ولم تسمعوا مثلنا، فمن دخل منكم بنيةً وصدق كان أفضل منا..

فقلب جرجة ترسه، وسار مع خالد وأسلم، وقال له:

علمني الإسلام.

فمال به خالد إلى فسطاطه، فشنَّ عليه قربة من ماء وصلّى ركعتين.. ثم خرج معه، فقاتل البيزنطيين حتى قُتل شهيداً.

كن أبا خيثة

كان رسول الله ﷺ قد سار بجيشه قاصداً (تبوك) وسار معه صحابته الكرام. أما أبو خيثة (مالك بن قيس) فلم يخرج. وقد شعر

(أبو خيثمة) بالندم على تخلفه عن رسول الله ﷺ فعاد إلى أهله في يوم شديد الحر، وكان له زوجتان وهما في بستانه، فوجد امرأته قد رشّت كل منهما عريشها، وبردت له ماء، وهيات له فيه طعاماً... .

فوقف (أبو خيثمة) على باب بستانه، ونظر إلى امرأته وما صنعتا له فقال لهما:

رسول الله في الشمس والريح والحر، و(أبو خيثمة) في ظل وماء بارد وطعام مهياً وامرأة حسناء في ماله مقيم، ما هذا بالنصف والعدل. ثم قال:

والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله ﷺ فهيناً لي زاداً.

ففعلتا، ثم قدم بعيره فارتحله، وخرج في طلب رسول الله ﷺ حتى أدركه حين نزل (تبوك).

وكان (أبو خيثمة) قد أدرك (عمير بن وهب الجمحي) في الطريق يريد الالتحاق برسول الله ﷺ فترافقا، حتى إذا قربا من تبوك قال (أبو خيثمة) لعمير:

إن لي ذنباً، فلا عليك أن تتخلف عني حتى آتي رسول الله ﷺ، ففعل عمير.. حتى إذا دنا (أبو خيثمة) قال الناس: يا رسول الله، هذا راكب على طريق مقبل - فنظر إليه رسول الله ﷺ وقال:

كُنْ أبا خيثمة.

فقالوا: هو - والله - أبو خيثمة.

فلما أناخ (أبو خيثمة) راحلته أقبل فسلم على رسول الله ﷺ فقال له: أولى لك يا أبا خيثمة (كلمة فيها معنى التهديد).

فأخبر (أبو خيثمة) رسول الله ﷺ بخبره، واعتذر إليه.. فقبل رسول الله ﷺ عذره، ودعا له بخير. وقد أنشد يومذاك شعراً قال:

ولما رأيت الناس في الدين نافقوا
 وباعتهُ باليمنى يدي لمحمد
 أتيتُ التي كانت أعفَ وأكرمًا
 فلم أكتسب إثمًا ولم أغش محرما
 صفايا كراماً بسرهما قد تحمما
 إلى الدين نفسي شطره حيث يمما
 وكنتُ إذا شكُ المنافق أسمحت

كل رجل بألف رجل

لما حاصر (عمرو بن العاص) حصن (بابليون) طلب من عمر بن الخطاب أن يمدّه بمدد عدده أربعة آلاف مقاتل يستعين بهم على إتمام فتح مصر، فأرسل إليه عمر أربعة رجال وعلى رأسهم (الزبير بن العوام)، وكتب إليه: بعثت إليك بأربعة رجال وعلى رأسهم الزبير كل رجل بألف.

فلما طال الحصار قال الزبير: إني أهب نفسي لله، وأرجو أن يفتح الله بذلك على المسلمين: فأعدَّ العدة لما عزم عليه، ودقَّ الخندق في الموضع الذي اختاره للهجوم، وكتب أمر الوقت الذي اختاره لذلك بحذق ومهارة، ثم نفَّذ خطته في جنح الظلام بسرعة عجيبة، فنصب سُلماً وأسنده إلى سور الحصن دون أن يلحظه العدو، ثم تسلَّق السلم حتى أوفى على الحصن شاهراً سيفه بيده ونادى: الله أكبر؛ فهلعت قلوبُ مَنْ في الحصن، وأبدوا مقاومة لم تُجدهم شيئاً، ثم انتهوا بتسليم الحصن.

البطلة الجريحة

لما كان (يوم أحد)، قاتلت أمُّ عمارة (نسيبة بنت كعب المازنية) قتال الأبطال. وكانت أم سعد بنت سعد بن الربيع تقول:
 دخلتُ على أم عمارة فقلتُ لها: يا خالة، أخبريني خبرك.
 فقالت:

خرجتُ أوّل النهار، وأنا أنظر ما يصنع الناس، ومعى سقاء فيه

ماء، فانتهيتهُ إلى رسول الله ﷺ وهو في أصحابه، والريح والدولة للمسلمين.

فلما انهزم المسلمون، انحزْتُ إلى رسول الله ﷺ، فقمْتُ أباشِرُ القتال، وأذْبُ عنه بالسيف، وأرْمِي عن القوس، حتى خلصت الجراح إليّ.

قالت أم سعد: فرأيت على عاتقها جرحاً أجوف له غور، فقلت: مَنْ أصابك بهذا؟

قالت: ابن قمينة أقماه الله! لِمَا وُلِيَ الناس عن رسول الله ﷺ أقبل يقول: دُلُونِي على محمد فلا نجوتُ إن نجا، فاعترضْتُ له أنا ومصعب ابن عمير، وأنا ممن ثبت مع رسول الله ﷺ فضربني هذه الضربة، ولقد ضربته على ذلك ضربات، ولكن عدو الله عليه درعان.

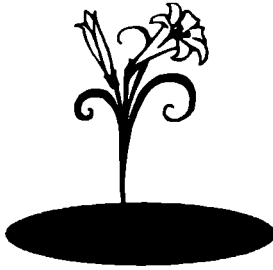
وبقيت (أم عمارة) تقاتل، حتى جُرِحَ ولدها (عبيد بن زيد)، وصار دمه يسيل، وهي منشغلة بالدفاع عن رسول الله ﷺ حتى صاح رسول الله ﷺ على ولدها: اعصب جرحك. فتنبّهت (أم عمارة) إلى ولدها، وأخرجت عصائب كانت أعدتها للجراح، فربطت جرح ولدها وقالت: بني انهض فضارب القوم.

فقال رسول الله ﷺ: ومن يطيق ما تطيق أم عمارة؟

ثم أقبلَ الرجل الذي ضرب ولدها، فضربته (أم عمارة) بسيفها على ساقه، فبرك إلى الأرض، واحتوشته سيوف الصحابة، فابتسم رسول الله ﷺ وقال:

الحمد لله الذي ظفرك، وأقرَّ عينيك من عدوك، وأراك تارك بعينك. وقد أصيبت (أم عمارة) يوم أحد بثلاثة عَشْرَ جرحاً رضي الله عنها!

الباقة الخامسة
الأخلاق والآداب الإسلامية







تربية عالية

أسرَّ معاوية - رضي الله عنه - إلى ابن أخيه عمرو حديثاً قال: فأتيت أبي وقلت له: إن أمير المؤمنين أسرَّ إليَّ حديثاً فأحادثك به؟ قال: لا، لأنه من كتم حديثه كان الخيار إليه، ومن أظهره كان الخيار عليه، فلا تجعل نفسك مملوكاً بعد أن كنت مالكاً.

فقلت: أو يكون هذا بين الرجل وابنه؟

قال: لا، ولكن أكره أن تعودَ لسانك إذاعة السر!

قال عمرو: فرجعت إلى عمي فأخبرته بذلك فقال: أعتقك أخي من رقِّ الخطأ!!.

الموت أحب إليهم من الحياة

وصف رسل المقوقس جند عمرو بن العاص فقالوا:

رأينا قوماً الموت أحب إلى أحدهم من الحياة، والتواضع أحب إليهم من الرفعة، ليس لأحدهم في الدنيا رغبة ولا نهمة وإنما جلوسهم على التراب، وأميرهم كواحد منهم، ما يعرف رفيعهم من وضعيهم، ولا السيد فيهم من العبد... وإذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها منهم أحد... يغسلون أطرافهم بالماء ويخشعون في صلاتهم.

لا تَشْكُ إِلَّا لِلَّهِ

جاء ابن أخ الأحنف بن قيس يشكو إليه كريباً أصابه، فأعرض عنه الأحنف، ثم عاد إليه شاكياً مراراً وهو يعرض عنه، فلما رآه لا يمسك قال له: يا ابن أخي إذا نزلت بك مصيبة فاشكها إلى الذي يملك كشفها ولا تشكها إلى المخلوقين، فإنما الناس منك رجلان، إما صديق أسأته وإما عدو شمتته!

إذا ذكرتهم الكفار فعمموا

مرَّ رسول الله ﷺ بقبر وهو في طريقه إلى الطائف فسأل أبا بكر عن صاحب هذا القبر فقال: هذا قبر رجل كان عاتياً على الله ورسوله - وهو سعيد بن العاص - فغضب ابنه عمرو بن سعيد، وقال: يا رسول الله، هذا قبر رجل كان أطعم للطعام وأضرب للسهام من أبي قحافة، فقال أبو بكر: يكلمني هذا يا رسول الله بمثل هذا الكلام؟ فقال ﷺ:

اكفف عن أبي بكر، فانصرف، ثم أقبل ﷺ على أبي بكر فقال: يا أبا بكر، إذا ذكرتهم الكفار فعمموا، فإنكم إذا خصصتم غضب الأبناء للآباء، فكف الناس عن ذلك.

كمال المروءة

دخل عبد الملك بن مروان على معاوية وعنده عمرو بن العاص فسلم وجلس ثم لم يلبث أن نهض، فقال معاوية:

ما أكمل مروءة هذا الفتى!

فقال عمرو: إنه أخذ بأخلاق أربعة، وترك أخلاقاً ثلاثة. أخذ بأحسن البشر إذا لقي، وبأحسن الحديث إذا حدث، وبأحسن الاستماع إذا حدث، وبأيسر المؤونة إذا خولف. وترك مزاح من لا يثق بعقله، وترك الكلام فيما لا يعنيه، وترك مخالطة لثام الناس!

التوكل

قال الإمام الغزالي - رحمه الله -: قد يظن أن معنى التوكل ترك الكسب بالبدن، وترك التدبير بالقلب والسقوط على الأرض كالخرقة الملقاة، وكاللحم على الوضغ، وهذا ظن الجهال، فإن ذلك حرام والشرع قد أثنى على المتوكلين، فكيف ينال مقام من مقامات الدين بمحظورات الدين، بل إنما يظهر تأثير التوكل في حركة العبد وسعيه إلى مقصده.

هكذا نفعل بعلمائنا

قال الشعبي: ركب زيدُ بن ثابت، فدنا منه عبدُ الله بن عباس - رضي الله عنهما - فأخذ بركابه فقال: لا تفعل يا ابن عمِّ رسول الله ﷺ فقال: هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا.

فقال زيد: أرني يدك، فأخذها وقبَّلها وقال: هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا ﷺ!

اللهم اهدِ ثقيفاً

حاصر رسول الله ﷺ الطائف أكثر من عشرين يوماً، فلما استعصت على المسلمين أمر النبي ﷺ أصحابه بالرحيل، فقال له قائل منهم: يا رسول الله، ادعُ الله على ثقيف - أي على أهل ثقيف - فرفع رسول الله ﷺ يديه قائلاً: اللهم اهدِ ثقيفاً وائت بهم مسلمين!!

أدب السلف مع الصحابة

يُمسك السلفُ عما شجر بين الصحابة ويقولون: إن الآثار المروية في مساويهم منها ما هو مكذوب، ومنها ما قد زيد فيه أو نقص وغير وجهه، والصحيح منه هم فيه معذرون: إما مجتهدون مصيبون وإما مجتهدون مخطئون، ولهم من السوابق والفضائل ما

يوجب مغفرة ما صدر منهم - إن صدر - حتى إنه ليغفر لهم من السيئات ما لا يغفر لمن بعدهم.

هلا رضيت بما ترضى لنفسك؟!

كان عند يونس بن عبيد حلال مختلفة الأثمان: قيمة بعضها أربعمائة درهم، وقيمة بعضها الآخر مائتان، فخرج يوماً إلى الصلاة وخلف ابن أخيه في الدكان، فجاء أعرابي وطلب حلةً بأربعمائة، فعرض عليه من حلال المائتين، فاستحسنها ورضيها واشتراها، فمضى بها وهي على يديه فاستقبله يونس وهو عائد من صلاته فعرف حلته فقال للأعرابي: بكم اشتريت؟ فقال: بأربعمائة. فقال يونس: لا تساوي إلا مائتين فارجع حتى تردّها. فقال: هذه تساوي في بلادنا خمسمائة، فقال له: ارجع فإن النصح للمسلمين خير من الدنيا بما فيها، ثم ردّه إلى الدكان، وردّ عليه مائتي درهم، وخاصم ابن أخيه في ذلك وقال له: أما استحييت، أما اتقيت الله؟ تريح منه الضعف؟ قال: ما بعته إياها إلا وهو راضٍ بها! قال: فهلا رضيت له بما ترضى لنفسك؟!

معك لا معي

قال رجل لأبي بكر - رضي الله عنه -: والله لأسبّك سباً يدخل معك القبر!

قال أبو بكر: معك يدخل لا معي!

لا تضجرون مريضاً

قال عيسى بن الوزير: أنشدني أبو بكر بن مجاهد وقد جثته عائداً وأطال عنده قوم كانوا قد حضروا للعيادة فقال لي: يا أبا القاسم، عيادة ثم ماذا؟ فصرف من حضر، وهممت بالانصراف معهم،

فأمرني بالرجوع إليه ثم أنشدني عن محمد بن الجهم:

لا تُضَجِرَنَّ مريضاً جثت عائده إن العيادة يومٌ إثرَ يومين
بل سلَّهُ عن حاله وادعُ الإله له واقعدْ بقدرِ فواقِ بينِ حلبين
من زار غيباً أخاً دامت مودتُهُ وكان ذاك صلاحاً للخليلين

الغيبة

عاب رجلٌ رجلاً عند بعض الصالحين فقال له: لقد استذللْتُ
على كثرة عيوبك بما تُكثِرُ من عيب الناس؛ لأنَّ الطالب للعيوب إنما
يطلبها بقدر ما فيه منها.

الدعاء المستجاب

قال بعض السلف: كل حاجة أحتاجها وأريد أن أدعو بها لنفسي
أدعو بها لأخي في ظهر الغيب؛ لأنني إذا دعوت لنفسي كان الأمر
محتملاً للقبول أو ضده، وإذا دعوت لأخي في ظهر الغيب، فالمَلِكُ
يقول: ولك مثل ذلك، ودعاء الملك مستجاب.

ما وضع ما فعلا من شرفهما

كان الكسائي يؤدب الأمين والمأمون ابني هرون الرشيد فأراد
يوماً النهوض من عندهما فابتدرا إلى نعليه ليقدماهما له فتنازعا أيهما
يفعل، ثم اصطلحا على أن يقدم كل واحد منهما واحدة. فلما علم
الرشيد بذلك دعا الكسائي وسأله: من أعز الناس؟

قال: لا أعلم أعزَّ من أمير المؤمنين. قال: بلى، إن أعزَّ الناس
من إذا نهض تقاتل على تقديم نعليه وليا عهد المسلمين، حتى يرضى
كل منهما أن يقدم له واحدة. فأخذ الكسائي يعتذر حاسباً أنه أخطأ،
فقال الرشيد: لو مَنَعْتَهُمَا من تلك لأوجَعْتُكَ لوماً وعتباً، ولألزَمْتُكَ
ذنباً، فما وضع ما فعلا من شرفهما، بل رفع من قدرهما، وبين عن

جوهرهما، ولقد تبينت مخيلة الفراسة بفعلهما، فليس يكبر المرء وإن كان كبيراً عن ثلاث: تواضعه لسلطانه، ولوالده ولمعلمه!!

هل تسفك الدماء إلا بالنميمة

قال عطاء بن السائب: قدمت من مكة فلقيني الشعبي فقال: يا أبا زيد أطرفنا مما سمعت. قلت: سمعت عبد الرحمن بن عبد الله بن سابط يقول: لا يسكن مكة سافك دم ولا آكل ربا، ولا مشاء بنميم! فعجبتُ منه حين عدل النميمة بسفك الدماء وأكل الربا! فقال الشعبي: وما يعجبك من هذا؟ وهل تُسْفِكُ الدماء وترتكب العظائم إلا بالنميمة؟!!

المروءة في القرآن

قال لسفيان بن عيينة: قد استنبطت من القرآن كل شيء... فأين المروءة فيه؟

فقال: في قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (١٩٩) ففيه المروءة وحسن الأدب ومكارم الأخلاق فجمع في قوله: خذ العفو: صلة القاطعين، والعفو عن المذنبين، والرفق بالمؤمنين. ودخل في قوله: وأمر بالعرف: صلة الأرحام، وتقوى الله في الحلال والحرام، وغضُّ الأبصار، والاستعداد لدار القرار. ودخل في قوله: وأعرض عن الجاهلين: الحضُّ على التخلق بالحلم، والإعراض عن أهل الظلم، والتنزه عن منازعة السفهاء، ومساواة الجهلة بالأغنياء.

على مثلها فاشهد

أراد رجل أن يشهد في خلاف بين جماعة عند رسول الله ﷺ وقبل أن يتكلم نَبَّهُ الرسول ﷺ إلى خطر الشهادة وأمره برفع بصره

إلى السماء ثم سأله: هل ترى الشمس؟ قال: نعم.
قال: هل يسترها سحب أو يحجبها حجاب؟ قال: لا. قال -
صلوات الله وسلامه عليه -: على مثلها فاشهد.

أنت حرّ لوجه الله

رفع عبدٌ لزين العابدين شاةً وقد كسرَ رجلها، فسأله سيده: لم
فعلت هذا؟ فقال: لأثير غضبك. فردّ عليه: وأنا سأغضب من علمك
وهو إبليس: اذهب فأنت حر لوجه الله!

الطمع

لو قيل للطمع: من أبوك؟

لقال: الشك في المقدرة.

ولو قيل له: ما حرفتك؟

لقال: اكتساب الذل.

ولو قيل له: ما غايتك؟

لقال: الحرمان.

أردت أن يستفزني الشيطان

أسمع رجلٌ عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه - ما يكره فقال
له: لا عليك وإنما أردت أن يستفزني الشيطان بعزة السلطان. فأنا
منك اليوم ما تناله مني غداً؛ انصرف إذا شئت!

علاج الكبر

دخل الخليفة عمر بن الخطاب - المسجد - فسكت المتكلم
ووقف الجالس.. فاستاء لذلك وذهب لفوره إلى المنبر ونادى الناس،

فلما اجتمعوا قال بعد أن حمد الله :

لقد طُوِّخْتُ بذاكرتي إلى الماضي، ووجدتني كنتُ أرعى غنماً لبني مخزوم بحففات من تمر، فإذا ما توانيتُ يوماً جرى ورائي الخطاب بعكازته، وقال: من أين أُطعمُ خالاتك!؟

فقال له عبد الرحمن بن عوف: ما زدت يا أمير المؤمنين على أن قصرت بنفسك فقال: أنتم الذين حَمَلْتُمُونِي على ذلك... أردتم أن تزرعوا شجرة الكبر، فأردت أن أنزعها من جذورها!

أَكَالُ لَا رِزَاقُ

اسْتَشْهِدَ أَحَدُ الْمَجَاهِدِينَ فِي مِيدَانِ الْجِهَادِ وَكَانَ فَقِيرًا ذَا عِيَالٍ، وَقَابَلَتْ زَوْجَتُهُ نَبَأَ اسْتِشْهَادِهِ بِصَبْرٍ وَإِيمَانٍ، وَعِنْدَمَا سُئِلَتْ عَنْ سَبَبِ تَجَلُّدِهَا وَهِيَ لَا تَجِدُ قُوَّةَ نَفْسِهَا وَلَا قُوَّةَ أَوْلَادِهَا قَالَتْ عَنْ زَوْجِهَا: عَرَفْتَهُ أَكَالًا وَمَا عَرَفْتُهُ رِزَاقًا، وَلَتَنَ ذَهَبَ الْأَكَالُ لَقَدْ بَقِيَ الرِّزَاقُ!

أَتَيْتُكَ لِأَزْدَادٍ أَدْبَاءَ

كَانَ (شَعِيبُ الْقَلَالِ) مَاهِرًا فِي صِنْعَةِ الْقَلْلِ فَأَحَبَّ الرَّشِيدُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ كَيْفَ يَعْمَلُ؛ فَدَعَاهُ إِلَى الْقَصْرِ وَمَعَهُ كُلُّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ آلَةِ الْعَمَلِ. فَبَيْنَمَا هُوَ قَدْ شَرَعَ يَعْمَلُ إِذْ دَخَلَ (الرَّشِيدُ) عَلَيْهِ فَنَهَضَ (شَعِيبُ) قَائِمًا، فَقَالَ لَهُ الرَّشِيدُ: اجْلِسْ وَخُذْ فِيمَا أَنْتَ فِيهِ فَإِنِّي لَمْ آتِ بِكَ لِتَقُومَ لِي؛ بَلْ لِتَعْمَلَ بَيْنَ يَدَيَّ. فَقَالَ لَهُ شَعِيبُ: وَأَنَا - أَصْلَحَكَ اللَّهُ - لَمْ آتِكَ لِيَسُوءَ أَدْبِي وَإِنَّمَا آتَيْتُكَ لِأَزْدَادٍ أَدْبَاءَ! فَأَعْجَبَ الرَّشِيدُ بِهِ.

مِنَ الْوَرَعِ مَا يَبْغُضُهُ اللَّهُ

قال رجل: أفطرت البارحة على رغيف وزيتونة ونصف أو زيتونة وثلاث، أو زيتونة وربيع، أو ما علم الله من زيتونة أخرى، فقال له من

حضر المجلس: يا فتى إنه بلغنا أن من الورع ما يبغضه الله، وأحسب أن ورعك من هذا النوع.

اجعله في جملة الحديث

قال حاتم: إذا رأيت من أخيك عيباً: فإن كتمته عنه خُنته، وإن قلته لغيره فقد اغتبتته، وإن واجهته فقد أوحشته!

قيل له: وكيف أصنع؟

قال: تكفي عنه، وتجعله في جملة الحديث.

أهل الفضل

ما روي عن رسول الله ﷺ:

«إذا جمع الله الخلائق نادى مناد: يا أهل الفضل، قال: فيقوم ناس وهم يسير فينطلقون سراعاً إلى الجنة، فتتلقاهم الملائكة، فيقولون: إنا نراكم سراعاً إلى الجنة فمن أنتم؟ فيقولون: نحن أهل الفضل. فيقولون: وما فضلكم؟ فيقولون: كنا إذا ظلمنا صبرنا، وإذا أسيء إلينا حلمنا. فيقال لهم: ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين!»

كواذب الأخلاق

ركب عمرو بن العاص - رضي الله عنه - بغلة قد شمط وجهها هرمًا واجتاز بها منازل أمراء الصحابة، فقال له أحدهم:

أتركب هذه البغلة أيها الأمير وأنت من أقدر الناس على امتطاء أكرم فرس في مصر؟ فقال: لا ملل عندي لدابتي ما حملت رحلي، ولا لامراتي ما أحسنت عشرتي، ولا لصديقي ما حفظ سري، فإن الملل من كواذب الأخلاق!

يؤدب نفسه

قيل لابن المقفع: من أدبك كل هذا الأدب؟ قال: نفسي فقيل له: وكيف يؤدب الإنسان نفسه بغير مؤدب؟ قال: كيف لا؟ كنت إذا رأيت حسناً أتيته، وإذا رأيت قبيحاً أبيت. وبهذا وهذه أدبت نفسي.

عقوق الوالدين

قال رسول الله ﷺ: كل الذنوب يؤخر الله منها ما شاء إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين؛ فإن الله تعالى يعجله لصاحبه في الحياة قبل الممات.

رحمك الله يا ابن عبد العزيز

قال عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - لمولاه مزاحم: إن الولاية جعلوا العيون على العوام، وأنا أجعلك عيني على نفسي: فإن سمعت مني كلمة تريباً بي عنها، أو فعلاً لا تحبه، فعظني وانهي عنه!

ورع

قال محمد بن سيرين: لم أعلم أن أحداً استقاء من طعام أكله غير أبي بكر، فإنه أتى بطعام فأكله، ثم قيل له: جاء به ابن النعمان. فقال: فأطعمتموني من كهانة ابن النعمان؟! ثم استقاء.

أدب المجالسة

جاء رجل إلى عمرو بن عبيد فقال: إن فلاناً لم يزل يذكر بك بسوء في قصصه ويقول: عمرو بن عبيد الضال المبتدع، فقال عمرو: يا هذا، ما رعيت مجالسة الرجل حيث نقلت حديثه إلينا، ولا رعيت حقي حيث أبلغتني عن أخي ما أكره. أبلغه أن الموت يعمنا والبعث يحشرنا، والقيامة تجمعنا، والله يحكم بيننا.

مجامع السعادة

قال عمر بن عبد العزيز: ثلاث من اجتمعن فيه فقد سعد: من إذا غضب لم يخرج غضبه عن الحق، وإذا رضي لم يدخله رضاه في الباطل، وإذا قدر عفاً وكف.

زوج حكيم

روي أن رجلاً أراد أن يطلق امرأته فقيل له: ما الذي يريبك منها؟ قال: العاقل لا يهتك سترأ. فلما طلقها قيل له: لم طلقتها؟ فقال: ما لي ولامرأة غيري...؟

إيثار لا تعرف الدنيا له مثيلاً

قال حذيفة العدوي: انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لي ومعني شيء من ماء وأنا أقول: إن كان به رمق سقيته منه ومسحت به وجهه. فلما وجدته أشرت إليه أن أسقيه، فقال لي ابن عمي: نعم، فإذا برجل يقول: آه؛ فأشار إليّ ابن عمي أن انطلق إليه، فجئته، فإذا هو هشام بن العاص. فلما أشرت إليه سمع آخر يقول: آه، فأشار إليّ هشام أن انطلق إليه، فجئته، فإذا هو قد مات، فرجعت إلى هشام فإذا هو قد مات فانصرفت إلى ابن عمي فإذا هو قد مات!!

تكبرت في مكان يتواضع فيه الناس

يُروى أن رجلاً كان يسعى بين الصفا والمروة راكباً فرساً (قبل أن يصير المسعى في المسجد) وبين يديه العبيد والغلمان تُوسّع له الطريق ضرباً! فأثار بذلك غضب الناس وحملقوا في وجهه، وكان فارح الطول، واسع العينين. وبعد سنين رآه أحد الحجاج الذين زاملوه يتكفف الناس على جسر بغداد، فقال له: ألسنت الرجل الذي كنت تحج في سنة كذا وبين يديك العبيد تُوسّع لك الطريق ضرباً؟! قال:

بلى، قال: فما صيرك إلى ما أرى؟ قال: تكبّرتُ في مكان يتواضع فيه العظماء، فأذلني الله في مكان تتعالى فيه الأذلاء!

يستأثرون على خدامهم

مر عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يوماً بمكة فرأى الخدم وقوفاً والسادة يأكلون، فغضب وقال مُنكراً: ما لقوم يستأثرون على خدامهم؟! ويأبى إلا أن يجلس الخدم للأكل مع السادة في جفنة واحدة!

لا تعاقب عند الغضب

كتب عمر بن عبد العزيز إلى عامل من عماله ما يأتي:
لا تعاقب عند غضبك، وإذا غضبت على رجل فاحبسه وانظر حتى يسكن غضبك، فأخرجه وعاقبه بقدر...!

علامة حسن الخلق

قال السيوطي: علامة حسن الخُلُق عشرة أشياء: قلّة الخلاف، وحسنُ الإنصاف، وتركُ طلب العشرات، وتحسين ما يبدو من السيئات، والتماس المعذرة، واحتمال الأذى، والرجوع بالملامة على النفس، والتفرد بمعرفة عيوب النفس دون عيوب الغير، ولطافة الوجه للكبير والصغير، ولطف الكلام لمن هو دونه أو فوقه.

ثم قال السيوطي: وللجلس عليك ثلاثة حقوق: إذا دنا رحبت به، وإذا جلس وسعت له، وإذا تحدث أقبلت عليه.

ما أجمل التواضع

كان عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - جالساً بين أصحابه ذات يوم في بيته، فضعف نور السراج، فقام وأصلحه بنفسه؛ فقال له أحد الحاضرين:

يا أمير المؤمنين، كلُّ واحدٍ منا كان يَودُّ أن تأمره بإصلاح السراج! فقال عمر: ليس من المروءة أن يَسْتَحْدِمَ الإنسانُ ضيفه: فَمُتْ وأنا عمر، ورجعتُ وأنا عمر!!

الصحبة

إن كان خليلُك فوقك فاصحبه بالحرمة، وإن كان كُفأكَ ونظيرك فاصحبه بالوفاء، وإن كان دونك فاصحبه بالرحمة، وإن كان عالماً فاصحبه بالخدمة، وإن كان جاهلاً فاصحبه بالسياسة، وإن كان غنياً فاصحبه بالزهد، وإن كان فقيراً فاصحبه بالسخاء.

لا تغضب

جاء رجل إلى سلمان الفارسي - رضي الله عنه - قائلاً: يا عبد الله، أوصني قال: لا تغضب. قال: لا أقدر، قال: فإن غضبت فأمسك لسانك ويدك!

بكي واستغفر

حج واحد من الدراويش إلى بيت الله الحرام فبلي حذاؤه، وألْهَبَتْ حرارةُ الصحراءِ قدميه، فتابع سفره ساخطاً على سوء حظه الذي حرمه من مال يساعده على ركوب مطية، حتى إذا وصل إلى مكة رأى على أحد أبوابها سائلاً مقطوع الساقين؛ فبكى واستغفر!

رسول الله في بيته

عن عروة عن عائشة - رضي الله عنها - أنها كانت تقول:

والله يا ابن أخي كنا لننظر إلى الهلال ثم إلى الهلال ثم إلى الهلال، ثلاثة أهلة في شهرين وما أوقد في أبيات رسول الله ﷺ نار. قال: قلت: يا خالة فما كان يعشيكم؟ قالت:

الأسدان: التمر والماء، إلا أنه قد كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار، وكانت لهم منائح، فكانوا يرسلون إلى رسول الله ﷺ - من ألبانها فيسقيناه.

تفعل هذا مع حاجتك؟!

مرَّ عمر بن عبید اللّٰه بن معمر بزنجي يأكلُ عند بستان في المدينة وبين يديه كلب: إذا أَكَلَ لِقْمَةً طَرَحَ له لِقْمَةً؛ فقال له عمر بن عبید اللّٰه:

أهذا الكلبُ كلبُكَ؟

قال: لا.

قال: فلم تُطْعِمُهُ مثلما تأكل؟

قال: إني أستحيي من ذي عينين ينظر إليّ وأنا مستبد بمأكول دونه.

قال: أحرُّ أنت أم عبد؟

قال: عبد لبعض بني عاصم.

فأتى عمر ناديهم فاشتراه، واشترى البستان، ثمَّ جاءه فقال:

أشعرت أن الله قد أعتقك؟

قال: الحمد لله وحده، ولمن أعتقني بعده!

قال: وهذه البستانُ لك.

قال: أشهد أنها وقفٌ على فقراء المدينة.

قال: ويحك! تفعل هذا مع حاجتك؟

قال: إني أستحيي من الله أن يوجد لي شيء فأبخل به عليه.

الأعز والأذل

من غرائب الطاعة للرسول - ﷺ - وإيثاره على النفس والأهل والعشيرة ما روي عن عبد الله بن عبد الله بن أبي فقد روى ابن جرير الطبري قال:

دعا رسول الله - ﷺ - عبد الله بن عبد الله بن أبي قال:

ألا ترى ما يقول أبوك؟

قال: ما يقول بأبي أنت وأمي؟

قال: يقول: لئن رجعنا إلى المدينة ليُخرجنَّ الأعزُّ منها الأذلُّ.

فقال: فقد صدق والله يا رسول الله أنت والله الأعز وهو الأذل، أما والله لقد قدمت المدينة يا رسول الله وإن أهل يثرب ليعلمون ما بها أحد أبرّ مني، ولئن كان يرضي الله ورسوله أن آتيهما برأسه لأتيتهما به؛ فقال رسول الله - ﷺ -: لا!

فلما قدموا المدينة قام عبد الله بن عبد الله بن أبي على بابها بالسيف لأبيه ثم قال:

أنت القاتل: لئن رجعنا إلى المدينة ليُخرجنَّ الأعزُّ منها الأذلُّ؟ أما والله لتعرفن العزة لك أو لرسول الله - ﷺ -، والله لا يأويك ظله، ولا تأويه أبداً إلاّ بإذن من الله ورسوله.

فقال: يا للخزرج، ابني يمنعي بيتي، يا للخزرج، ابني يمنعي بيتي؟!!

فقال: والله لا يأويه أبداً إلاّ بإذن منه. فاجتمع إليه رجال فكلّموه فقال: والله لا يدخله إلاّ بإذن من الله ورسوله. فأتوا النبي ﷺ فأخبروه فقال: اذهبوا إليه فقولوا له: خله ومسكنه. فأتوه فقال:

أما إذا جاء أمر النبي - ﷺ - فنعم.

أنت رجل مشرك نجس

قدم أبو سفيان المدينة، فدخل على ابنته أم حبيبة، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله - ﷺ - طوته عنه، فقال: يا بنية، ما أدري: أرغبت بي عن هذا الفراش، أم رغبت به عني؟
قالت: بل هو فراش رسول الله وأنت رجل مشرك نجس.

أنا وصاحبي أحوج لغير هذا

يروى أن يهودياً كان له عند رسول الله - ﷺ - دين، فأراد أن يطلب دينه قبل حلول أجله؛ فاعترض رسول الله في طريق المدينة وقال:

إنكم بني عبد المطلب قوم مطل (أي مماطلون).

ورأى عمر بن الخطاب ذلك فغضب وقال: إن أذن لي رسول الله - ﷺ - قطعت عنقه!

فقال النبي - ﷺ -: أنا وصاحبي أحوج إلى غير هذا يا عمر: مُرّه بحسن التقاضي، ومرني بحسن الأداء.

ثم التفت إلى اليهودي وقال:

يا يهودي، إنما يحل دينك غداً.

أنا ابن امرأة من قريش

دخل على رسول الله - ﷺ - رجل، فهاب أن يكلم رسول الله - ﷺ - فقال له الرسول:

«لا تخف، هوّن عليك، إنما أنا ابنُ امرأةٍ كانت تأكل القديد بمكة».

ومرّ يوماً - صلوات الله وسلامه عليه - على قوم، وأرادوا أن

يقفوا له إجلالاً واحتراماً، فنهاهم قائلاً لهم:

«لا تقوموا كما يقوم الأعاجم يُعظّم بعضهم بعضاً».

ولما أحسّ - صلوات الله وسلامه عليه - أنه راحل عن الدنيا بعد أن أتمّ الله نعمته على المؤمنين، وأكمل لهم دينهم صعد المنبر وقال:

«أيها الناس، مَنْ كُنْتُ جلدتُ له ظهراً فهذا ظهري فليستقد مني، ومن كُنْتُ شتمتُ له عرضاً، فهذا عرضي فليستقد مني، ومن أخذتُ له مالاً فهذا مالي فليأخذ منه، ولا يخشى الشحناء، فهي ليست من شأني».

ويوم تصدى له (غوث بن الحارث) ليقنتله وشهر السيف عليه وقال له: مَنْ يمنعك مني يا محمد؟

قال له الرسول الكريم: (الله...). فسقط السيف من يده، فأخذه النبي وقال له: من يمنعك مني؟

فقال غوث: «كن خير آخذ».

فعفا عنه رسول الله - ﷺ - وعاد (غوث) إلى قومه فقال لهم:

«جئتم من عند خير الناس».

أرعبتم الفتى

سئل الأحنف بن قيس: ممن تعلمت الحلم؟

فقال: تعلمته من قيس بن عاصم المنقري. حضرته يوماً وهو محتب يحدثنا، إذ جاءوا بابن له قتيل، وابن عم له كتفوه، فقالوا: هذا قتل ابنك هذا!

فلم ينقطع عن حديثه، ولا حلّ حبوته، حتى فرغ من الحديث، فالتفت إليهم وقال:

أرعبتم الفتى!

ثم أقبل عليه فقال:

يا بُنَيَّ، نَقَّصْتُ عَدَدَكَ، وَأَوْهَنْتُ رِكَنَكَ، وَفَتَّتُ فِي عَضْدِكَ،
وَأَشْمَتُّ عَدُوكَ، وَأَسَأْتُ إِلَى قَوْمِكَ.

ثم التفت إلى قومه وقال:

أين ابني فلان؟

فوقف بين يديه، فقال له:

«يا بُنَيَّ، قم إلى ابن عمك فأطلقه، وإلى أخيك فادفنه، وإلى أمِّ
القتيل فاعطها مائة ناقة، لأنها غريبة، لعلها تسلو عنه...!»!

مؤهلات السيادة

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -:

إنما يستحق السيادة من لا يصانع، ولا يخادع ولا تغرّه
المطامع.

وقال معاوية بن أبي سفيان لعرابة الأوسي:

بم سدت قومك؟

فقال: لستُ بسيدهم، ولكني رجل أعطيْتُ في نائبتهم، وحلمت
عن سفيهم، وشددت على يد حلیمهم، وعطفت على ذي الخلة
منهم. فمن فعل فعلي فهو مثلي، ومن قَصَّرَ عني فأنا أفضل منه، ومن
تجاوزني، فهو أفضل مني.

إن الله عظم الوفاء

بينما كان المسلمون يحاصرون مدينة (السوس) في حروبهم مع
الفرس؛ إذ بهم يفاجزون أن أهل المدينة يفتحون أبوابها، ويخرجون
إلى السوق من غير سلاح آمنين مطمئنين، وكانهم ليسوا في حالة

حرب. فأرسل (المسلمون) إليهم يسألونهم عن سرّ هذا التحول المفاجيء وخروجهم وهم عزّل من السلاح وذهابهم إلى السوق لقضاء حوائجهم دون أن يخشوا شيئاً؛ فأجابهم أهل المدينة:

«رميتم إلينا بالأمان، فقبلناه، وأقررنا لكم بالجزء على أن تمنعونا».

فقال المسلمون في دهشة: «ما فعلنا».

فقالوا: «ما كذبنا».

فأخذ المسلمون يسأل بعضهم بعضاً، فإذا عبّد من المسلمين يدعى (مكتفياً) يقول: إنه هو الذي كتب لهم الأمان.

وأراد المسلمون أن يردوا الأمان الذي أعطاهم إياه عبد لا يملك من أمر نفسه شيئاً؛ فقالوا لهم:

إننا لا نعرف حركم من عبدكم، وقد جاءنا أمان فنحن عليه، قد قبلناه ولم نبذل: فإن شئتم فاغدروا.

فاضطر المسلمون إلى وقف القتال وعدم التعرض لهم حتى يسألوا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب.. فبعث إليهم عمر يقول:

«إن الله عظيم الوفاء، فلن تكونوا أوفياء حتى تفوا. ما دتم في شك أجزوهم ووفؤوا لهم».

فأطاع المسلمون أمر عمر، ووفوا لهم، ولم ينقصوهم من حقوقهم شيئاً، وأعطوهم الأمان!

أجوع يوماً وأشبع يوماً

١ - يروي أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن فاطمة بنت النبي ﷺ - جاءت بكسرة خبز إلى النبي ﷺ - فقال لها:

«ما هذه الكسرة يا فاطمة؟».

قالت: «قرص خبزته فلم تطب نفسي حتى آتيتك بهذه الكسرة».

فقال النبي - ﷺ -: «أما إنه أوّل طعامٍ دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيام».

٢ - وخطب رسول الله - ﷺ - فقال: «والله ما أمسى في آل محمدٍ صاع من طعام». قال راوي الحديث: وإنها لتسعة أبيات، والله ما قالها استقلالاً لرزق الله، ولكن أراد أن تتأسى به أمته.

٣ - قالت عائشة - رضي الله عنها -: مات رسول الله - ﷺ - وما في بيتي شيء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير في رف لي، وقال لي - ﷺ -: «إني عرض عليّ أن تجعل لي بطحاء مكة ذهباً، فقلت: لا يا رب، أجوع يوماً، وأشبع يوماً، فأما اليوم الذي أجوع فيه فأنضغ إليك وأدعوك، وأما اليوم الذي أشبع فيه فأحمدك وأثني عليك».

وهبت القافلة للفقراء

في عهد الفاروق عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أصاب الناس قحط وشدة، وكانت قافلة من الشام مكونة من ألف جمل، محملة بأصناف الطعام واللباس قد حلت لعثمان - رضي الله عنه - في أرض المدينة؛ فتراكض التجار عليه؛ يطلبون أن يبيعهم هذه القافلة؛ فقال لهم:

كم تعطوني ربحاً؟

قالوا: خمسة في المائة.

قال: إني وجدت من يعطيني أكثر.

فقالوا: ما نعلم في التجار من يدفع أكثر من هذا الربح.

فقال لهم: إني وجدت من يعطيني على الدرهم سبعمائة فأكثر،

إني وجدتُ الله - سبحانه - يقول:

﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿٢٦١﴾

هل عندكم يا معشر التجار زيادة؟

إني أشهدكم - يا معشر التجار - أن القافلة وما فيها من بُرٍّ ودقيق وزيت وسمن ولباس.. قد وهبناها لفقراء المدينة، وإنها صدقة على فقراء المسلمين.

لا أقعد مع الشيطان

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: إن رجلاً شتم أبا بكر والنبى - ﷺ جالس، فجعل النبى - ﷺ - يعجب ويبتسم، فلما أكثر، ردّ عليه بعض قوله، فغضب النبى - ﷺ - وقام، فلحقه أبو بكر، فقال: يا رسول الله، كان يشتمني وأنت جالس، فلما رددت عليه بعض قوله غضبت وقتت! قال:

«إنه كان معك ملك يردُّ عنك، فلما رددت عليه بعض قوله وقع الشيطان؛ فلم أكن لأقعد مع الشيطان» ثم قال:

«يا أبا بكر، ثلاث كلهن حق: ما من عبد ظلّم بمظلّمة فيغضي عنها الله - عز وجل - إلا أعزّه الله بها ونصره، وما فتح رجل باب عطية يريد بها صلة إلا زاده الله بها كثرة، وما فتح رجل باب مسألة يريد بها كثرة إلا زاده الله بها قلة».

أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٤٣٦/٢.

إذا حسنت أخلاقنا

قال عبد الله بن طاهر: كنت عند المأمون يوماً، فنادى بالخادم: يا غلام، فلم يجبه أحد، ثم نادى ثانياً وصاح: يا غلام، فدخل غلام

تركي وهو يقول: أما ينبغي للغلام أن يأكل ويشرب؟ كلما خرجنا من عندك تصيح: يا غلام، يا غلام... إلى كم يا غلام؟
 فنكس المأمون رأسه طويلاً - فما شككت في أن يأمرني بعقوبة تأديبية مناسبة له - ثم نظر إليّ فقال:
 يا عبد الله، إن الرجل إذا حسنت أخلاقه ساءت أخلاق خدمه،
 وإنا لا نستطيع أن نسيء أخلاقنا لنحسن أخلاق خدمنا!!
 فعفا عنه، ولم يمسه بسوء.

رجل من أهل الجنة

روى أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال:

كنا جلوساً مع رسول الله - ﷺ فقال: «يطلع الآن عليكم رجل من أهل الجنة» فطلع رجل من الأنصار تنطف لحيته من وضوئه، قد علق نعليه بيده الشمال، فلما كان من الغد قال النبي - ﷺ - مثل المرة الأولى، فلما كان اليوم الثالث قال النبي - ﷺ - مثل مقالته - أيضاً - فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأول. فلما قام النبي - ﷺ - تبعه (عبد الله بن عمرو)، فقال: إني لأحيثُ أبي (أي جادلته)، فأقسمتُ أنني لا أدخل عليه ثلاثاً: فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي فعلت، قال: نعم.

قال أنس: فكان عبد الله يحدث أنه بات معه تلك الثلاث الليالي، فلم يره يقوم من الليل شيئاً، غير أنه إذا تعازَ (أي استيقظ) تقلب على فراشه ذكر الله - عز وجل - وكبر حتى صلاة الفجر. قال عبد الله: غير أنني لم أسمعه يقول إلا خيراً، فلما مضت الثلاث الليالي، وكدت أن أحتقر عمله قلت: يا عبد الله، لم يكن بيني وبين أبي غضب أو هجره، ولكن سمعتُ رسول الله - ﷺ - يقول لك ثلاث مرات: يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة؛ فطلعت أنت الثلاث المرات: فأردت أن آوي إليك فأنظر ما عملك فأقتدي بك؛ فلم أرك

عملت كبير عمل، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله - ﷺ -؟

قال: ما هو إلا ما رأيت. فلما وليت دعاني، فقال:

ما هو إلا ما رأيت، غير أنني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشاً، ولا أحسد أحداً على خير أعطاه الله إياه.

فقال عبد الله: هذه التي بلغت بك.

رواه أحمد في مسنده على شرط الشيخين ورواه يحتج بهم.

انظر المسند ١٦١/٣.

حتى يطوف الرسول

بعد عودة (عروة بن مسعود الثقفي) إلى قريش حين فاض رسول الله ﷺ، بعث الرسول الكريم (عثمان بن عفان) إلى قريش ليفاوضها في أمر العمرة.

وكانت قريش تُحبُّ (عثمان) لما له عليها من البر. فخرج (عثمان) إلى مكة، ولقيه قبل أن يدخلها (إيان بن سعيد بن العاص) فرافقه وأجاره من قريش، حتى يُبلِّغَ رسالة رسول الله ﷺ. وانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش؛ فبلَّغهم رسالة النبي ﷺ. ولما فرغ من ذلك قالوا له:

إن شئت أن تطوف بالبيت فطف.

فقال عثمان: ما كنتُ لأفعل حتى يطوف به رسولُ الله ﷺ. واحتبسته قريش عندها.

وبلغ رسول الله ﷺ أن قريشاً قتلت عثمان فقال رسول الله ﷺ: لا نبرحُ حتى نناجز القوم. ودعا أصحابه إلى البيعة، فكانت (بيعة الرضوان) تحت الشجرة. وكان (أبو سنان الأسدي) أول مَنْ بايع رسول الله ﷺ.

قال: يا رسول الله، ابسط يدك أبايعك.

قال: علام تبايع؟

قال: على ما في نفسك يا رسول الله.

وبايعهم رسول الله ﷺ على الموت. وضرب رسول الله ﷺ بإحدى يديه على الأخرى وقال: اللهم هذه بيعة عثمان. وفيها نزل قول الله تعالى:

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ۝۱۸﴾ .

الحب في الله

قال رسول الله ﷺ:

«إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ لِأَنَاسًا مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ، يَغْبِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَكَانِهِمْ مِنْ اللَّهِ».

قالوا: يا رسول الله، تُخَيِّرُنَا مِنْ هُمْ؟

قال:

«هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِرُوحِ اللَّهِ عَلَى غَيْرِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُمْ، وَلَا أَمْوَالٍ يَتَعَاطُونَهَا، فَوَاللَّهِ إِنَّ وُجُوهَهُمْ لِنُورٍ، وَإِنَّهُمْ لَعَلَى نُورٍ، لَا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ، وَلَا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزَنَ النَّاسُ» وقرأ هذه الآية:

﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝۱۲﴾ .

ما كنت لألقى الله غادراً

كان (مرداس الخارجي) في سجن (عبيد الله بن زياد)، فقال له السجنان:

إني أحب أن أساعدك: فإن أذنتُ لك في الانصراف إلى دارك

كُلَّ أسبوع مرّة، أترجع إلى السجن مرّة أخرى؟

قال: نعم.

فكان يفعل ذلك كلَّ أسبوع. فلما كان ذات يوم قَتَلَ بعض الخوارج صاحب شرطة (ابن زياد)، فأمر (ابن زياد) أن يُقَتَلَ من في السجن من الخوارج، وكان (مرداس) خارج السجن، فقال له أهله: اتق الله في نفسك؛ فإنك مقتول إن رجعت.

فقال: ما كنتُ لألقى الله غادراً، وابن زياد رجل جبار، ولا آمنُ أن يُقَتَلَ السجنان.. فرجع إلى السجن وقال للسجان:

«تساقط إليّ ما عَزَمَ صاحبك من قتل أصحابنا فبادرتُ الرجوع لكلا يلحقك مكروه!».

فقال السجنان: خذ أيّ طريق شئت؛ فقد نجاك الله!

الرحمة بالحيوان

قال عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه -: رأينا طيراً يُشبهه العصفور معها فرخان لها، فجاءت ترفرف بجناحيها. فلما جاء رسول الله ﷺ قال: مَنْ فَجَعَ هذه بولدها؟ ردّوا ولدها إليها.

وقال أبو الدرداء وهو على فراش الموت يخاطب بعيره:

يا أيها البعير، لا تخاصمني إلى ربك، فإنني لم أكن أحملك فوق طاقتك.

ولقد قرر الفقهاء أنه إذا لجأت هرة عمياء إلى بيت شخص، وجبَّت نفقتها عليه حيث لم تقدر على الانصراف.. ومنع الفقهاء تحميل الحيوان أكثر مما يطيق.

أما رسول الله ﷺ فقد نهى عن قتل الحيوان تلهياً فقال: «من

قَتَلَ عصفوراً عبثاً عَجَّ إلى الله يوم القيامة يقول: يا رب، إنَّ فلاناً قتلني عبثاً ولم يقتلني منفعة».

ولقد اعتبر الإسلامُ عالم الحيوان كعالم الإنسان: له خصائصه وطبائعه وشعوره، فله حقُّ الرحمة والرفق كحق الإنسان. لكنَّ الحيوان إذا ارتكب جناية لا يعاقب إنما يعاقب مالكة إن كان مقصراً.

أما في الأمم غير الإسلامية حتى القرن التاسع عشر، فقد كان الحيوان يُحاكم ويُحكَّم عليه بالسجن والتشريد والموت. وكانت بعض البلاد تحاكم القطط وتحكم عليها بالموت بحجة أنها تمارس السحر. وحكموا على ديك بالإعدام؛ لأنه باض!!!

تكافل المجتمع بين الإسلام والغرب

قال الدكتور محمد يوسف موسى في كتابه (الإسلام وحاجة الإنسانية إليه) في الصفحة ٢٥٦ ما يأتي:

«... ولعلَّ من الخير أن أذكر هنا، أني حين إقامتي بفرنسا كانت تخدم الأسرة التي نزلتُ في بيتها فترةً من الزمن فتاةً، يظهر عليها مخايل أو علائم كرم الأصل؛ فسألْتُ ربَّةَ الأسرة: لماذا تخدم هذه الفتاة؟ أليس لها قريبٌ يجنبُها هذا العمل غير الكريم لكسب ما تقيم به حياتها؟ فكان جوابها: إنها من أسرةٍ طيبة في البلدة، ولها عمٌ غنيٌّ موفور الغنى، ولكنه لا يُعنى بها، ولا يهتم بأمرها! فسألْتُ: لماذا لا ترفع الأمر للقضاء للحكم عليه بالنفقة؟ فدهشت السيدة من هذا القول، وعرَّفَتني أنَّ ذلك لا يجوز لها قانوناً!

وحينئذٍ أفهمتها حكم الإسلام في هذه الناحية، فقالت: من أين لنا بمثل هذا التشريع؟! لو أنَّ هذا جائز قانوناً عندنا، لما وجدت فتاةً أو سيدةً تخرج من بيتها للعمل في شركة أو مصنع أو معمل أو ديوان من دواوين الحكومة مثلاً».

هذا من النعيم الذي تسألون عنه

أخرج الطبراني، وابن حبان عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال:

خرج أبو بكر - رضي الله عنه - بالهجرة إلى المسجد، فسمعه عمر - رضي الله عنه - فقال:

يا أبا بكر، ما أخرجك هذه الساعة؟

قال: ما أخرجني إلا ما أجد من حاق الجوع (أي شدة الجوع).

قال: وأنا - والله - ما أخرجني غيره.

فبينما هما كذلك، إذ خرج عليهما رسول الله ﷺ فقال: ما أخرجكما هذه الساعة؟

قالا: والله ما أخرجنا إلا ما نجد في بطوننا من حاق الجوع.

فقال: وأنا - والذي نفسي بيده - ما أخرجني غيره، فقوما، فانطلقوا فأتوا باب أبي أيوب الأنصاري - رضي الله عنه - وكان أبو أيوب يذخر لرسول الله ﷺ طعاماً كان أو لبناً. فأبطأ عليه يومئذ، فلم يأت لحينه فأطعمه أهله، وانطلق يعمل في نخله. فلما انتهوا إلى الباب خرجت امرأته فقالت: مرحباً بنبي الله ومن معه.

فقال لها ﷺ: أين أبو أيوب؟

فسمعه وهو يعمل في نخل له، فجاء يشتد، فقال:

مرحباً بنبي الله ومن معه! يا نبي الله، ليس بالحين الذي كنت تجيء فيه؛ فقال: صدقت.

قال: فانطلق فقطع عذقاً من النخل، فيه كل الثمر: من التمر والرطب والبسر.

فقال ﷺ: ما أردنا إلى هذه، ألا جنيت لنا من ثمره؟

قال: يا رسول الله، أحببتُ أن تأكل من ثمره ورطبه وبسره، ولاذبحنَّ لك مع هذا.

قال: إن ذبحت فلا تذبحن ذات در (ذات لبن).

فأخذ عناقاً (الأنتى من أولاد المعز دون السنة) أو جدياً فذبحه، وشوى نصفه، وطبخ الباقي.

فلما أدرك الطعام، ووضع بين يدي النبي ﷺ وصاحبيه، أخذ من الجدي، فجعله في رغيف وقال:

يا أبا أيوب، أبلغ بهذا فاطمة، فإنها لم تُصِبْ طعاماً منذ أيام. فذهب أبو أيوب إلى فاطمة رضي الله عنها!

فلما أكلوا وشبعوا قال النبي ﷺ:

«خبز ولحم وتمر وبسر ورطب، ودمعت عيناه! والذي نفسي بيده، إنَّ هذا لهو النعيم الذي تُسألون عنه يوم القيامة» فكبر ذلك على صاحبيه.

فقال: بل إذا أصبتم مثل هذا فقولوا: «بسم الله» فإذا شبعتم فقولوا: «الحمد لله الذي أشبعنا، وأنعم فأفضل فإن هذا كفاء بهذا».

إن الله عودني عادة وعودت عباده عادة

كان (عبد الله بن جعفر) لا يردُّ سائلاً يسأله حاجة، وكان كريماً جواداً حتى لامه بعض جلسائه في ذلك فقال:

إنَّ الله عودني عادةً، وعودتُ عباد الله عادة: عودني أن يعطيني، وعودتُ عباده أن أعطيهم، فأخشى إذا قطعْتُ عادتي عن عباده أن يقطع عادته عني.

ويُحكى عن الإمام (الليث بن سعد) أنَّ أمواله كانت تدرُّ عليه في كل يوم ألف دينار، ومع هذا لم تكن تجب عليه فيها زكاة؛ لأنه لم

يكن يَدْعُهَا حتى يحول عليها الحول، بل يتصدق بكل ما جاءه من مال وينفقه في سبيل الله، وكان لا يتكلم كل يوم حتى يتصدق على ثلاثمائة وستين مسكيناً.

وذات يوم سأله امرأة شيئاً من عسل، فأمر لها بزق منه.

ف قيل له: إنها كانت تقنع بدون هذا.

فقال: إنها سألت على قدر حاجتها، ونحن نعطيها على قدر نعمة الله علينا.

مذق الناس فامذقي

نهى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - في خلافته عن مذق اللبن بالماء (أي خلطه) فخرج ذات يوم يسير في المدينة ليلاً، فإذا امرأة تقول لابنة لها: ألا تمذقين لبنك فقد أصبحت؟

فقال البنت: كيف أمذق وقد نهى أمير المؤمنين عنه؟

فقال الأم: قد مذق الناس فامذقي، فما يدري أمير المؤمنين.

فقال البنت: إن كان عمر لا يعلم فربُّ عمر يعلم، ما كنت لأفعله وقد نهى عنه.

فوقعت مقالتها من عمر. فلما أصبح دعا عاصماً ولده فقال:

يا بني، اذهب إلى موضع كذا وكذا فاسأل عن الجارية - ووصفها له - فذهب عاصم فإذا هي جارية من بني هلال، فقال له عمر:

اذهب يا بني فتزوجها؛ فما أحرأها أن تأتي بفارس يسود العرب. فتزوجها فولدت له بنتاً، فتزوجها عبد العزيز بن مروان، فأنت بعمر بن عبد العزيز.

لا ناكل إلا مما ياكلون

لما تمّ الصلح بين أمير جيوش المسلمين في الشام (أبي عبيدة عامر ابن الجراح) وبين أحد قواد الروم، جاءه بطعام لذيذ وقال له: هذا طعام الأمير.

قال أبو عبيدة: أو أطعتمم الجند مثل هذا الطعام؟

قالوا: لم يتيسر.

فقال أبو عبيدة: فلا حاجة لنا فيما يقتصر علينا - وحدنا - من ألوان الطعام، وبش المرء أبو عبيدة إن صحب جنداً أهرقوا دماءهم دونه أو لم يهرقوا فاستأثر عليهم بشيء يصيبه. لا - والله - لا ناكل إلا مما ياكلون.

لئن اغضبتهم فقد اغضبت الله

في غزوة الفتح خرج أبو سفيان في ثلاثة من أساطين قريش يتجسسون على جيش المسلمين، فقبض عليه، فأجاره العباس، وأمهله رسول الله ﷺ في جوار العباس ليقدمه في الصباح. وحدث أن سيدنا أبا بكر الصديق بعد أن أسلم أبو سفيان كان ماراً بين صفوف المسلمين، وإذا بسلمان الفارسي وبلال الحبشي وصهيب الرومي يتسامرون، فقال أحدهم: ما أمكن الله سيوفنا من رقبة عدو الله. فخشي سيدنا أبو بكر ارتداد أبي سفيان فقال لهم:

ويحكم! أتقولون ذلك في شيخ قريش وزعيمها؟ وانطلق إلى رسول الله ﷺ فأخبره خبر الفتية علّه يستدعيهم فيلومهم. ولكن ما كان من الرسول الكريم إلا أن وجّه كلامه لأبي بكر - رضي الله عنه - قائلاً له:

يا أبا بكر، لعلك اغضبتهم، والله لئن اغضبتهم فقد اغضبت الله...

فكأنَّ صاعقةً نزلت على رأس أبي بكر من جزاء هذا القول،
وانطلق مسرعاً إلى هؤلاء العبيد وقال لهم:
وإخوتاه لعلِّي أغضبتكم.

قالوا: لا تثريب عليك اليوم يغفر الله لك!
وهنا تتجلى المساواة في أجمل معانيها.

العارف يشكو إلى الله وحده

رأى واحد من السلف رجلاً يشكو إلى رجل فاقته وضرورته
فقال:

يا هذا، والله ما زدت على أن شكوت من يرحمك إلى مَنْ لا
يرحمك. . . والعارف إنما يشكو إلى الله وحده. . . وأعرف العارفين مَنْ
حمل شكواه إلى الله من نفسه: فهو يشكو من موجبات تسليط الناس
عليه، فهو ناظر إلى قوله تعالى:

﴿وَمَا أَصْبَحُكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ .

من أدب العلماء

قال ابن عبد البر في كتابه (جامع بيان العلم وفضله):

من أدب العالم ترك الدعوى لما لا يُحْسِنُهُ، وترك الفخر بما
يحسنه إلا أن يُضطرَّ إلى ذلك كما اضطرَّ يوسف - عليه السلام - حين
قال: ﴿أَجْمَلَنِي عَلَى خَرَائِبِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْكَ﴾، وذلك أنه لم يكن
بحضرته من يعرف حقه، ورأى أن ذلك المقعد لا يقعه غيره من أهل
وقته إلا قَصُرَ عما يجب لله من القيام به من حقوقه، فلم يسعه إلا
السعي في ظهور الحق بما أمكنه.

وقالوا: الواجب على العالم أن لا يناظر جاهلاً ولا لجوجاً؛ فإنه
يجعل المناظرة ذريعةً إلى التعلم بغير شكر.

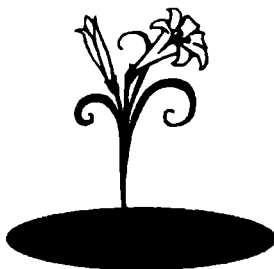
ابدأ بنفسك

قال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه :-

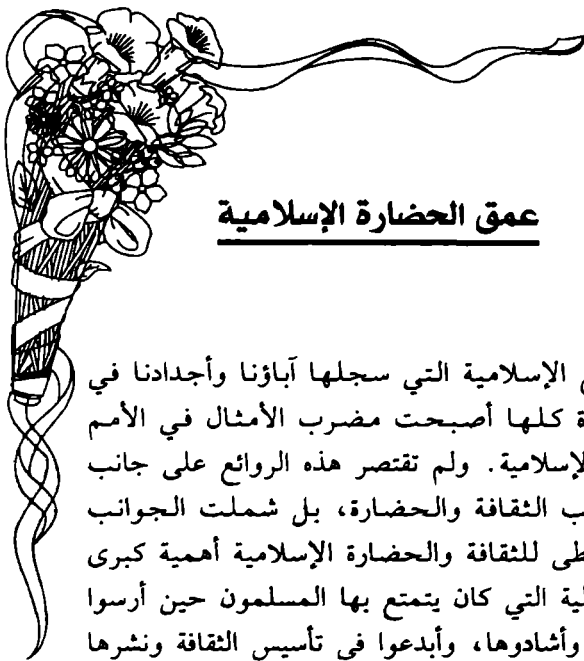
«مَنْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلنَّاسِ إِمَامًا فَلْيَبْدَأْ بِتَعْلِيمِ نَفْسِهِ قَبْلَ تَعْلِيمِ
غَيْرِهِ.. . وليكن تهذيبه بسيرته قبل تهذيبه بلسانه. ومعلم نفسه ومهذبها
أحقُّ بالإجلال من معلم الناس ومهذبهم».



الباقية الساجدة
من روائع حضارتنا







عمق الحضارة الإسلامية

إن الروائع الإسلامية التي سجلها آباؤنا وأجدادنا في مجالات الحياة كلها أصبحت مضرب الأمثال في الأمم والشعوب غير الإسلامية. ولم تقتصر هذه الروائع على جانب واحد من جوانب الثقافة والحضارة، بل شملت الجوانب كلها. ومما أعطى للثقافة والحضارة الإسلامية أهمية كبرى تلك الروح العالية التي كان يتمتع بها المسلمون حين أرسوا قواعد الحضارة وأشادوها، وأبدعوا في تأسيس الثقافة ونشرها وتقنينها، وكان المسلم حين يساهم في هذا الجانب أو ذاك،

يعتبر مساهمته هذه قرينة يتقرب بها إلى الله رب العالمين وبهذه النية الطيبة استطاع المسلمون أن يأتوا بما لم يأت به غيرهم! فقد كان من علماء المسلمين من يؤلف كتاباً في علم من العلوم، فيطلب منه ملك مدينته أن يذكر أنه ألفه لذلك الملك، فيأبى العالم المسلم ذلك إباءاً شديداً ويقول: (كتاب صنفته الله ولطلبة العلم أصرفه إلى اسم ملك، هذا والله ما لا يكون أبداً!).

ولقد بذل المسلمون أموالهم وأوقاتهم، بل أنفسهم في سبيل العلم. ويحضرني في هذا ما قاله الإمام أبو يوسف رحمه الله -: «العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلُّك!» ونجد من طلبية العلوم الإسلامية من ظل سبعة أشهر يطلب العلم في مكان بعيد عن موطنه الأصلي، لم يأكل في هذه المدة مرقة لأنهم كانوا منشغلين بدراسة العلوم، يدرسون بالنهار على الشيوخ، ويستسخون ويقابلون بالليل،

وقد ذهبوا يوماً إلى شيخ ليأخذوا درسهم، فوجدوه مريضاً، فرأوا سمكة أعجبتهم فاشتروها، وذهبوا بها إلى الدار، فحضر وقت شيخ آخر فمضوا. وهكذا بقيت السمكة ثلاثة أيام حتى كادت تنتن فأكلوها نيئة؛ لم يجدوا وقتاً لشيئها!!

إن هذه الروح العالية لا نستطيع أن نجد لها في أية أمة من الأمم غير الأمة الإسلامية. لذلك استطاع المسلمون أن يؤلفوا المؤلفات القيمة في شتى العلوم والفنون، وما بقي من تلك المؤلفات بعد الغزو المغولي على بغداد، والغزو الصليبي على كثير من المدن الإسلامية وما تعرضت له المكتبات الإسلامية من حرق وإلقاء في النهر وسرقة في غضون ثمانمائة سنة خير شاهد على ذلك. أما أوروبا فلم تفق من سباتها الطويل إلا على صوت علماء المسلمين الذين ألفوا المؤلفات الكثيرة في الطب والهندسة والرياضيات والكيمياء والفيزياء والجغرافية والفلك والتاريخ، وكانوا يدرسون هذه العلوم في مساجد غرناطة واشبيلية وقرطبة...

على أن أوروبا في نهضتها القانونية قد تأثرت بالفقه الإسلامي تأثراً ليس بالقليل، ومن طلائع هذا التأثير ما كان في زمن نابليون بونابرت إذ ترجم في عهده كتاب من أشهر الكتب في الفقه المالكي وهو كتاب خليل الذي يعتبر النواة الأولى للقانون المدني الفرنسي.

وقد ساهم المسلمون مساهمة كبرى في وجوه الخير كلها ولم يدعوا باباً من تلك الأبواب إلا طرقوه، ولا مجالاً من تلك المجالات إلا دلفوا منه وقد انتفعت من تلك الوجوه الناس - كل الناس - حتى الحيوانات انتفعت إذ وقَّفَ المسلمون أوقافاً كثيرةً يصرف ريعها على الكلاب الضالة والقطط والخيل، فكان ذلك مفخرة من المفخر حلقت في سماء الرأفة والرحمة التي تجاوزت الإنسان إلى الحيوان!

واستطاع المسلمون أن يستأصلوا مرضاً هو من أشد الأمراض خطراً على الأمة، وهو الفقر. فكان المسلمون يتنعمون بعيش رغيد

فالأموال بأيديهم وينادون على من يحتاجها، فلا يجدون من يقبلها، فقد ألغى الحكم الإسلامي الفقر حقيقة لا ادعاء فقط! وهذه الظاهرة لم تتكرر في غير الحكم الإسلامي...!

روائع إسلامية كثيرة سجلها المسلمون في تاريخهم الطويل نحن الآن في حاجة ملحة ملحفة إلى تذكرها ودراستها: لا لنتحب عليها ونبكي، بل لتكون لنا زاداً نتزود منه كلما كُلت العزائم، وضعفت الهمم، وانشغل الناس عن أمر ثقافتهم وحضارتهم بثقافات أجنبية نمت وترعرعت في مجتمعات غير إسلامية، وفي بيئة لا تمت إلى البيئة الإسلامية بنسب من قريب أو بعيد، وإنّ تجاهل ماضينا بروائعه وأمجاده أمر يحرص عليه أعداء الإسلام كل الحرص. إن هذه الروائع التي قمت بإعدادها لم تكن محصورة في دائرة واحدة من دوائر روائعنا الإسلامية، ولم تكن ذات صبغة واحدة، لا تتغير ولا تبدل؛ ذلك أن التحول من موضوع إلى آخر أمر يبعث على الراحة عند القارئ، ويترك في نفسه أثراً بعيد المدى، يوصل إلى الهدف المنشود.

ويحك يا عمر

وضعت الدواوين في صدر الإسلام في عهد سيدنا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - لا لتقدير الضرائب والزكاة على المواطنين، بل لتسهيل صرف المعونات والمرتبات التي تلتزم بها الدولة إزاء رعاياها، قبل أن تعرف أوروبا مبدأ التضامن الاجتماعي ببضعة عشر قرناً...

وعمر - رضي الله عنه - قرر عطاء للذين بلغوا الفطام، وسمع ليلة طفلاً يبكي لأن أمه تريد أن تظمه ليسجل في عداد المرتبات، فيبكي عمر، ويؤنب نفسه قائلاً: ويحك يا عمر، كم طفلاً قتلت من أبناء المسلمين، ويأمر أن يقرر المرتب لكل طفل ساعة يولد!

أمر لكل أعمى بقائد

كتب عمر بن عبد العزيز إلى أمصار الشام أن يرفعوا إليه كل أعمى في الديوان أو مقعد أو من به فالج أو من به زمانة تحول بينه وبين القيام إلى الصلاة. فأمر لكل أعمى بقائد ولكل اثنين من الزمنى بخادم. وأمر أن يرفعوا له كل يتيم ومن لا أحد له ممن جرى على والده الديوان، فأمر لكل خمسة بخادم يتوزعونهم بالسوية، وفرض للعوانس الفقيرات واتخذ دار الطعام للمساكين والفقراء وابن السبيل، وأوصى ألا يصيب من هذه الدار شيئاً من طعامها، لأنه خاص بمن طبخ لهم.

ما أحد أحق بهذا المال من أحد

قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -:

«والله ما أحد أحق بهذا المال من أحد، وما أنا أحق به من أحد. والله ما من المسلمين أحد إلا وله من هذا المال نصيب إلا عبداً مملوكاً. ولكننا على منازلنا من كتاب الله - عز وجل - وقسمنا من رسول الله ﷺ فالرجل وبلاؤه في الإسلام، والرجل وقدمه في الإسلام، والرجل وغناه في الإسلام، والرجل وحاجته، والله لئن بقيت لهم ليأتين الراعي بجبل صنعاء حظه من هذا المال وهو يرعى مكانه».

مقدار ما يحمل على البعير

كتب عمر بن عبد العزيز إلى حيان بمصر: إنه بلغني أن بمصر إبلاً نقالات، ويحمل على البعير منها ألف رطل! فإذا أتاك كتابي هذا فلا أعرفن أنه يحمل على البعير أكثر من ستمائة رطل!

وروي أن أبا الدرداء الصحابي الجليل كان له بعير، فلما حضرته الوفاة قال يخاطبه: يا أيها البعير، لا تخصمني إلى ربك فإني لم أحملك فوق طاقتك.

إخوة بعضهم من بعض

روي عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنه صرَّ أربعمائة دينار، وقال لغلامه: اذهب بها إلى أبي عبيدة بن الجراح، ثم تلبث عنده في البيت ساعة، حتى تنظر ماذا يصنع، فذهب بها الغلام وقال له: يقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب: اجعل هذه في بعض حوائجك فقال له: وصله الله ورحمه، ثم دعا بجارية له وقال لها: اذهبي بهذه الخمسة إلى فلان، وبهذه السبعة إلى فلان، حتى أنفذها، فرجع الغلام إلى عمر، وأخبره، فوجده قد أعد مثلها إلى معاذ بن جبل وقال له: انطلق بها إلى معاذ بن جبل، وانظر ما يكون من أمره؟ فذهب إليه وقال له كما قال لأبي عبيدة، ففعل معاذ ما فعل أبو عبيدة، فرجع الغلام وأخبر عمر، فقال: إنهم إخوة بعضهم من بعض!

وقف الزبادي

أوقف المسلمون أوقافاً كثيرة منها وقف الزبادي، وهو وقف تشتري منه صحاف الخزف الصيني، فكل خادم كسرت آتيته وتعرض لغضب مخدمه، له أن يذهب إلى إدارة الوقف، فيترك الإناء المكسور، ويأخذ إناءً صحيحاً بدلاً منه!!!

خارطة العالم

قال المقرئزي: دخل أحد السياح مكتبة المعز لدين الله الفاطمي بالقاهرة، فرأى فيها مقطعاً من الحرير الأزرق غريب الصنعة، فيه صور أقاليم الأرض وجبالها وبحارها ومدنها وأنهارها ومساكنها وجميع المواطن المقدسة، مبيّنة للناظر، مكتوبة أسماء طرائقها ومدنها وجبالها وبلادها وأنهارها وبحارها بالذهب وغيرها بالفضة، فقال: يكفيني من العجائب هذه!

مستشفيات متنقلة

كتب الوزير عيسى بن علي الجراح إلى سنان بن ثابت، وكان يتولى النظر على مستشفيات بغداد وغيرها:

فكرتُ فيمن بالسواد (القرى) وإنه لا يخلو من أن يكون فيه مرضى ولا يشرف طبيب عليهم لخلو السواد من الأطباء، فتقدم بإيفاد متطببين (أطباء) وخزانة من الأدوية والأشربة يطوفون السواد، ويقيمون في كل صقع منه مدة ما تدعو الحاجة إلى مقامهم، ويعالجون من فيه، ثم ينتقلون إلى غيره. وقد بلغ بعض المستشفيات المتنقلة في أيام السلطان محمود السلجوقي حداً من الضخامة بحيث كان يحمل على أربعين جملًا.

الرخاء في عهد عثمان

قال الحسن البصري: شهدتُ منادي عثمان - رضي الله عنه - ينادي: يا أيها الناس، اغدوا على أعطيאתكم، فيغدون، ويأخذونها وافية.. يا أيها الناس، اغدوا على أرزاقكم، فيغدون فيأخذونها وافية الحلل، واغدوا على السمن والعسل...

قال الحسن: أرزاق دائرة وخير كثير... ما على الأرض مؤمن يعرف مؤمناً إلا يؤدّه وينصره ويألفه..!

دار الحكمة

مكتبة الحكمة بالقاهرة أنشأها الحاكم بأمر الله، وافتتحت في ١٠ من جمادى الآخرة ٣٩٥، وقد فُرشت وزُخرفت، وأقيم بها القوامون والمناولون والفراشون. وقد جُمع فيها من الكتب ما لم يجمع لأحد قط من الملوك حيث كانت تضم أربعين خزانةً احتوت إحدى خزائنها على ١٨٠٠ كتاب من العلوم القديمة.. وكان الدخول إليها مباحاً



لجميع الناس.. فمنهم من يحضر لقراءة الكتب، ومنهم من يحضر للنسخ، ومنهم من يحضر للتعلم. وكان فيها كل ما يحتاج إليه الناس من الحبر والأقلام والورق.

المسلمون يعيدون الجزية

كان الفاتحون المسلمون يعيدون الجزية إلى أهل البلاد المفتوحة عندما يَشغَلُهُمْ شاغل، أو يعجزون عن حمايتهم بسبب حرب جديدة يشنها عليهم أعداء الإسلام ويعتذرون إليهم قائلين كما اعتذر أبو عبيدة قائلاً لأهل حمص:

«قد بلغكم ما جمع لنا الأعداء من جموع، وإنكم قد اشتراطتم أن نمنعكم، وأنا لا أقدر على ذلك الآن، ونحن لكم على الشرط، وما كان بيننا إذا نصرنا الله على أعدائنا!»

فأين هذا من فعلة بريطانيا حين سلّمت فلسطين إلى اليهود سنة ١٩٤٨ م ولم تقم بحماية أهلها من بطشهم وفتكهم وهي المسؤولة عنهم بحكم انتدابها من عصبة الأمم على فلسطين؟!

عبد المسلمين

وفد على عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وفد بني تميم وفيهم سيدهم الأحنف بن قيس الذي كان إذا غضب غضب له مائة ألف سيف لا يسألونه فيم غضبت، فوجدوا عمر يطلي إبل الصدقة بالقطران، فقال: يا أحنف، اخلع ثيابك وتعال معي نهناً هذه الإبل، فإنه فيها حق اليتيم والمسكين والأرملة، وابن السبيل، فقال رجل: يا أمير المؤمنين، مُزَّعَبْدُا يكفكما هذا العمل! فقال عمر: ثكلتك أمك، وهل فيه أعبد مني ومن الأحنف هذا؟ من ولي أمر المسلمين فهو عبد المسلمين.

إنما يأسى على الحب النساء

رأى عمر بن الخطاب وهو أمير المؤمنين قاتل أخيه زيد فما قرّعه ولا روّعه، ولكنه طالعه بأحاسيسه نحوه فقال له: «إني لا أحبك حتى تحب الأرضُ الدم» فيسأله الرجل: أوَتمنّعي ذلك شيئاً من حقي؟ فيقول عمر: لا، فيقول الرجل: «أحبّبْ إذن أو أبغض، فإنما يأسى على الحب النساء!»

جامع عمرو بن العاص

وصف الرحالة ناصر خسرو جامع عمرو بن العاص بالفسطاط وقد زاره سنة ٤٣٩ هجرية فقال: «يقيم بهذا المسجد المدرسون والمقرنون، وهو مكان اجتماع سكان المدينة الكبيرة، ولا يقل من فيه في أي وقت عن خمسة آلاف من طلاب العلم والغرباء والكتاب والذين يحررون الصكوك والعقود وغيرها.

وكان به مجلس قاضي الحكم الشافعي ومجلس قاضي الحكم المالكي، وكان به بيت المال لحفظ مال اليتامى، وكانت حلقات الدروس تقام فيه لدراسة الفقه والحديث وعلوم القرآن والأدب...»!

بهذا قامت السموات والأرض

بعث رسول الله ﷺ عبد الله بن رواحة إلى خيبر يخرص النخل - يقدر التمر على النخل - بينه وبين يهود خيبر، فجمعوا له حلياً من حلي نسايتهم، فقالوا: «هذا لك وحقّف عنا وتجاوز في القسم» فقال عبد الله: يا معشر اليهود، والله إنكم أبغض خلق الله إليّ، وما ذلك بحاملي على أن أحيف عليكم، فأما ما عرضتم من الرشوة فإنها السحت وأنا لن نأكلها، فقالوا: بهذا قامت السموات والأرض!!

جوار يباع ويشترى

أراد ابنُ أبي الجهم أن يبيع داره، فأعطاه المشتري فيها مائة ألف درهم. فقال البائع للمشتري: وبكم تشتري جوار سعيد بن العاص؟ قال المشتري. ما رأيت جواراً يباع! فرجع ابنُ أبي الجهم عن البيع وقال: لا أدعُ جوار رجل يحب معاونتي: إن غبتُ سأل عني، وإن رأني رَحِب بي، وإن سألتُه أعطاني، وإن لم أسأله ابتدأني بالعطاء...

فلما بلغ ذلك سعيداً بعث إليه بالثمن، وأبقاه في داره فهل في عالمنا اليوم مثل هذا الجوار؟!!

قرطبة دار العلوم

كانت قرطبة في عهد عبد الرحمن الثالث الأموي عاصمة الأندلس المسلمة تُنازُ بالمصاييح ليلاً، ويستضيء الماشي بسرجها عشرة أميال، وسكانها أكثر من مليون نسمة، بينما كانت أكبر مدن أوروبا لا يزيد عدد سكانها عن خمسة وعشرين ألفاً، وكانت حماماتها تسعمائة وبيوتها ٨٣,٠٠٠ وقصورها ثمانون ألفاً، ومساجدها ستمائة مسجد، وفيها مئة وسبعون امرأة يكتبن المصاحف بالخط الكوفي، وخمسون مستشفى، ومسجدها الجامع لم يوجد له نظير في الفخامة وروعة البناء.

من وجوه الخير

وَقَفَّ المسلمون أوقافاً ينفق منها على عدة مؤذنين من كل رخييم الصوت حسن الأداء، فيرتلون القصائد الدينية طوال الليل، بحيث يرتل كلُّ منهم فترةً من الزمن حتى مطلع الفجر، سعياً وراء التخفيف عن المريض الذي ليس له من يخفف عنه، وإيناس الغريب الذي ليس له من يؤنسه!

غيرتنا الدنيا غيرك يا أبا عبيدة

ولّى عمر بن الخطاب أبا عبيدة بن الجراح قيادة الجيوش كلها التي أرسلت لفتح الشام. ولما قدم عمر استقبله أبو عبيدة فقال له عمر: اذهب بنا إلى بيتك (ولعله كان يقصد استطلاع عيشة قائده) فقال له أبو عبيدة: وما تصنع عندي؟ ما تريد إلا أن تعصر عينك عليّ! ثم دخل منزله فلم ير شيئاً، فقال: أين متاعك وأنت أمير؟ ثم سأله: أعندك طعام؟ فقام أبو عبيدة إلى خونة فأخرج منها كُسيرات فبكى وقال: غيرتنا الدنيا كلنا غيرك يا أبا عبيدة!!

أنتم أحب إلينا من الروم

قال توماس أرنولد في كتابه (الدعوة إلى الإسلام):

«لما بلغ الجيش الإسلامي وادي الأردن، وعسكر أبو عبيدة في فحل، كتب الأهالي المسيحيون إلى العرب يقولون: (يا معشر المسلمين، أنتم أحب إلينا من الروم - وإن كانوا على ديننا - أنتم أوفى لنا وأرأف بنا، وأكف عن ظلمنا، وأحسن ولاية لنا، ولكنهم غلبونا على أمرنا وعلى منازلنا). وأغلق أهل حمص أبواب مدينتهم دون جيش هرقل، وأبلفوا المسلمين أن ولايتهم وعدلهم، أحب من ظلم الإغريق وتعسفهم!»

جعل للمجدومين رزقاً

في خلافة الرشيد فرض عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - للمجدومين رزقاً من بيت المال، ومنع اختلاطهم بالناس، وكان يعطي العجزة والزمنى.

أما الأمويون، فهم أول من أسس مستشفى للمجدومين في الإسلام في خلافة الوليد بن عبد الملك سنة ٨٩ هجرية (٧٠٧ م) وهو أول خليفة جعل لكل أعمى قائداً يقوده ولكل مقعد خادماً يخدمه!

كيف أصبحت

قيل للشافعي: كيف أصبحت؟

فقال: كيف أصبح من يطلبه ثمان: الله تعالى بالقرآن والنبى ﷺ بالسنة، والحفظة بما ينطق، والشيطان بالمعاصي، والدهر بصروفه، والنفسُ بشهواتها، والعيالُ بالقوت، وملكُ الموت بقبض روحه!

ساعة هرون الرشيد

ذكر (فولتير) المؤرخ الفرنسي: إن أول ساعة عُرفت في أوروبا هي الساعة التي أهداها أمير المؤمنين هرون الرشيد إلى (شارلمان) ملك فرنسا سنة ٨٠٧ م وكانت بدءاً في ذلك العصر، حتى أنها أورثت رجال الديوان حيرة وذهولاً.

كان لها اثنا عشر باباً بعدد الساعات فكلما مضت ساعة فُتح باب وخرجت منه كُرَاتٌ من نحاس صغيرة تقع على جرس فيطن بعدد الساعات، وتبقى الأبواب مفتوحة، وحينئذٍ تخرج صور اثني عشر فارساً على خيل تدور على صفحة الساعة.

وقف للكلاب الضالة

من روائع حضارتنا أن وقف قسم من المسلمين أوقافاً في عدة جهات ينفق من ريعها على إطعام الكلاب التي ليس لها صاحب، استفاداً لها من عذاب الجوع حتى تستريح بالموت أو الاقتناء!

كان عطاء أفطس أعور

كان عبد الملك بن مروان يأمر الننادي في موسم الحج أن لا يفتي الناس إلاً عطاء بن أبي رباح إمام أهل مكة وعالمها وفقهها... أتدرون كيف كان عطاء هذا؟ لقد كان أسود، أعور، أفطس،

أشَلُّ، أعرج، مفلفل الشعر، لا يتأمل المرء منه طائلاً... . كان إذا جلس في حلقته العلمية بين الآلاف من تلاميذه بدا كأنه غراب أسود في حقل من القطن!

أولئك آبائي

كان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يطعم الناس بالمدينة وهو يطوف عليهم وبيده عصا، فمر برجل يأكل بشماله فقال: يا عبد الله كل بيمينك، قال: يا عبد الله إنها مشغولة ثلاث مرات، قال: وما شغلها؟ قال: أصيبت يوم مؤتة فجلس عمر عنده - رضي الله عنه - يبكي!! فجعل يقول له: من يوضئك؟ من يغسل رأسك وثيابك؟ من يصنع كذا وكذا؟! فدعا له بخادم، وأمر له براحلة وما ينبغي له، حتى رفع أصحاب محمد ﷺ أصواتهم يدعون لعمر - رضي الله عنه - مما رأوا من رأفته بالرجل واهتمامه بأمر المسلمين.. .

كثرة الروائع الإسلامية في تاريخنا

في تاريخنا المجيد (روائع إسلامية) كثرت كثرة هائلة. ولم تقتصر هذه الروائع على جانب أو جانبين، بل شملت جوانب الثقافة والأخلاق والحضارة.. . فإذا أنعمنا النظر في (الحضارة الإسلامية)، نرى أنها مرّت بمراحل عديدة، وتركت في كل مرحلة منها نتاجاً أفاد منه العالم كله فترة ليست بالقصيرة من الزمن. وكانت هذه الحضارة قد طوّفت في أرجاء العالم الإسلامي كله: فلم تقتصر على بلد دون آخر، بل شملت بلاد الإسلام كلها، ولم تقم في فترة زمنية قصيرة، بل كان زمنها طويلاً: بدايته منذ بعثة رسول الله ﷺ إلى يوم الناس هذا. ويكفي أن نعلم أن كتاب (المنصوري) للرازي تُرجم إلى اللغة اللاتينية، وظلت (الجامعات الأوروبية) تُدرّس هذا الكتاب حتى القرن السابع عشر الميلادي.

أما كتاب (الحاوي)، فكان تأثيره بأوروبا كبيراً عظيماً. وظلَّت (أوروبا) تنتفع بهذا الكتاب حتى مطلع العصر الحاضر.

وقد تأخَّذ الدهشةُ شبابنا إذا قلت: إن كتاب (الجدري والحصبة) للرازي طبع بترجمته اللاتينية أربعين طبعة حتى عام ١٨٦٦ م.

ومما ساعد على بناء هذه الحضارة القوية البنيان المتعددة الأركان أن المسلمين - كلَّهم - ساهموا في بنائها: فكان الواحد منهم يرحل من بلده الذي نشأ فيه وترعرع إلى بلدٍ آخر من بلاد الإسلام.. وقد يتولى فيه من المناصب أعلاها وأسامها، وهو في ذلك لا يشعر بغربة، ولا يحسُّ بوحشة؛ إذ يعتقد اعتقاداً جازماً أن بلاد الإسلام واحدة ولو تعددت الأقطار، وتباينت الأجناس والألوان، واختلفت اللغات.. لا يرفعه إلا تقواه وعلمه وفضله..

وإذا تركنا الحضارة المادية جانباً، ويممنا وجوهنا نحو مبدأ (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) الذي سنَّه الإسلام، نرى الروعة في أسمى معانيها وأجمل صورها؛ ذلك أن الله تعالى جعل هذا المبدأ سبباً من أسباب استحقاق الأمة المسلمة أن تكون خير أمةٍ أخرجت للناس، قال الله تعالى:

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ سورة آل عمران/ ١١٠

ولقد أدرك المسلمون الأولون أهمية هذا المبدأ، فكانوا لا تضيق صدورهم بكلمة حق تُقال لهم، أو نصيحة تُقدَّم إليهم، أو غلطةٍ يقعون فيها فيُتنبهون إليها، بل إنهم مضوا إلى أبعد من ذلك، فسجَّعوا المسلمين، وأمروهم أن يقولوا لهم كلمة الحق من غير ترددٍ أو خوف. فهذا الصديق أبو بكر يأمر الناس أن يراقبوه: فإذا رآوه أحسن فليعينوه ويعاونوه، وإن أساء وزاغ أن يردوه إلى طريق الحق، فقد قال في أوَّل خطبة خطبها بعد توليه الخلافة:

«أيها الناس! إنني قد وُلِّيتُ عليكم ولستُ بخيركم، فإن أحسنتُ

فأعينوني، وإن أسأتُ فقوموني، أطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم».

ولم تكن هذه الصفة الحميدة قد اختصَّ بها عددٌ قليل من خلفاء المسلمين، بل إنَّ الكثير الكثير منهم كان يُواجهُ بكلمة الحق هادرة قاصمة؛ فيحني لها ولقائلها رأسه، ويفتح لها صدره، ويعلن على رؤوس الأشهاد أنه مخطيء، ومن تَبَّهه مصيب. فهذا (معاوية بن أبي سفيان) - رضي الله عنه - حَبَسَ العطاء^(١) يوماً. فلما صعد على المنبر قام إليه (أبو مسلم الخولاني) - رضي الله عنه - فقال له:

لِمَ حَبَسْتَ العطاء يا معاوية؟ إنه ليس من كَدِّكَ ولا كَدُّ أبيك ولا كَدُّ أمك حتى تحبس. فغضب (معاوية) غضباً شديداً، ونَزَلَ عن المنبر وقال للناس: مكانكم، وغاب عن أعينهم ساعة، ثم عاد إليهم فقال:

«إنَّ أبا مسلم كلَّمني بكلام أغضبني، وإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: [الغَضْبُ من الشيطان، والشيطانُ خُلِقَ من النار، وإنما تطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليغتسل] وإني دخلتُ فاغتسلت. وصدق أبو مسلم: إنه ليس من كَدِّي وكَدُّ أبي، فهلموا إلى عطائكم».

وإذا كان العالمُ المعاصر قد هَشَّ وبَشَّ، وفرح وطرب، ووقف معجباً كلَّ الإعجاب أمام الفيلسوف الفرنسي (جان جاك روسو) حين ألَّف كتابه (العقد الاجتماعي) الذي قال فيه:

«يولدُ الإنسانُ حراً، إلا أنه يُكَبَّلُ بالأغلال في كل مكان».

فإن من واجب المسلمين اليوم أن يُذَكِّروا العالم كلَّه أن في تاريخنا الإسلامي روائع إنسانية، ساوت بين الناس، وأخذت حقوق الضعفاء من الأقوياء قبل أربعة عشر قرناً. ويتجلى شيء من ذلك بما قاله سيدنا (عمر بن الخطاب) لـ (عمرو بن العاص) حين ضرب ولَدُ عمرو قبطياً من عامة الناس وقال له: خُذْها من ابن الأكرمَيْن، فَلَقْنَهُ

(١) العطاء: رواتب ثابتة يتناولها المسلمون كلهم من بيت المال.

سيدنا عمر درساً بليغاً حين قال له :

«يا عمرو، متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟»

وأمر القبطي أن يضرب (ابن الأكرميين) كما ضربه. وبعد أن انتهى القبطي من ضربه التفت سيدنا عمر إلى ذلك القبطي وقال له :

«انصرف راشداً؛ فإن رابك ريب فاكتب إلي».

إن الأمم المتحدة تتحدث عن حقوق الإنسان في القرن العشرين، ولكن أين حقوقك يا إنسان؟

أين حقوق الإنسان في فلسطين؟

أين حقوق الإنسان الأسود في أمريكا؟

أين حقوق الإنسان في كثير من الدول المتقدمة وغير المتقدمة؟

لقد أكل الإنسان القوي حقوق الإنسان الضعيف في القرن العشرين، وهو لا ينفك يُزدد: «حقوق الإنسان مصانة، إننا نحافظ على حقوق الإنسان...».

إن من الواجب على المسلمين اليوم أن يُظهروا تاريخهم: بروائع وأمجاده، وصفاته ونقائه أمام العالم؛ ذلك أن المسلمين قدّموا للعالم كله تراثاً روحياً وثقافياً وحضارياً عظيماً، عجزت أمم كثيرة أن تُقدّم عشر معشاره. بل إن أعداءنا الصهاينة يقومون الآن بجمع تراثنا من مكتبات وجامعات أوروبا ليجعلوا نَسَبَ قسم من المؤلفين نسباً يهودياً؛ ليظهروا أمام العالم بمظهر من قَدَمَ حضارة رائعة، فما بال المسلمين اليوم؟ وماذا دهاهم؟

وإذا كُنّا في هذه الباقية جمعنا هذه الروائع الإسلامية من هنا وهناك، فإنها ومثيلاتها لا تُؤخَذُ منفصلةً عن الإسلام، ولا تُقرأ على أنها أخبار تراثية حَدَثَتْ في فترة من فترات التاريخ فحسب، بل تُؤخَذُ على أنها ثمرة من ثمرات الإسلام.

إنَّ هذه الروائع الإسلامية إن هي إلاَّ دروس صامتة لشباب المسلمين في كل مكان، وأخُصَّ منهم من تأثَّر بثقافات الغرب: ممن صار يزدري تاريخه وحضارته.. دَوَّنَتْ هذه الروائع لتظهر أمام هذا الشباب عظمة المسلمين الذين عمَّروا المكتبات بأقلامهم وجدهم ونصيبهم. وبتلك المواقف المتعددة الجوانب التي هي محل فخر كل إنسان منصف في هذا الوجود؛ لعلَّها تأخذ مكانها في قلوب المسلمين؛ فيعودوا إلى المورد الصافي والمنهل العذب: إلى اتباع الإسلام عقيدة وشريعة ونظاماً.

عبد الله بن حذافة

وَجَّةَ عمرُ بن الخطاب - رضي الله عنه - جيشاً إلى الروم، وفيهم رجل يقال له (عبد الله بن حذافة) من أصحاب رسول الله - ﷺ - فأسرهُ الروم، وذهبوا به إلى ملكهم، فقال له الملك:

هل لك أن تنتصر وأشركك في ملكي وسلطاني؟

فأجابه عبد الله:

لو أعطيتني ما تملك، وجميع ما ملكته العرب على أن أرجع عن دين محمد - ﷺ - طرفة عين ما فعلت.

قال الملك: إذن أقتلك.

أجابه عبد الله: أنت وذاك.

فأمر به الملك أن يصلب، فُصِّلب، وقال للرملة: ارموه قريباً من يديه، قريباً من رجليه وهو يعرض عليه النصرانية فيأبى.. ثم أمر به فأنزل، ثم دعا بقدر فصب فيها ماء حتى غلت، ثم دعا بأسيرين من المسلمين، فأمر بأحدهما فألقى فيها وهو يعرض عليه النصرانية فيأبى، ثم أمر ب (عبد الله بن حذافة) أن يُلقى في هذه القدر.. فلما ذهبوا به بكى. فقيل للملك: إنه بكى، فظن أنه جزع، فقال: ردوه، فعرض

عليه النصرانية فأبى؛ فقال له: ما أبكاك إذن؟

قال: أبكاني أنني قد قلتُ في نفسي: تُلقي هذه الساعة في هذه القدر فتذهب؟ فكنت أشتهي أن يكون بعدد كل شعرة في جسدي نفس تُلقي مثل هذا في الله.

قال له الملك: هل لك أن تُقبِّل رأسي وأخلي عنك؟

قال عبد الله: وعن جميع أسارى المسلمين؟

قال: وعن جميع أسارى المسلمين.

قال عبد الله: قلتُ في نفسي: عدو من أعداء الله يُقبِّل يُخلي عني وعن أسارى المسلمين.. فقدم بهم على عمر - رضي الله عنه - فأخبر عمر بذلك؛ فقال عمر:

حق على كل مسلم أن يقبِّل رأس عبد الله بن حذافة، وأنا أبدأ، فقام عمر فقبِّل رأسه!!

ما رأيت شريف قوم أفضل منه

هو سيد بني تميم، وفتح (قاشان) و(خراسان)، كان تقياً ورعاً، قال عنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «الأحنف ميِّد أهل المشرق». وقال عنه الحسن البصري: «ما رأيتُ شريف قوم أفضل منه».

كان - رضي الله عنه - كثير الصلاة في الليل، وكان يُسرجُ المصباح ويصلي ويبيكي حتى الصباح، وكان يضع إصبغه في المصباح ويقول: «حس يا أحنف! ما حملك على كذا؟! ما حَمَلَك على كذا؟!» ويقول لنفسه: «إذا لم تصبر على حرِّ المصباح، فكيف تصبرُ على النار الكبرى؟»

ولقد مرَّت به جنازة فقال: رحم الله مَنْ أجهَدَ نفسه لمثل هذا اليوم. وكان يقول:

«عجبتُ لمن يجري في مجرى البول مرتين، كيف يتكبر؟!»

شغف المسلمين بالعلوم

اهتم المسلمون اهتماماً بالغاً بجمع النفاثس من الكتب. وحسبنا أن نذكر أن مكتبة القاهرة كانت تحوي مائة ألف مجلد، منها ستة آلاف في الطب والفلك فقط، وذلك في أوائل القرن الرابع. وبلغ من شدة شغف المسلمين بالعلوم كافة، أن صاروا يأخذون الكتب العلمية بدل الغرامات المالية مع قسم من الدول. ف (أبو يوسف) سلطان المغرب الأقصى، كان من شروطه على (دوق سنحو) أن يرده تلك الكتب التي أخذها من المسلمين حينما عقد صلحه معه. وكان ذلك؛ فأخذها، ووضعها في المدرسة التي شيدها بفاس.

أما الخليفة (المنصور)، فقد شرط في إحدى معاهداته مع إمبراطور (القسطنطينية) أن تكون الغرامة الحربية التي يدفعها له مجموعة من الكتب التي ألفها حكماء اليونانيين.

وأما (المأمون)، فكان من شروط صلحه مع (ميشيل الثالث) أن يعطيه مكتبة من مكاتب الآستانة.

وكان في (الأندلس) سبعون مكتبة عمومية، وقد حوت (مكتبة الخلفاء) فيها ستمائة ألف مجلد. وفهرس هذه المكتبة أربعة وأربعون مجلداً.

أكل الضيف وباتا طاويين

جاء رجل إلى رسول الله - ﷺ - فقال: إني مجهود (أي مهزول جائع). فأرسل - ﷺ - إلى بعض نسائه، فقالت: والذي بعثك بالحق ما عندنا إلا ماء.

ثم أرسل إلى أخرى، فقالت مثل ذلك، فقال - ﷺ -: من يضيفه يرحمه الله!؟

فقام رجل من الأنصار يقال له (أبو طلحة)، فقال: أنا يا رسول الله.

وانطلق إلى رحله، فقال لامرأته: هل عندك شيء؟
فقلت: لا، إلا قوت صياني.

قال: فعلليهم بشيء، ثم نوميهم، فإذا دخل ضيفنا، فأريه آناً نأكل، فإذا أهوى بيده ليأكل، فقومي إلى السراج كي تصلحيه فأطفيه. ففعلت، وقعدوا، وأكل الضيف، وباتا طاويين. فلما أصبح غداً على رسول الله - ﷺ - فقال له - ﷺ -:

قد عَجِبَ اللهُ البارحة من صنعكما بضيفكما، فنزل قوله تعالى: ﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ...﴾.

رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة

لو كان لك مائة نفس

أَسَلَّمَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقاص رضي الله عنه وأبث أمه عليه إسلامه، لأنها كانت مشركة، وكان سعد باراً بها، وحاولت أن تشنيه عن عزمه فقالت له:

يا سعد، ما هذا الدين الذي أحدثت؟ لَتَدَعَنَّ دينك أو لا أكل ولا أشرب حتى أموت فتعيّر بي!!

فقال لها: لا تفعلي يا أمي، فأنا لا أدع ديني.

ومكثت يوماً وليلة لا تأكل ولا تشرب، فأصبحت وقد أثر التعب في وجهها وجسمها..

فقال لها: والله لو كانت لك مائة نفسٍ فخرجت نفساً نفساً ما تركت هذا الدين.

فلما رأت ذلك، أكلت وشربت.

فأنزل الله سبحانه: ﴿وَلِنْ جَهْدَكَ عَلَيَّ أَنْ تَشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطْمِئِنَّا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ .

الآن طاب لي أكله

أتت (عمر بن عبد العزيز) سلّتا رطب من (الأردن) فقال: ما هذا؟

قالوا: رطب بعث به أمير الأردن.

قال: علام جيء به؟

قالوا: على دواب البريد.

قال: فما جعلني الله أحق بدواب البريد من المسلمين...
أخرجوهما واجعلوا ثمنهما في علف دواب البريد.

وكان ابن أخيه حاضراً، فغمز رجلاً إلى جانبه وقال له: اذهب،
فإذا قامتا على ثمن فخذهما واتني بهما. فأخرجت السلطان إلى السوق
فبلغتا أربعة عشر درهماً، فأخذهما الرجل فجاء بهما إليه، فقال:
اذهب بواحدة إلى أمير المؤمنين، واحبس لي واحدة.

فأتى الرجل عمر بن عبد العزيز؛ فقال: ما هذا؟

قال الرجل: اشتراهما ابن أخيك، فبعث إليك بهذه، وحبس
لنفسه الأخرى.

فقال عمر: الآن طاب لي أكله.

نهر بمليون درهم

كانت مناطق أقصى خراسان تعتمد على الأمطار في زراعتها
وشرب أهاليها، فإذا انحس المطر تعطلت الزراعة، وقاسى الناس
الويلات من العطش، فانتبه لذلك (أحمد بن أبي دؤاد) القاضي،

فدخل على المعتصم، وسأله أن يصرف من بيت المال ألف ألف درهم (مليون درهم) لحفر نهر في أقصى خراسان، وجر الماء إلى البلاد العطشى.

فقال المعتصم: وما عليّ من هذا النهر؟

فقال أحمد: يا أمير المؤمنين، إن الله يسألك عن أقصى رعيتك كما يسألك عن أهلك ومن حولك.. ولم يزل به حتى أمر بصرفها وحفر النهر.

ما بال هؤلاء الصبية يتضاغون

قال أسلم: خرجت مع عمر بن الخطاب خارج المدينة فرأينا ناراً تشتعل، فقال لي: يا أسلم، إني أرى ههنا ركبانا فانطلق بنا إليهم.

فصرنا نهرول حتى دنونا منهم، وإذا بامرأة معها صبيان وقدر منصوبة على نار، وصبيانها يتصايحون ويبكون.

فأقبل عمر بن الخطاب فسلم ثم قال:

ما بال هؤلاء الصبية يتضاغون؟

قالت: الجوع.

قال: وأي شيء في هذه القدر؟

قالت: ماء أسكتهم به حتى يناموا! والله بيننا وبين عمر!

فقال: أي رحمك الله، وما يدري عمر بكم؟

قالت: يتولى أمرنا ويغفل عنا؟

فأقبل عمر على (أسلم) وقال: انطلق بنا.

فخرجنا نهرول، حتى أتينا الدار، فأخرج عدلاً من دقيق، وكبة من شحم، وقال: احمله عليّ.

فقلت: أنا أحمله عنك!

قال: أنت تحمل وزري يوم القيامة؟ لا أم لك؟

فحملته عليه فانطلق وانطلقت معه نهروا. فألقى عندها ذلك،
وأخرج من الدقيق شيئاً، وجعل يقول:

ذُرِّيَّ عَلِيٍّ.. وجعل ينفخ تحت القدر، وكانت لحيته عظيمة،
فرايتُ الدخان يخرج من خلال لحيته، حتى طبخ لهم، ثم أنزلها
فقال: ابغني شيئاً.

فأنته بصحفة، فأقرَّغه فيها، فجعل يقول لها:

أطعميهم وأنا أسطح لهم - أي أبسطه حتى يبرد - فلم يزل حتى
شبعوا، وتَرَكَ عندهم فضل ذلك الطعام.

إن كنت أخذت فقد أبقيت

أصاب (عروة بن الزبير) الآكلة - السرطان - في رجله فأشاروا
عليه بقطعها.

قالوا: نسقيك المرقد.

فقال: إني لأكره أن أفارق عضواً من أعضائي، وأنا لا أجدُ المأ
لفراق ذلك العضو.

ودخل عليه قوم أنكرهم، فقال: ما هؤلاء؟

قالوا: يمسونك.

قال: أرجو أن أكفيكم ذلك من نفسي. ومدَّ رجله، وجيء
بالسكين، فقطع اللحم، وبالمشار فثبَّرَ به العظم، وأغلي الزيت في
مغارف الحديد، وحسم به الدم. كل ذلك، وهو لم يتحرك.

ولقد دخل عليه وهو في مصيبتة هذه رجل يعزيه؛ فقال له

(عروة):

«إن كنت تعزيني في رجلي، فقد احتسبتها».

قال: بل أعزبك في ولدك محمدا!

قال: ماله؟

قال: سقط الساعة في اسطبل دواب الوليد، فرفسته بقوائمها حتى قتله.

فما زاد على أن قال:

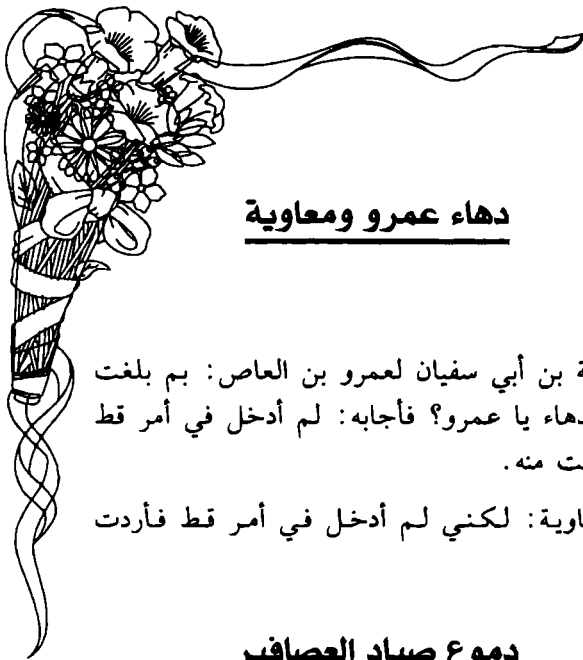
اللهم أخذت ابناً وأبقيت أبناء، وأخذت عضواً وأبقيت أعضاء.
اللهم إن كنت أخذت فقد أبقيت، وإن كنت ابتليت فقد عافيت.



الباقية السابحة
طرف وملح







دهاء عمرو ومعاوية

قال معاوية بن أبي سفيان لعمرو بن العاص: بم بلغت ما بلغت من الدهاء يا عمرو؟ فأجابه: لم أدخل في أمر قط فكرهته إلا خرجت منه.

فقال معاوية: لكنني لم أدخل في أمر قط فأردت الخروج منه.

دموع صياد العصافير

قال الفضل بن موسى الشيباني:

كان صياد يصطاد العصافير في يوم ريح، فجعلت الرياح تُدخِلُ في عينيه الغبار، فتدرفان فكلما صاد عصفوراً كسر جناحه وألقاه في جعبته، فقال عصفور لصاحبه:

ما أرقه علينا، ألا ترى دموع عينيه؟!

فقال الآخر: لا تنظر إلى دموع عينيه، ولكن انظر إلى عمل يديه! وفي هذا يقول الشاعر:

وكنت كذباًح العصافير جاهداً وعيناه من حزن تُهَلُّ وتدمع
فلا تنظري ليلي إلى الدمع وانظري إلى الكف ماذا بالعصافير تصنع

أبكي لمظلوم يصرخ

قال ناصح لأبي جعفر المنصور: كنت يا أمير المؤمنين أسافر

إلى الصين فقدمتها مرة، وقد أصيب ملكهم بسمعه، فبكى بكاءً شديداً فحثه جلساؤه على الصبر، فقال لهم: أما إني لست أبكي للبلية النازلة؛ ولكني أبكي لمظلوم يصرخ بالبواب فلا أسمع صوته، ثم قال: أما إذ قد ذهب سمعي فإن بصري لم يذهب؛ فنادوا في الناس ألا يلبس ثوباً أحمر إلا متظلم، ثم كان يركب طرف النهار ليرى متظلماً!!

بمن تقتدي؟

لما أراد نوح بن مريم قاضي مردان أن يزوج ابنته استشار جاراً له مجوسياً فقال: سبحان الله! الناس يستفتونك وأنت تستفتيني؟ قال: لا بد أن تشير علي! قال: إن رئيس الفرس كسرى كان يختار المال، ورئيس الروم قيصر كان يختار الجمال ورئيس العرب كان يختار النسب، ورئيسك محمد ﷺ كان يختار الدين فانظر لنفسك بمن تقتدي؟

لن يدعه الشيطان يتم قيامه

جاء رجل إلى أبي حنيفة - رحمه الله - وقال له: يا إمام، دفنت مالا منذ فترة طويلة، ونسيْتُ الموضع الذي دفنته فيه!

فقال الإمام: ليس في هذا فقه فأحتال لك، ولكن اذهب فصلِّ الليلة إلى الغداة فإنك ستذكره - إن شاء الله - ففعل، فلم يمض إلا أقل من ربع الليل حتى تذكر الموضع الذي دفن فيه المال، فجاء إلى أبي حنيفة فقال له أبو حنيفة: لقد علمت أن الشيطان لن يدعك تصلي الليل كله، فهلا أتممت ليلتك كلها شكراً لله تعالى!!

المرء بأصغريه

دخل على عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه - في أول خلافته وفود المهنتين من كل جهة. فتقدم عن وفد الحجاز غلام صغير لم

تبلغ سنه إحدى عشرة سنة؛ فقال له عمر: ارجع وليتقدم من هو أسنُّ منك .

فقال الغلام: أيد الله أمير المؤمنين! المرء بأصغريه: قلبه ولسانه فإذا منح الله العبد لساناً لافظاً، وقلباً حافظاً فقد استحق الكلام، ولو أن الأمر - يا أمير المؤمنين - بالسن، لكان في الأمة من هو أحق منك بمجلسك هذا! فتعجب عمر من كلامه وأنشد:

تعلم فليس المرء يولد عالماً وليس أخو علم كمن هو جاهل
وإن كبير القوم لا علم عنده صغيرٌ إذا التفت عليه المحافل

بِمَ سَدَّتْ قَوْمَكَ

قال رجلٌ للأحنف بن قيس: بِمَ سَدَّتْ قَوْمَكَ؟ - وأراد عيبه - ، فقال الأحنف: بتركي ما لا يعنيني، كما عناك من أمري ما لا يعينك!

بَيْنَ إِبْلِيسَ وَفِرْعَوْنَ

فرع إبليس باب فرعون، فقال فرعون: من بالباب؟ فقال إبليس: أتدعي الألوهية ولا تدري من ببابك؟! ففتح له وقال: ادخل يا ملعون، فلما جلس قال له: هل على وجه الأرض من هو شرُّ مني ومنك؟ إذ قلت: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ وقلت: ﴿مَا عَلَّمْتُ لَكُمْ مِنِّ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ وأنا من تعرف من عظيم جرمي؟

فقال: شرُّ مني ومنك من يأتي إليه أخوه معتذراً ولم يقبل عُذْرَهُ.. وشر من ذلك من يتمنى زوال نعمة أخيه المسلم.

لَا يَقْطَعُ عَنْهُ رِزْقَهُ

سأل كافرٌ أحد العلماء: لماذا وُصف الله سبحانه وتعالى بخير الرازقين؟

فأجابه العالم: ذلك لأنه إذا كفر به عبدٌ مثلك لا يقطع عنه رزقه.

الفقيه وصاحب الدار

سكن أحد الفقهاء في بيت سقّفه يفرقع باستمرار فلما جاء صاحب الدار يطلب الأجرة قال له: أصلح السقف فإنه يفرقع. فقال صاحب البيت: لا تخف إنه يسبح الله تعالى أيها الفقيه، فقال الفقيه: ولكن أخشى أن تدركه رقة فيسجد!

أضغاث أحلام

دخل أحد الشعراء قصر أمير من الأمراء وفي يده رقعة كتب فيها:

رأيت في النوم أني راكبٌ فرساً ولي عبيدٌ وفي جيبِي دنانير
فقال قوم لهم علم ومعرفةً رأيتُ خيراً وللأحلام تفسير
فلما قرأ الأمير كتب في ظهرها: ﴿أَضْغَثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ
الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ﴾.

بين الذئب والشاة

قال الذئب للشاة: ثقي بي فسأقودك إلى مرتع خصب.

فقالت الشاة: إنني أرى بعيني عظام زميلاتي.

قال الذئب: لم أكلها أنا، وإنما أكلها ذئبٌ غيري.

قالت الشاة: وهل انسلخت من طبيعتك حتى لا تفعل ما

فعلوا؟!!

دينار يلد

وجدت امرأةً ديناراً، فأخبرت زوجها فقال: ادفعيه إليّ حتى يلد

لك في كل أسبوع درهمين، فدفعته إليه، فصار يدفع إليها، فلما كان الأسبوع الرابع طالبتة بالدرهمين، فقال: مات في النفاس، فقالت: ويلى عليك، كيف يموت الدينار؟! فقال لها: الويل لك على أهلك: كيف تصدقين بولادته وتنكرين موته في نفاسه؟!.

من أشعر الناس

روى صاحب الأغاني أن رجلاً قال لجرير: من أشعر الناس؟ فقال له: قم حتى أعرفك من هو، ودخل به بيت أبيه عطية وقد أخذ عنزة فاعتقلها وجعل يمص ضرعها. فصاح به: اخرج يا أبتى، فخرج شيخ دميم رث الهيئة وقد سال لبنُ العنز على لحيته فقال جرير:

أتعرف من هذا الرجل؟ قال الرجل: لا، قال: هذا أبي. كان يشرب من ضرع العنزة مخافة أن يُسمع صوتُ الحلب فيطلب منه لبن. وإن أشعر الناس من فاخر بهذا الأب ثمانين شاعراً، وفاز عليهم.

ادفني عريانا

قال رجل لآخر: لو مت أنا ما كنت تفعل؟

قال: كنت أكفئك وأدفنك.

قال: فاكسني الساعة ما تكفنتي به، وإذا متُ فادفني عريانا.

على مائدة الخليفة

حضر أعرابيُّ على مائدة بعض الخلفاء فقدم له جدي مشوي، فجعل الأعرابي يسرع في الأكل فقال الخليفة: أراك تأكله بحرقية كأن أمه نطحتك! فقال: أراك تُسْفِقُ عليه كأن أمه أَرْضَعَتْكَ.

من نوادر جحا

دخل جحا على بعض البخلاء وبين يديه خبز وإناء فيه عسل فأخفى الرجل الخبز وأراد أن يخفي العسل فما أمكنه، وظن أن جحا لا يأكل العسل بلا خبز فقال: هل تأكل عسلاً بلا خبز؟ قال: نعم، وجعل يلحق العسل فقال له البخيل: مهلاً فإنه يحرق القلب قال: صدقت ولكن قلبك لا قلبي.

ابن القاسم يطلب العلم

قال ابن القاسم: أتختُ بباب مالك سبع عشرة سنة ما بعثُ فيها ولا اشتريت شيئاً. فبينما أنا عنده إذ أقبل حاج مصر، فإذا بشاب ملثم دخل علينا فسلم على مالك، فقال: أفيكم ابن القاسم؟ فأشير إليّ، فأقبل يقبل عيني، ووجدتُ منه ريحاً طيبة، فإذا هي رائحة الولد؛ وإذا هو ابني!

وكان ابن القاسم ترك أمه حاملاً به، وكانت ابنة عمه، وقد خيرها عند سفره لطول إقامته، فاخترت البقاء!

بلاغة القرآن

قال الأصمعي: خرجت ذات ليلة إلى الصحراء، وكان الليل قرأً والريح صرأً، وفيما أنا سائر إذ بصرت بطفلة لم تتعد التاسعة من عمرها تغني وتقول:

أستغفرُ الله لذنبي كلُّه قتلتُ إنساناً بغير حلِّه
مثل غزالٍ ناعمٍ في دله وانتصف الليل ولم أصله
فقلت لها: يا هَذِه، قاتلك اللهُ ما أبلغك على صغرك! فأجابت:
ويحك يا رجل، وهل هذا بلاغة بجانب قول الله: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَرْسُلَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ تَرْضِعِيَهُ إِذَا خَفِيَ عَلَيْهِ فَاكْفِيهِ فِي آلِيهِ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٧) فقد جمع - سبحانه - بين

أمرين ونهيين وبشارتين في آية واحدة!

قال الأصمعي: فانصرفت طرباً جزلاً من شدة إعجابي بهذه الصغيرة التي نهيتني إلى بلاغة القرآن الكريم.

وعد الأحرار

كان الحارث بن عباد في حرب، وأراد أن يظفر بعدي بن أبي ربيعة، ليثأر منه، وبينما هو في معمعة الحرب أسر رجلاً، فطلب منه أن يدلّه على عدي بن أبي ربيعة، فقال له الأسير: أتطلقني من أسري إن دَلَلْتُكَ عليه؟

قال: نعم.

فقال له: أنا عدي بن أبي ربيعة.

فأطلقه وفاء لوعده.

الكلب والغزال

قيل: عدا كلب وراء غزال.

فقال الغزال: إنك لن تلحقني!

قال الكلب: ولم؟

قال الغزال: لأنني أعدو لنفسي، وأنت تعدو لصاحبك.

إذا ذهب فلن أعود

مما قاله بعض الحكماء:

إن العلم والمال والشرف اجتمعوا مرة، وحين أرادوا أن يفترقوا قال المال: إنني ذاهب يا إخوتي، فإذا أردتم أن تجدوني، فابحثوا عني في ذلك القصر العظيم.

وقال العلم: أما أنا، فابحثوا عني في تلك الجامعة الكبرى.
وظل الشرف ساكناً، فسأله صاحبه: لماذا لا تجيب؟
فقال: أما أنا فإنني إذا ذهبت، فلن أعود!

كيف حال الأهل والأولاد؟

كان أبو بكر الباقلائي من أفذاذ العلماء: لبيباً، سريع الخاطر،
وجّههُ عضد الدولة إلى ملك الروم في سفارة فقام بها خير قيام. وفي
هذه الرحلة لقي كبير مطارنة الروم، فأراد الباقلائي أن يسخر منه فقال
له محيياً:

كيف أنت وكيف الأهل والأولاد؟

فاغتاظ المطران وقال له محقناً:

زعم من أرسلك أنك لبيب ذكي، أما علمت أن المطارنة متزهون
عن الأهل والأولاد؟

فقال الباقلائي: رأيناكم لا تنزهون الله عن الأهل والأولاد، فهل
المطارنة عندكم أقدس وأجل من الله سبحانه؟!

لا تشاؤم

كان المنصور بن أبي عامر الأندلسي إذا قصد الغزو عقد لواءه
بجامع (قرطبة)، ولم يسر إلى الغزو إلا من الجامع. وذات يوم اتجه
إلى الجامع ليعقد اللواء فيه. فاجتمع عنده القضاة والعلماء وأرباب
الدولة، فرفع حاملُ اللواء اللواء، فأصاب ثريا من ثريات الجامع،
فانكسرت على اللواء، وتبدد الزيت؛ فَتَطَيَّرَ الحاضرون من ذلك، وتغير
وجه (المنصور)، فقال له رجل منهم:

«أُبشِرْ - يا أمير المؤمنين - لغزو هين، وغنيمَة سارة، فقد بلغت
أعلامك الثريا، وسقاها الله من شجرة مباركة زيتونة».

فاستحسن (المنصور) ذلك، واستبشر به، وكانت الغزوة من أبرك الغزوات.

دواء الغيبة

قال عبد الله بن وهب القرشي المصري المتوفى سنة ١٩٧ هـ:
جعلتُ على نفسي كلِّما اغتبتُ إنساناً صيام يوم، فهان عليّ،
فجعلتُ عليها كلِّما اغتبتُ إنساناً صدقة درهم، فثقل عليّ، فتركتُ
الغيبة.

مكتبة أهد

حتى لا تنقطع المروءة

كان فارس من العرب يجتاز على جواده باديةً اشتدَّ فيها القيظ،
وتحوّلت رمالها إلى مثل الجمر، فلقي في طريقه رجلاً يمشي على
قدميه وهو حاف؛ فرقَّ له الفارس، فنزل عن فرسه، ودعا الرجل
الماشي إلى ركوب جواده. . لكن هذا الماشي كان لصاً من لصوص
الخيال: فما تمكَّن من ظهر الجواد حتى عدا به لا يلوي على شيء،
فناداه صاحبه قائلاً له:

لقد وهبتك الجواد؛ فلن أسأل عنه بعد اليوم، ولكنني أطلب
منك أن تكتم هذا الأمر عن الناس؛ لئلا ينتشر بين قبائل العرب؛ فلا
يغيث القويُّ الضعيف، ولا يرقُّ الراكب للماشي، فتزول المروءة.

فلما سمع اللص كلامه، أخذه الحياء، وأعاد الجواد إلى
صاحبه، ولم يرض أن يكون أوَّل داعٍ إلى القضاء على المروءة.

الأحمر يطلب العلم

كان (الأحمر) صاحب الكسائي رجلاً من رجال النوبة على باب
الرشيد، وكان يحب علم العربية، فكان يرصد مسير الكسائي إلى
الرشيد، ويعرض له في طريقه كل يوم. فإذا أقبل تلقاه، وأخذ بركابه،

ثم أخذ بيده وأنزله وماشاه إلى أن يبلغ الستر، وسأله في طريقه عن المسألة بعد المسألة، فإذا دخل الكسائي رجع الأحمر إلى مكانه، فإذا خرج الكسائي من الدار تلقاه لدى الستر، وأخذ بيده وسأله إلى أن يركب ويجاوز المضارب، ثم ينصرف إلى الباب، فلم يزل كذلك يتعلم المسألة بعد المسألة حتى قوي وتمكّن. وقد صار الأحمر - فيما بعد - معلماً لأولاد الرشيد.

لا تشتغل عن قول الحق بشيء

قُدّم رجل من (الخوارج) لـ (عبد الملك بن مروان) لتضرب عنقه.

وقبيل التنفيذ دخل على (عبد الملك) ابن صغير له يبكي، لأنّ المعلم قد ضربه؛ فأخذ (عبد الملك) يهدئ الولد، ويكفكف دمه، فقال الخارجي:

دع الولد يبك، فإنه أزحَبُ لشدقه، وأصح لبصره، وأذهب لصوته، وأحرى ألاّ تأبى عليه عينه إذا حفزته طاعة الله فاستدعى عبرتها.

فقال له عبد الملك: أما يَشْعَلُكَ ما أنت فيه عن هذا؟

قال الخارجي: ما ينبغي للمسلم أن يشغله عن قول الحق شيء، فأمر (عبد الملك) بتخية سبيله!

العرب لا تَسْتَحْذِي

شكّ (الأصمعي) في لفظ استخذى (أي خضع)، وأحبّ أن يستثبت: أهي مهموزة أم غير مهموزة، قال:

فقلت لأعرابي: أتقول استخذيت أم استخذأت؟

قال: لا أقولهما.

فقلت: ولم؟

قال: لأنَّ العَرَبَ لا تستخذي (لا تخضع)!

رحم الله ذلك الأعرابي! لقد أبى أن يقبل الاستخذاء (كلمة)، فكيف لو رأى قومه الآن وقد قبلوه (حقيقة)!

ألا ما أبعد الفرق بين الماضي والحاضر، وما أحوجنا إلى تلك الأنفة من جديد!!

أنت طالق إن لم أكن من أهل الجنة

عالم تحرير ولد سنة ٩٤ من الهجرة النبوية قال عنه الإمام الشافعي: الليثُ أفقه من مالك، ولكن أصحابه لم يقوموا به (أي لم يُدُونوا علمه، فضاع مذهبه واندثر). وقال فيه الإمام أحمد بن حنبل: ما في المصريين أثبت من الليث. وكان يقول: الليثُ بنُ سَعْدٍ ما أصحَّ حديثه!

وكان له مع الخلفاء حوادث طريفة، منها: أنه جرى بين هرون الرشيد وبين زوجته (زبيدة) كلام فقال لها: أنت طالق إن لم أكن من أهل الجنة... ثم ندم فكتب إلى البلدان، فجمع علماءها إليه، فلما اجتمعوا جلس لهم فسألهم، فاختلفوا، وبقي الليث لم يتكلم، فسأله، فقال: إذا أخلى أمير المؤمنين مجلسه، فصرفهم فقال: أتكلّم على الأمان؟ قال: نعم. فأمر بإحضار مصحف فأحضر. قال: اقرأ يا أمير المؤمنين سورة (الرحمن)، فقرأها حتى وصل إلى قوله تعالى: ﴿وَلَمَّ حَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّانٍ﴾، قال: أمسك يا أمير المؤمنين، قل: والله..

فصعب على (الرشيد) أن يُخلّفه، فقال: الشرط يا أمير المؤمنين، فخلّفه بأشدّ الإيمان أنه يخاف مقام ربه، فلما حلف، قال: هما جنتان يا أمير المؤمنين لا جنة واحدة.

فسمع التصفيق وصياح الفرح من وراء الستر.

وكان الليث يعيش عيشة الملوك.. وكان إذا رحل، رحل بثلاث سفائن: سفينة له ولأضيافه وتلاميذه، وسفينة لعياله، وسفينة لمطبخه وخدمه.. وكان كل من جاءه من التلاميذ يأكل وينام وينفق على حسابه، لا يكلفه من ماله أي شيء كان، فإذا أراد السفر، أعطاه نفقته وزاده.

لقد جمع الله لليث الدنيا والدين، والجاه والتقوى، وكان سيّد مصر، أمره قبل أمر الولاية، وحُكْمُهُ فوق حكم القضاة، وكان دخله من أملاكه ما بين عشرين وثمانين ألف دينار في العام (ثمانين ألف ليرة ذهبية) ولم تجب عليه زكاة قط... لأنه لم يكن يحول عليه الحول وعنده منها شيء... توفي سنة ١٧٥ هـ وعمره إحدى وثمانون سنة.

أنت زوجتي ورب الكعبة

أراد (زين العابدين) - رضي الله عنه - أن يعقد على امرأة فقال لها في مجلس العقد:

إني رجل سيء الخلق، دقيق الملاحظة، شديد المؤاخذة، سريع الغضبة، بطيء الفئحة، فإن كان عندك شيء من الصبر على المكروه فتقدّمي، وإلا فلا أغرّرك بك!

فنظرت إليه غير مكترثة وقالت له:

أسوأ منك خُلُقاً مَنْ تحوجك إلى سوء الخلق.

فقال لها: أنت زوجتي وربّ الكعبة.. فمكّث معها عشر سنين ما لامها، ثم وقع بينهما شيء فقال لها:

أمرك بيدك. ثم ندم على ما بدّر منه فقالت له:

أما والله، لقد كان أمري بيدك عشر سنين فأحسنْتَ حفظه، فلن أضيّعه أنا ساعة من نهار، وقد رددته إليك...

فقال لها: لا جرم أنك من أعظم نعم الله علي!

حسدني عليك

قال الشعبي: أرسلني (عبد الملك بن مروان) إلى ملك الروم. فلما وصلتُ إليه جعل لا يسألني عن شيء إلا أجبتُه، وكانت الرسل لا تطيل الإقامة عنده، فحبسني أياماً كثيرة حتى استحشثت خروجي، فلما أردت الانصراف قال لي: من أهل بيت المملكة أنت؟

فقلت: لا، ولكنني رجل من العرب في الجملة. فهمس بشيء؛ فُدْفَعْتُ إليّ رقعة وقال لي:

إذا أديت الرسائل إلى صاحبك، فأوصل إليه هذه الرقعة.

قال الشعبي: فأديتُ الرسائل إلى عبد الملك ونسيتُ الرقعة، فلما صرْتُ في بعض الدار أريد الخروج تذكرتها، فرجعت فأوصلتها إليه. فلما قرأها قال لي:

أقال لك شيئاً قبل أن يدفعا إليك؟

قلت: نعم، قال لي: من أهل بيت المملكة أنت؟ قلت: لا، ولكنني من العرب في الجملة.

ثم خرجتُ من عند الخليفة، فلما بلغت الباب رددت. فلما مثلت بين يديه قال لي:

أتدري ما في الرقعة؟

قلت: لا.

قال: اقرأها. فقرأتها فإذا فيها: [عجبتُ من قومٍ فيهم مثلُ هذا كيف ملكوا غيره!].

فقلت: والله لو علمتُ ما فيها ما حملتها، وإنما قال هذا لأنه لم

يرك.

قال: أفتدري لم كتبها؟

قلت: لا.

قال: حسدني عليك، وأراد أن يغريني بقتلك. فلما علم ملك الروم بذلك قال: ما أردتُ إلا قتله كما قال!

عامي يستدرك على عالم

أقام أبو الفضل المراغي بمدينة السلام يستزيد من العلم. فلما عزم على الرحيل ذهب إلى بائع خبز لشراء ما يتزوّد به في سفره، فسمعه يقول لبائع آخر: سمعتُ اليوم واعظاً يقول: إنّ ابن عباس - رضي الله عنه - يرى أنّ الاستثناء من اليمين جائز ولو بعد عام. ولقد فكّرْتُ في هذا القول، وتلوْتُ قول الله - عزَّ وجل - لأيوب - عليه السلام :-

﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْتًا فَاُضْرِبْ بِهٖ وَلَا تَحْنَتْ﴾، ولو كان الاستثناء جائزاً

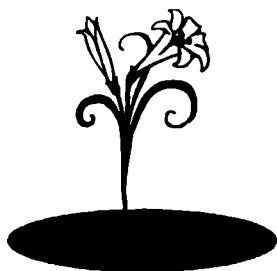
بعد عام كما يقول، لقال الله له: قل إن شاء الله ولا تحنث!

فلما سمع أبو الفضل المراغي ذلك عَجِبَ وقال: إنّ بلداً يكونُ الباعَةَ فيه على هذه الدرجة من الفهم العلمي لا ينبغي أن أرحل عنه؛ فعَدَلْ عن السفر، وأقام بدار السلام حتى مات.

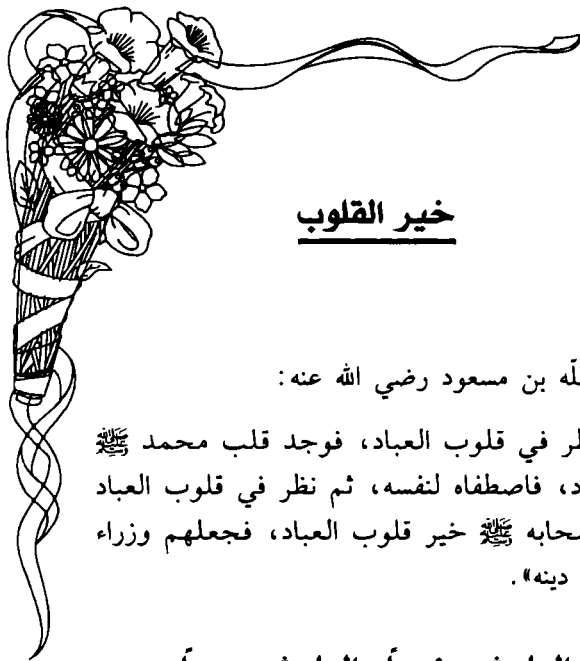


الباقة الثامنة

من روائع الكلم والحكم والأمثال







خير القلوب

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه :

«إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، ثم نظر في قلوب العباد فوجد قلوب أصحابه ﷺ خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه».

الملوث جنسياً والملوث جيبياً

جاء في إحدى مؤلفات اللواء الركن محمود شيت خطاب :

«إن الذي أعلمه علم اليقين ولا أشك فيه أبداً هو أن الملوث جنسياً أو الملوث جيبياً لا يمكن أن يقاتل في الحرب كما يقاتل الرجال. وأريد بالملوث جنسياً الذي تردى في مهاوي الرذيلة فسقاً وفجوراً، يقضي أيامه مفكراً في البغايا، ويقضي ليلته في معاشرتهن ويكشف ذيله على ما حرم الله، ويطمع في أعراض الناس».

وأقصد بالملوث جيبياً الذي دخل جيبه المال الحرام رشوة وغشاً وجمعاً للمال من غير طريق مشروع..

وأقرر هذا المبدأ اعتماداً على تجربتي العملية في الحروب، واستناداً إلى دراساتي لتاريخ الفتح الإسلامي العظيم، وإلى ما قرره القادة العظام الأقدمون والمحدثون على حد سواء».

لا تجعل قبر شيخك صنماً

وكل حقيقة خالفت الشريعة فهي زندقة. الشيخ من يلزمك الكتاب والسنة، ويعدك عن الحرمة والبدعة!

لا تجعل رواق شيخك حرماً، وقبره صنماً وحاله دفة المكيدة! إذا رأيت الرجل يطير في الهواء، فلا تعتبره حتى تزن أقواله وأفعاله بميزان الشرع!!

لا تغلوا صداق النساء

قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -:

لا تغلوا صداق النساء؛ فإنها لو كانت مكرمة في الدنيا أو تقوى في الآخرة كان أولاكم بها النبي ﷺ ما أصدق رسول الله ﷺ امرأة من نسائه ولا أصدقت امرأة من بناته أكثر من اثنتي عشرة أوقية - أي قريباً من خمسمائة درهم -.

السياسة الحكيمة

قال الوليد لعبد الملك: يا أبت ما السياسة؟

قال: هيبة الخاصة مع صدق مودتها، واقتياد قلوب العامة بالإنصاف لها، واحتمال هفوات الصنائع!!

حين تفتقد قلبك

قال عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه -:

«اطلب قلبك في ثلاثة مواطن: عند سماع القرآن، وفي مجالس الذكر وفي أوقات الخلوة. فإن لم تجده في هذه المواطن فاسأل الله يمنً عليك بقلب، فإنه لا قلب لك!»!

إياك والتصنع

قال الشيخ حسين المرصفي:

«إن من نصَّب نفسه لوظيفة الهدى، ودعاء الناس إلى الخير يجب أن يكون أبعدهم من التصنع، وأحرصهم على الكمال فإن أدنى هفوة منه تُسقطُ اعتباره، وتُسَهِّلُ التهاون به، فلا يكون لكلامه تأثيرٌ في القلوب، ويصير مجلسه مسلاةً يتلهى الناس بحضوره. وقالوا: ما أحسن التاج وهو على رأس الملك أحسن، وما أحسن الدرّة وهي على نحر الفتاة أحسن وما أحسن الموعظة وهي من الفاضل التقي أحسن!»!

الصدّاقة

قال رجل لمطيع بن إياس: جئتكَ خاطباً مودّتكَ.

قال: قد زوّجْتُكَها على شرط أن تجعل صداقها ألاّ تسمع فيّ كلام الناس.

حق الله

قال علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه -:

«إذا استعظمت الذنب فقد عظمت حقّ الله، وإذا استصغرتَه فقد صغرتَ حق الله، وما من ذنب استعظمتَه إلا صغر عند الله، وما من ذنب استصغرتَه إلا عظم عند الله...».

الحسنة والسيئة

قال عبد الله بن عباس - رضي الله عنه -:

«إنّ للحسنة نوراً في القلب، وزيناً في الوجه، وقوة في البدن، وسعة في الرزق، ومحبة في قلوب الخلق. وإنّ للسيئة ظلمة في

القلب، وشيناً في الوجه، ووهناً في البدن، ونقصاً في الرزق، وبغضة في قلوب الخلق».

العربية بنيت على أصل سحري

قال مصطفى صادق الرافعي - رحمه الله :-

«إن هذه العربية بُنِيَتْ على أصل سحري يجعل شبابها خالداً عليها؛ فلا تهرم ولا تموت؛ لأنها أعدت من الأزل فلماً دائراً للنيرين العظيمين وهما: كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ومن ثم كانت فيها قوة عجيبة من الاستهواء كأنها آخذة السحر، ولا يملك معها البليغ إلا أن يأخذ أو يدع!»

مفاتيح الجنة

قال رسول الله ﷺ:

«اضمنوا لي ستاً من أنفسكم أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا ائتمنتم، وغضوا أبصاركم، واحفظوا فروجكم وكفوا أيديكم!»

دين العقل والفطرة

قيل لبعض الأعراب - وقد أسلم لما عرف دعوته ﷺ:

عن أي شيء أسلمت؟ وما رأيت منه مما دلك على أنه رسول الله؟

فقال: ما أمر بشيء فقال العقل ليته نهى عنه، ولا نهى عن شيء فقال العقل ليته أمر به، ولا أحل شيئاً فقال العقل ليته حرمه، ولا حرم شيئاً فقال العقل ليته أباحه.

لا تستطيع أن تشقيني

غاضب رجلٌ زوجته، وقال لها متوعداً: لأشقيئك! فقالت في هدوء: لا تستطيع أن تشقيني. فقال لها: كيف ذلك؟ قالت: لو كانت السعادة في مالٍ لحَرَمْتَنِي منه، أو في حليٍ لمنعته عني، ولكنها في شيء لا تملكه أنت ولا الناس. إني أجدُ سعادتي في إيماني، وإيماني في قلبي، وقلبي لا سلطان لأحد عليه غير ربي.

الرجال أربعة

قال الخليل بن أحمد: الرجال أربعة.

رجل يدري ويدري أنه يدري، فسلوه. ورجل يدري ولا يدري أنه يدري، فذاك ناسٍ فذكروه. ورجل لا يدري ويدري أنه لا يدري، فذاك مسترشد فعلموه، ورجل لا يدري، ولا يدري أنه لا يدري، فذاك جاهل فاقصوه.

الكلام على وجوه

كان أحد العلماء يطيل السكوت، فإذا تكلم انبسط. فقال له أحدهم ذات يوم: «لو تكلمت» فقال: «الكلام على أربعة أوجه: فمنه كلام ترجو منفعة وتخشى عاقبته، فالسكوت من السلامة. ومنه كلام لا ترجو منفعة ولا تخشى عاقبته.. فأقل ما لك في تركه خفة المؤونة على بدنك ولسانك... ومنه كلام لا ترجو منفعة وتخشى عاقبته، وهذا هو الداء العضال. ومن الكلام كلامٌ ترجو منفعة وتأمين عاقبته.. فهذا الذي يجب عليك نشره».

قال: «إذا هو قد أسقط ثلاثة أرباع الكلام».

خصال ثلاث

قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: خصال ثلاث من لم

تكن فيه لم ينفعه الإيمان: حلم يرد به جهل الجاهل، وورع يحجزه عن المحارم، وخلق يداري به الناس.

أكثر الناس ذلاً وأعظمهم عزة

أكثر الناس ذلاً فقير داهن غنياً وتواضع له، وأعظمُ الناس عزة غني تذلُّ لفقير وحفظ كرامته.

ثلاثة تعرف من ثلاثة

ثلاثة لا تعرف إلا في ثلاث: ذو البأس لا يُعرف إلا عند اللقاء وذو الأمانة لا يعرف إلا عند الأخذ والعطاء، والأخوان لا يُعرفون إلا عند النوائب.

أوصاني ربي

قال رسول الله ﷺ: (أوصاني ربي بتسع أوصيكم بها: أوصاني بالإخلاص في السر والعلن، والقصد في الغنى والفقير، والعدل في الرضى والغضب وأن أعفو عمن ظلمني، وأعطي من حرمني، وأصل من قطعني، وأن يكون صمتي فكراً، ونظقي ذكراً، ونظري عبرة).

مكتبات الأندلس

لقد اشتملت مكتبةٌ واحدةٌ في الأندلس على ستمائة ألف مجلد، وإن قائمة أسمائها وحدها ٤٤ مجلداً، وإنه كان بالأندلس سبعون مكتبة عامة غير المكتبات الخاصة التي كانت تحفل بها قصور الوزراء والعلماء وأهل الوجاهة والرياسة والأدب.

تمام المعروف

قال ابن العباس - رضي الله عنه -: لا يتم المعروف إلا بثلاث:



تعجيله، وتصغيره، وستره، فإذا عَجَلَهُ فقد هُتِّأه، وإذا صغره فقد عظمه، وإذا ستره فقد تممه.

الطريق إلى الله

قال الشيخ أشرف علي التهانوي الهندي - رحمه الله :-

خلاصة الطريق إلى الله هما أمران: الطاعة والذكر، أما الطاعة فتزول بالمعصية وأما الذكر فيختل بالغفلة، ولذلك يجب على المرء أن يرى من واجبه إدامة الذكر والطاعة وتجنب المعصية والغفلة.

تصرفات الحب

ذكر الشيخ جلال الدين الرومي عجائب الحب فقال:

إن الحب يُحوِّلُ المرءَ حلوّاً والتراب تبراً، والكدر صفوّاً، والألم شفاءً، والسجن روضةً، والسقم نعمةً، والقهر رحمةً، وهو الذي يُلين الحديد، ويذيب الحجر، ويبعث الميت، وينفخ فيه الحياة، ويسود العبد...

خوف الفقر

قال سفيان:

ليس للشيطان سلاح مثل خوف الفقر.. فإذا قبل ذلك منه أخذ في الباطل، ومنع من الحق، وتكلم بالهوى، وظن بربه ظن السوء!

أربعة تعرف عند أربعة

لا يعرف الشجاع إلا عند الحرب، ولا الحليم إلا عند الغضب، ولا الأحمق إلا عند الأخذ والعطاء، ولا الإخوان إلا عند النوائب!

البخيل شقي بماله

قال الحسن البصري - رحمه الله :-

لم أرَ أشقى بماله من البخيل؛ لأنه في الدنيا يهتم بجمعه، وفي الآخرة يحاسب على منعه، غير آمن في الدنيا من همّه، ولا ناج في الآخرة من إثمّه، عيشه في الدنيا عيشُ الفقراء، وحسابه في الآخرة حسابُ الأغنياء.

خمس خصال

قال عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه :-

إذا كان في القاضي خمس خصال فقد كمل: علم بمن كان قبله، ونزاهة عن الطمع، وحلم عن الخصم، واقتداء بالأمة، ومشاورة أهل العلم.

طبقات الإخوان

مما ينسب إلى الخليفة (المأمون) قوله:

الإخوان ثلاث طبقات: طبقة كالغذاء لا يُسْتَعْنَى عنه، وطبقة كالدواء قد يحتاج إليه، وطبقة كالداء جئبك الله إياه!

الجماعة والنصر

قال أكتثم بن صيفي:

أقلُّوا الخلاف على أمرائكم، واعلموا أن كثرة الصياح من الفشل، والمرء يعجز لا محالة، وتثبتوا، واثتروا للحرب، وأدروعوا الليل، فإنه أخفى للويل، ولا جماعة لمن اختلف عليه.

الكتاب بستان

مما قاله الجاحظ في الكتاب:

وعاءٌ مُلئٌ علماً، وظرفٌ حُشِيٌّ ظرفاً، وإناءٌ شُجِنَ مزاحاً، إن شئتَ كان أعياناً من (باقل)، وإن شئتَ كان أبلغ من (سحبان وائل)، وإن شئتَ سَرَّتَكَ نوادره، وشجيتك مواعظه، ومن لك بواعظٍ مثله، وبناسك فاتهك، وناطقٌ أخرس، ومن لك بشيءٍ يجمع الأول والآخِر، والناقص والوافر، والشاهد والغائب، والرفيع والوضيع، والغث والسمين؟

وبعد: فما رأيتَ بستاناً يُخَمَلُ في ردن، وروضةً تنقل في حجر، ينطق عن الموتى، ويترجم كلام الأحياء، ومن لك بمؤنسٍ لا ينام إلا بنومك ولا ينطق إلا بما تهوى، آمنٌ من الأرض، وأكتم للسر من صاحب السر، وأحفظٌ للوديعه من أرباب الوديعه؟!

خصال ثلاث

يقولون: على الحاكم أن يعمل بثلاث خصال:

تأخير العقوبة في سلطان الغضب، وتعجيل مكافأة المحسن، والأناة فيما يحدث، فإن له في تأخير العقوبة إمكان العفو، وفي تعجيل المكافأة بالإحسان المسارعة بالطاعة من الرعية والجند، وفي الأناة انفساح الرأي واتساح الصواب!

الدنيا والآخرة

كتب عمر بن عبد العزيز إلى الحسن البصري، يطلب منه أن يجمع له أمر الدنيا والآخرة في كتاب فأجابته:

إنما الدنيا حلم والآخرة يقظة، والموت متوسط... ونحن في أضغاث أحلام. من حاسب نفسه ربح، ومن غفل عنها خسر، ومن

نظر في العواقب نجا، ومن أطاع هواه ضل، ومن حلم غنم، ومن
خاف سلم، ومن اعتبر أبصر، ومن أبصر فهم، ومن فهم علم، ومن
علم عمل، فإذا زللت فارجع، وإذا ندمت فأقلع، وإذا جهلت فاسأل،
وإذا غضبت فأمسك!

ذكاء وفطنة

قال عمرو بن العاص - رضي الله عنه -:

ليس العاقل الذي يعرف الخير من الشر، ولكنه الذي يعرف خير
الشرين. وليس الواصل الذي يصل من يصله، ولكنه الذي يصل من
قطعه، وليس العاقل الذي يحتال للأمر إذا وقع، ولكنه الذي يحتال
للأمر ألا يقع فيه!

كل كلمة خير من ألف

روي أن العباس بن عبد المطلب قال لابنه عبد الله: إني أرى
هذا الرجل - يقصد عمر بن الخطاب - يقدمك على الأشياخ - أي كبار
الصحابة - فاحفظ عني خمساً:

لا تفسين له سرأ، ولا تغتابن عنده أحداً، ولا يجربن عليك
كذباً، ولا تعصين له أمراً، ولا يطلعن منك على خيانة.

فقال عبد الله: والله إن كل كلمة من هذه الخمس خير من
ألف.

هكذا تختار الوزراء

جاء في الأحكام السلطانية:

إني التمسْتُ لأموري رجلاً جامعاً لخصال الخير: عفة في
خلائقه، واستقامة في طرائقه، قد هذبته الآداب، وأحكمته التجارب،

إن أؤتمنَ على الأسرار قام بها، وإن قُلِّدَ مهمات الأمور نهض فيها، يسكنه الحلم، ويُنطقه العلم وتكفيه اللحظة، وتغنيه اللحمة، له صولة الأمراء، وأناة الحكماء وتواضع العلماء، وفهمُ الفقهاء، أن أُخِينَ إليه شكر، وأن ابتليَ بالإساءة صبر، لا يبيع نصيب يومه بحرمان غده، يسترق قلوب الرجال بخلاصة لسانه وحسن بيانه.

ثلاث من كن فيه فقد استكمل الإيمان

قال محمد بن كعب: ثلاث من كن فيه استكمل الإيمان بالله: إذا رضي لم يُدخله رضاه في الباطل، وإذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق، وإذا قدر لم يتناول ما ليس له.

سبعة لا يُشاورون

سبعة لا ينبغي لذي عقل أن يشاورهم: جاهل، وعدو، وحسود، ومراء، وجبان، وبخيل، وذو هوى. فإن الجاهل يضل، والعدو يريد الهلاك، والحسود يتمنى زوال النعمة، والمرائي واقف على رضا الناس، والجبان من دأبه الهرب، والبخيل حريص على جمع المال، فلا رأي له في غيره، وذو الهوى أسير هواه لا يقدر على مخالفته.

العبادة لا تعني العزلة

قال الجاحظ:

العبادة لا تدلُّه ولا تورث البله إلا لمن أثار الوحدة وترك معاملة الناس، ومجالسة أهل المعرفة.

نصيحة مجرب

قال الشاعر:

ولا تقرب الأمر الحرام فإنه حلأوته تفنى ويبقى مريرها وأراد بقوله (مريرها): ما يجده الجاني من وخز الضمير الذي يقض مضجعه، ويكدر صفوه، كلما تذكر ما اجترحت يده.

خمسة أخلاط

خمسة أخلاط تنفعك في البلوى: الثقة بالله - عز وجل - وأن كل مُقدِّر كائن، وأن الصبر خير ما يتمسك به الممتحن، وإذا لم تصبر فأَي شيء تصنع؟ والخامسة أنه ربما تكون في شر مما أنت فيه.

السكوت عن قول الحق

قال الجاحظ:

السكوت عن قول الحق في معنى النطق بالباطل، وبالكلام أرسل الله أنبياءه لا بالصمت، ومواضع الصمت المحمودة قليلة، ومواضع الكلام المحمودة كثيرة.

النصيحة الشاملة

أنصَح نفسك بالشك في رغباتها، وعقلك بالحذر من خطراته، وجسمك بالشح في شهواته، وعلمك بإدامة النظر في مصادره.

من صحبنا فليصحبنا بخمس

قال عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - مخاطباً قومه:

مَنْ صَحِبْنَا فليصحبنا بخمس، وإلا فلا يقربنا: يرفع إلينا حاجة من لا يستطيع رفعها، ويُعيئنا على الخير جهده، ويدلنا على الخير الذي لا نهتدي إليه، ولا يغتابن أحداً، ولا يتكلم فيما لا يعنيه.

فابتعد الشعراء وبطانة السوء عن ساحة الحكم، وثبت عند

الناس ثلاثة

قال الحسن بن علي - رضي الله عنه -: الناس ثلاثة:

رجل، ونصف رجل، ورجل لا رجل. فأما الرجل، فذو الرأي والمشورة. وأما الرجل الذي هو نصف رجل، فالذي له رأي ولا يشاور. وأما الذي ليس برجل، فالذي ليس له رأي ولا يشاور.

أربعة تؤدي إلى أربعة

قال حكيم: أربعة تؤدي إلى أربعة: الصمت إلى السلامة، والبر إلى الكرامة، والجود إلى السيادة، والشكر إلى الزيادة.

بين الخوف والرجاء

قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: لو نادى مناد من السماء: أيها الناس، إنكم داخلون الجنة كلكم أجمعون إلا رجلاً واحداً، لخشيئاً أن أكون أنا!

ولو نادى مناد: أيها الناس، إنكم تدخلون النار إلا رجلاً واحداً، لرجوئاً أن أكونه!

الإسلام حائط منيع

قال عمير بن سعد: الإسلام حائط منيع، وباب وثيق: فحائط الإسلام العدل، وبابه الحق. فإذا انقض الحائط، وحطم الباب، استفتح الإسلام: فلا يزال الإسلام منيعاً ما اشتد السلطان. وليست شدة السلطان قتلاً بالسيف، ولا ضرباً بالسوط، ولكن قضاء بالحق، وأخذاً بالعدل.

لسان العاقل والجاهل

قال الحسن البصري - رحمه الله -: لسانُ العاقل من وراء قلبه، فإذا أراد الكلام تفكَّر: فإن كان له قال، وإن كان عليه سكت. وقلب الجاهل من وراء لسانه: فإن همَّ بالكلام تكلم به: له أو عليه.

إياك والغيبة

قال الحسن: والله للغيبة أسرعُ فساداً في دين المرء من الأكلة في الجسد، وكان يقول:

ابن آدم، إنك لن تبلغ حقيقة الإيمان حتى لا تعيب الناس بعيب هو فيك، وحتى تبدأ بإصلاح ذلك العيب فتصلحه من نفسك. فإذا فعلت ذلك، كان شغلك في خاصة نفسك، وأحب العباد إلى الله من كان هكذا.

متى عيدكم

سئل أحدُ الصالحين: متى عيدكم؟ فقال:

يوم لا نعصي الله، فذلك عيدنا. يوم يتحقق النصرُ للمؤمنين فهذا عيدنا. يوم نعود إلى رحاب الله، فنصلح من شأننا. وليس العيد لمن لبس الجديد، إنما العيد لمن أمن عذاب الآخرة.

المحنة والمنحة بلاء

قال العلامة (الفيروز آبادي):

اختبار الله تعالى لعباده تارة بالمسار ليشكروا، وتارة بالمضار ليصبروا: فصارت المنحة والمحنة جميعاً بلاءً. فالمحنة مقتضية للصبر، والمنحة مقتضية للشكر، والقيام بحقوق الصبر أيسر من القيام

بحقوق الشكر، فصارت المنحة أعظم البلاءين، قال تعالى: ﴿وَتَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ .

احذروا الصديق الجاهل

قال محمد بن عبد الملك الزيات:

احذروا الصديق الجاهل أكثر من حذركم العدو العاقل؛ فليس من أساء وهو يعلم أنه مسيء، كمن أساء وهو يظن أنه محسن.

وقال أبو عبيدة بن معمر:

قال لي أبي: يا بني، لا تَرُدُّنَّ على أحمر خطأ؛ فإنه يستفيد منك علماً، ويتخذك عدواً.

كيف أصلي

سئل حاتم الأصم عن صلاته، فقال:

إذا حانت الصلاة أسبغتُ الوضوء، وأتيتُ الموضع الذي أريد الصلاة فيه، فأقعدُ حتى تجتمع جوارحي، ثم أقوم إلى صلاتي، وأجعلُ الكعبة بين حاجبي، والصراط تحت قدمي، والجنة عن يميني، والنار عن شمالي، وملك الموت ورائي، وأظنها آخر صلاتي، ثم أقوم بين الرجاء والخوف، وأكبرُ تكبيراً بتحقيق، وأقعدُ وأقرأ قراءةً بترتيل، وأركعُ ركوعاً بتواضع، وأسجدُ سجوداً بتخشع، وأتبعها الإخلاص، ثم لا أدري: أقبِلتُ مني أم لا؟

العلم خير مال

قال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - لكميل:

يا كُمَيْلُ، العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس

المال، العلم حاكم والمال محكوم عليه، والمال تنقصه النفقة، والعلم يزكو بالإنفاق.

وقال - أيضاً :-

كل يوم لا أزداد فيه علماً، فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم. وليس الخير أن يكثر مالك وولدك، ولكن الخير أن يكثر علمك.

وقال الأحنف:

كل عز لم يؤيد بعلم فألى ذلٌ يصير.

وقال الزبير بن أبي بكر:

كتب لي أبي بالعراق: عليك بالعلم؛ فإنك إن افتقرت كان لك مالاً، وإن استغنيت كان لك جمالاً.

العاقل

العاقل: من عقل لسانه، والجاهل من جهل قدره. إذا تمَّ العقل نقص الكلام.

وسئل حكيم: من أبلغ الناس؟

قال: من ترك الفضول، واقتصر على الإيجاز.

وسئل: فمن أصبر الناس؟

قال: من ترك دنياه في إصلاح دينه.

وسئل: فمن أشجع الناس؟

قال: مَنْ رَدَّ جهله بحلمه.

قالوا في الحسد

قال معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنه - :

ليس في خصال الشر أعدى من الحسد؛ يقتل الحاسد قبل أن يصل المحسود.

وقال ابن المعتز:

الحاسد مغتاز على من لا ذنب له، بخيل بما لا يملكه، طالب ما لا يجده وقال بعض السلف:

أول خطيئة كانت الحسد: حسد إبليس آدم - عليه السلام - على رتبته، فأبى أن يسجد له، فحمله الحسد على المعصية.

وقال عمر بن عبد العزيز:

لم أر ظالماً أشبه بالمظلوم من حاسد.

أربعة

أربعة لا يزول معها ملك:

حفظ الدين، واستكفاء الأمين، وتقديم الحزم، وإمضاء العزم.

أربعة لا يثبت معها ملك:

غش الوزير، وسوء التدبير، وخبث النية، وظلم الرعية.

أربعة تولد المحبة:

حسن البشر، وبذل البر، وقصد الوفاق، وترك النفاق.

أربعة تدل على صحة الرأي:

طول الفكر، وحفظ السر، وفرط الاجتهاد، وترك الاستبداد.

حكم عمرية

قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - :

«مَنْ كَثُرَ ضَحْكُهُ قَلَّتْ هَيْبَتُهُ، وَمَنْ فَرِحَ اسْتَخْفَ بِهِ، وَمَنْ أَكْثَرَ مِنْ شَيْءٍ عُرِفَ بِهِ، وَمَنْ كَثَرَ كَلَامَهُ كَثُرَ سَقَطُهُ، وَمَنْ كَثَرَ سَقَطَهُ قَلَّ حَيَاؤُهُ، وَمَنْ قَلَّ حَيَاؤُهُ قَلَّ وَرَعُهُ، وَمَنْ قَلَّ وَرَعُهُ مَاتَ قَلْبُهُ؛ لِأَنَّ الضَّحْكَ يَدُلُّ عَلَى الْغَفْلَةِ عَنِ الْآخِرَةِ».

أحسن العمل

سئل (الفضيل بن عياض) عن أحسن العمل في قوله تعالى:

﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ فقال:

أحسن العمل: أخلصه وأصوبه.

قالوا: يا أبا علي، ما أخلصه وأصوبه؟

قال: إِنَّ الْعَمَلَ إِذَا كَانَ خَالِصًا وَلَمْ يَكُنْ صَوَابًا لَمْ يُقْبَلْ، وَإِذَا كَانَ صَوَابًا وَلَمْ يَكُنْ خَالِصًا لَمْ يَقْبَلْ. لَمْ يَقْبَلِ الْعَمَلُ حَتَّى يَكُونَ خَالِصًا صَوَابًا.

وقال: والخالص: ما كان لله، والصواب: ما كان على الشريعة،

ثم قرأ قوله تعالى في آخر سورة الكهف:

﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾.

العمل في السر

عن الحسن قال:

«إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَقَدْ جَمَعَ الْقُرْآنَ أَيْ حَفِظَهُ وَمَا يَشْعُرُ بِهِ جَارَهُ، وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَقَدْ فَهَمَ الْفَقْهَ الْكَثِيرَ وَمَا يَشْعُرُ بِهِ النَّاسُ، وَإِنْ كَانَ

الرجل ليصلي الصلاة الطويلة في بيته وعنده الزور - أي الزوار - وما يشعرون به، ولقد أدركنا أقواماً ما كان على ظهر الأرض من عمل يقدرون على أن يعملوه في سر فيكون علانية أبدأً. ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يسمع لهم صوت إن كان إلا همساً بينهم وبين ربهم - عز وجل - ذلك أن الله تعالى يقول: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾.

حقوق الأخوة

قال الإمام الغزالي في (إحياء علوم الدين) في (حقوق الأخوة من جهة اللسان).

«وليسكت على أسراره التي بثها إليه، ولا يبشها إلى غيره البتة، ولا إلى أخص أصدقائه، ولا يكشف شيئاً منها، ولو بعد القطيعة والوحشة، فإن ذلك من لؤم الطبع، وخبث الباطن، وأن يسكت عن القدح في أحبائه وأهله وولده، وأن يسكت عن حكاية قدح غيره فيه؛ فإن الذي سبك من بلغك».

اجتنب سبع خصال

قال بعض الحكماء:

اجتنب سبع خصال يسترح جسمك وقلبك: لا تحزن على ما فاتك، ولا تحمل همّ ما لم ينزل بك، ولا تلمّ الناس على ما فيك مثله، ولا تطلب الجزاء على ما لم تعمل، ولا تنظر بالشهوة إلى ما لا تملك، ولا تغضب على من لا يضره غضبك، ولا تمدح من يعلم من نفسه خلاف ذلك.

آفات الحسد

قال الفُضَيْل: خمسُ مصائب تلحق الحاسد قبل أن يلحق المحسود منها شيء:

١ - غمٌ لا ينقطع أبداً.

٢ - إنَّ هذا الغم لا ثواب له، مع أنَّ المؤمن لا يصيبه من غم ولا هم حتى الشوكة يشاكها إلاَّ كفرَّ الله له من خطاياها.

٣ - غلق باب التوفيق، فكأنَّ الحاسد معترضٌ على الله في إعطاء الناس ما يشاء قال الإمام الشافعي - رضي الله عنه :-

ألا قل لمن بات لي حاسداً أتدري على من أسأت الأدب؟
أسأت إلى الله في فعله لأنك لم ترض لي ما وهب
فكان جزائي أن خصني وسدَّ عليك وجوه الطلب

٤ - غضب الله: وإذا غضب الله على إنسان نادى في الملاء الأعلى: إن الله يبغض فلاناً فأبغضوه، فيكتب له عدم القبول في السماء والأرض.

٥ - غضب المخلوقين عليه فلا يتعاونون معه. قال (ابن سيرين): يا ابن آدم، لم تحسدُ أخاك؟! فإن كان قد أعطاه الله لكرامته عليه، فلم تحسدُ مَنْ أكرمه الله؟! وإذا كان العطاء استدراجاً والمآل إلى النار، فلم تحسدُ مَنْ مآلهُ إلى النار؟!

رزقي سوف يأتيني

كان (عروة بن أذينة) كثير القناعة، وله في ذلك أشعار سائرة، وكان قد وفد من الحجاز على (هشام بن عبد الملك) بالشام في جماعة من الشعراء. فلما دخلوا عليه عرف (عروة) فقال له: أأنت القائل:

لقد علمتُ وما الإسرافُ من خُلقي أن الذي هو رزقي سوف يأتيني
أسعى إليه فيُعَيِّنني تطلُّبه ولو قعدتُ أتاني لا يُعَيِّنني
وما أراك فعلت كما قلت؛ فإنك أتيت من الحجاز إلى الشام في طلب الرزق.

فقال: لقد وعظت يا أمير المؤمنين فبالغت في الوعظ، وأذكرت ما أنسانيه الدهر.. وخرج من فوره إلى راحلته فركبها. وتوجّه راجعاً إلى الحجاز. فمكث (هشام) يومه غافلاً عنه، فلما كان في الليل استيقظ من منامه وذكره، وقال: هذا رجل من قريش قال حكماً ووفد إليّ فجبته ورددته عن حاجته، وهو مع هذا شاعر لا آمن لسانه. فلما أصبح سأله عنه؛ فأخبر بانصرافه، فقال: لا جرم ليعلمن أن الرزق سيأتيه، ثم دعا بمولى له وأعطاه ألفي دينار وقال: ألحق بهذا (عروة بن أذينة) فأعطه إياها. قال: فلم أدركه إلا وقد دخل بيته، فقرعت عليه الباب، فخرج، فأعطته المال، فقال: أبلغ أمير المؤمنين السلام، وقل له: كيف رأيت قولي؟ سعيثُ فأكدت، ورجعت إلى بيتي فأتاني فيه الرزق!!

سجن اللسان

قال رسول الله - ﷺ - لمعاذ بن جبل:

«وהל يكبُ الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم».

وروي أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - رأى أبا بكر الصديق وهو يمدُّ لسانه بيده فقال: ما تصنع يا خليفة رسول الله؟ قال: هذا أوردني الموارد؛ إن رسول الله - ﷺ - قال:

«ليس شيء من الجسد إلا يشكو إلى الله اللسان على حدته» رواه ابن أبي الدنيا.

وقال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -:

«مَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ كَثُرَ سَقَطُهُ، وَمَنْ كَثُرَ سَقَطُهُ كَثُرَتْ ذُنُوبُهُ، وَمَنْ كَثُرَتْ ذُنُوبُهُ كَانَتْ النَّارُ أَوْلَى بِهِ».

وقال عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه -:

والله الذي لا إله إلا هو ما شيء أحوج إلى طول سجن من لسان.

وقال طاووس: لساني سَعَّ: إن أرسلته أكلني.

وقال محمد بن واسع لمالك بن دينار:

يا أبا يحيى، حفظ اللسان أشدُّ على الناس من حفظ الدينار والدرهم.

وهذا أعرابي يجالس الشعبي فيطيل الصمت؛ فسئل عن طول صمته، فقال: أسمع فأعلم، وأسكتُ فأسَلِّم.

ورأى إبراهيم بن أدهم رجلاً قد انقطع عن الناس في قمة جبل، فسأله: من أنت؟

قال: إنما أنا سَجَّان، سَجَنْتُ سُبْعاً ضارياً! فلما أبدى إبراهيم دهشته، قال الرجل:

سجنت لساني، إنني إن سيَّئُهُ مَرَّقُ الناس.

علماء السوء

قال ابن قيم الجوزية - رحمه الله -:

علماء السوء جلسوا على باب الجنة، يَدْعُونَ إليها الناس بأقوالهم، ويدعون إلى النار بأفعالهم، فكلما قالت أقوالهم للناس هلموا، قالت أفعالهم للناس لا تسمعوا منهم؛ فلو كان ما دعوا إليه حقاً كانوا أوَّلَ المستجيبين له، فهم في الصورة أدلاء، وفي الحقيقة قطاع الطرق.

اشتغل بخاصة نفسك عن عيب غيرك

قال الحسن البصري - رحمه الله -:

لا يستحق أحد حقيقة الإيمان حتى لا يعيب الناس بعيب هو فيه، ولا يأمر بإصلاح عيوبهم حتى يصلح عيوب نفسه، فإذا فعل ذلك

لم يصلح عيباً إلا وجد في نفسه عيباً آخر ينبغي أن يصلحه، فإذا فعل ذلك شُغِلَ بخاصة نفسه عن عيب غيره.

الفقيه

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -:

«ألا أنبئكم بالفقيه حقَّ الفقيه؟ من لم يُقنطِ الناس من رحمة الله، ولم يُرخِّصْ لهم في معاصي الله، ولم يُؤمِّنْهم مكر الله، ولم يترك القرآن إلى غيره، ولا خير في عبادة ليس فيها تفقه، ولا خير في تفقه ليس فيه تفهم، ولا خير في قراءة ليس فيها تدبُّر».

وعن مسروق: «بحسب امرئ من العلم أن يخشى الله، وبحسب امرئ من الجهل أن يعجب بعلمه».

إياك ومخالطة السفهاء

أوصى عمر بن حبيب - رضي الله عنه - بنيه فقال:

يا بني، إياكم ومخالطة السفهاء؛ فإن مجالستهم داء، وإن من يحلم عن السفية يُسرُّ بحلمه، ومن يُحبه يُندم، ومن يُقرُّ بقليل ما يأتي به السفية يُقرُّ بالكثير، وإذا أراد أحدكم أن يأمر بالمعروف أو ينهى عن المنكر، فليوطن نفسه قبل ذلك على الأذى، وليوطن بالشواب من الله عز وجل، ومن يوطن بالشواب من الله عز وجل لا يجد مسَّ الأذى.

الإمام العادل

طلب عمر بن عبد العزيز حين ولي الخلافة إلى الحسن البصري أن يكتب إليه بصفة الإمام العادل، فكتب إليه الحسن - رحمه الله -:
اعلم يا أمير المؤمنين أن الله جعل الإمام العادل قوام كل مائل،

وقصد كل جائر، وصلاح كل فاسد، وقوة لكل ضعيف، ونصفة كل مظلوم، ومفزع كل ملهوف.

والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالراعي الشفيق على إبله، الرفيق بها، الذي يرتاد لها أطيب المرعى، ويذودها عن مراتع الهلكة، ويحميها من السباع، ويكنفها من أذى الحر والقر.

والإمام العدل يا أمير المؤمنين كالأب الحاني على ولده: يسعى لهم صغاراً، ويعلمهم كباراً، يكتسب لهم في حياته، ويدخر لهم بعد مماته.

والإمام العدل يا أمير المؤمنين كالأم الشفيقة البرة الرفيقة بولدها، حملته ووضعته كرهاً، وربته طفلاً تسهر بسهره، وتسكن بسكونه، ترضعه تارة وتفظمه أخرى، وتفرح بعافيته، وتغتم بشكايته.

والإمام العدل يا أمير المؤمنين وصيُّ اليتامى، وخازن المساكين، يربي صغيرهم، ويمون كبيرهم.

والإمام العدل يا أمير المؤمنين كالقلب بين الجوانح تصلح الجوانح بصلاحه، وتفسد بفساده.

والإمام العدل يا أمير المؤمنين هو القائم بين الله وبين عباده: يسمع كلام الله ويُسمعُهم، وينظرُ إلى الله ويُريهم، وينقاد إلى الله ويقودهم.

فلا تكن يا أمير المؤمنين فيما مَلَكَك الله كعبدٍ ائتمنه سيده، واستحفظه ماله وعياله: فبددَ المال، وشرَّد العيال، فأفقر أهله، وفرَّق ماله.

واعلم يا أمير المؤمنين أن الله أنزل الحدود ليزجر بها عن الخبائث والفواحش، فكيف إذا أتاها من يليها؟

وأنَّ الله أنزل القصاص حياةً لعباده، فكيف إذا قتلهم مَنْ يقتصُّ لهم؟

واذكر يا أمير المؤمنين الموت وما بعده، وقلة أشياحك عنده، وأنصارك عليه، فتزود له ولما بعده من الفزع الأكبر.

واعلم يا أمير المؤمنين أنّ لك منزلاً غير منزلك الذي أنت فيه، يطول فيه ثواؤك ويفارقك أحباؤك، ويسلمونك إلى مقرّك فريداً وحيداً. فتزود له ما يصحبك يوم يفز المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبه وبنيه.

واذكر يا أمير المؤمنين إذا بُعِثَ ما في القبور، وحُصِّلَ ما في الصدور، فالأسرار ظاهرة، والكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، فالآن يا أمير المؤمنين وأنت في مهل، قبل حلول الأجل وانقطاع الأمل، لا تحكم يا أمير المؤمنين في عباد الله بحكم الجاهلين، ولا تسلك بهم سبيل الظالمين، ولا تُسلط المستكبرين على المُستضعفين، فإنهم لا يَزُقُّون في مؤمن إلا ولا ذمة، فتبوء بأوزارك، وأوزارٍ مع أوزارك، وتحمل أثقالك، وأثقالاً مع أثقالك.

ولا يغرنك الذين يتنعمون بما فيه بؤسك، ويأكلون الطيبات في دنياهم بإذهاب طيباتك في آخرتك، لا تنظر إلى قدرتك اليوم، ولكن انظر إلى قدرتك غداً وأنت مأسور في حبال الموت، وموقوف بين يدي الله في مجمع من الملائكة والنبیین والمرسلين، وقد عنت الوجوه للحي القيوم.

إني يا أمير المؤمنين وإن لم أبلغ بعظتي ما بلغه أولو النهي من قبلي، فلم ألك شفقة ونصحاً، فأنزل كتابي إليك كمدأوي حبيبه، يسقيه الأدوية الكريهة لما يرجو له في ذلك من العافية والصحة.

والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته.

مَنْ؟

سئل عبدُ الله بن المبارك: مَنْ الناس؟

قال: العلماء.

قيل: فمن الملوكة؟

قال: الزهاد.

قيل: فمن السفلة؟

قال: الذي يأكل بدينه.

أصعب الخصال وأكثرها نفعاً

قال أحد الحكماء: أصعب ما على الإنسان ستّة أشياء، وهي أكثرها نفعاً له:

أن يعرف نفسه، ويعلم عيبه، ويكتم سره، ويهجر هواه، ويخالف شهوته، ويُنميك عما لا يعنيه.

أسس سليمة

قيل لحاتم الأصم: علام بنيت أمرك؟

فقال: على أربع خصال:

علمتُ أنّ رزقي لا يأكلُهُ غيري، فاطمأنتُ بذلك نفسي.

وعلمتُ أنّ عملي لا يعملُه غيري؛ فأنا به مشغول.

وعلمتُ أنّ أجلي لا بُدّ يأتي؛ فأنا أبادره.

وعلمتُ أنني لا أُغيب عن عين الله؛ فأنا منه مستح.

لماذا لا يُستجاب الدعاء؟

قيل لإبراهيم بن أدهم: ما لنا ندعو الله فلا يُستجاب لنا؟

قال: لأنه دعاكم فلم تستجيبوا له!

التحبيب إلى الناس

كتب عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - إلى سعد بن أبي

وقاص يقول: إنَّ الله إذا أحب عبداً حبَّبه إلى خلقه؛ فاعتبر منزلتك من الله بمنزلتك من الناس، واعلم أنَّ ما لك عند الله مثل ما للناس عندك.

الهاكم التكاثر

قال ابن خلدون في كتابه (المقدمة):

إذا بلغ التأنق في الأحوال المنزلية الغاية، تبعه طاعة الشهوات، فتتلون النفس من تلك العوائد بألوان كثيرة لا يستقيم حالها في دينها ولا في دنياها.. أما دينها؛ فلاستحكام صبغة العوائد التي يعسر نزعها، وأما دنياها، فللكثرة الحاجات والمؤونات التي تطالب بها العوائد ويعجز الكسب عن الوفاء بها.

لا يجمع العرب إلاَّ الإسلام

جعل ابنُ خلدون عنوان الفصل السابع والعشرين من مقدمته: «إنَّ العرب لا يحصل لهم الملك إلاَّ بصبغة دينية من نبوة، أو ولاية، أو أثر عظيم من الدين على الجملة».

ثم قال:

«والسبب في ذلك أنهم لخلق التوحش الذي فيهم أصعب الأمم انقياداً بعضهم لبعض للغلظة والأنفة وبعد الهمة والمنافسة في الرئاسة، فقلما تجتمع أهواؤهم. فإذا كان الدين بالنبوة أو الولاية كان الوازع لهم من أنفسهم، وذهب خلق الكبر والمنافسة منهم؛ فسهل انقيادهم واجتماعهم: وذلك بما يشملهم من الدين المذهب للغلظة والأنفة، الوازع عن التحاسد والتنافس».

موعظة غلام

أراد غلام أن يعظ (عمر بن عبد العزيز) - رضي الله عنه - فقال:

يا أمير المؤمنين، إِنَّ ناساً غرهم حلم الله وثناء الناس عليهم، فلا تكن ممن يغرّه حلم الله وثناء الناس عليه فتزلّ قدمك، وتكون من الذين قال الله فيهم:

﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿١٧٨﴾ .

من وصايا لقمان

قال الجاحظ في كتابه (البيان والتبيين):

قال لقمان الحكيم لابنه وهو يعظه:

يا بني، ازحم العلماء بركبتك. . . وخذ من الدنيا بلاغك، وأبق فضول كسبك لآخرتك، ولا ترفض الدنيا كل الرفض فتكون عيالاً، وعلى أعناق الرجال كلاً، وصم يوماً يكسر شهوتك، ولا تصم يوماً يضر بصلاتك؛ فإن الصلاة أفضل من الصوم، وكن كالأب لليتيم، وكالزوج للأرملة، ولا تحاب القريب، ولا تجالس السفیه، ولا تخالط ذا الوجهين البتة. . .

ما يجب للمحدث على جلسه

كان عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - يقول:

حدّث الناس ما حدّثوك بأسماعهم (وجهوها نحوك)، ولحظوك بأبصارهم، فإذا رأيت منهم فتوراً فأمسك.

ويقول أبو عباد: للمحدث على جلسه السامع لحديثه أن يجمع له باله، ويصغي إلى حديثه، ويكتم عليه سرّه، ويبسط له عذره.

وقال أبو الفتح البستي:

إذا أحسست في لفظي فتوراً وحفظي والبلاغة والبيان
فلا ترتّب بفهمي إن رقصي على مقدار إيقاع الزمان

الأمين مَنْ يَخْشَى اللَّهَ

ذكر ابن الجوزي في كتابه (صفة الصفوة) قول عمر بن الخطاب وهو يعظ رجلاً:

لا تكلّم فيما لا يعينك، واعرف عدوك، واحذر صديقك إلاّ الأمين، ولا أمين إلاّ مَنْ يَخْشَى اللَّهَ، ولا تمش مع الفاجر فيعلمك فجوره، ولا تُطلّغه على شرك، ولا تشاور أمرك إلاّ الذين يخشون الله عز وجل.

ثلاثة أشبار

قال الشعبي: العلم ثلاثة أشبار: فمن نال منه شبراً شمخ بأنفه وظنّ أنه ناله، ومن نال الشبر الثاني صغرت إليه نفسه، وعلم أنه لم ينله، وأما الشبر الثالث، فبهيات لا يناله أحد أبداً!

وصية أم لولدها

قال الجاحظ في كتابه (البيان والتبيين):

روى الأصمعي عن أبان بن تغلب قال:

مررتُ بامرأة وبين يديها ابن لها يريد سفرأ وهي توصيه قائلة:

إيّاك والنمائم؛ فإنها تزرع الضغائن، ولا تجعل نفسك غرضاً للرماة؛ فإنّ الهدف إذا رمي لم يلبث أن ينثلم، ومثّل لنفسك مثلاً: فما استحسنته من غيرك فاعمل به، وما كرهته منه فدعّه واجتنبه، ومن كانت مودته بشره كان كالريح في تصرفها... إذا هزرت فهز كريماً؛ فإنّ الكريم يهتز لهزتك، وإيّاك واللثيم؛ فإنه صخرة لا ينفجر ماؤها، وإيّاك والغدر فإنه أقبح ما تعومل به، وعليك بالوفاء؛ ففيه النماء، وكن بمالك جواداً، وبدينك شحيحاً.. ومن أعطي السخاء والحلم فقد استجاد الحلة: ربطتها وسربالها، انهض على اسم الله.

الحقُّ أحقُّ أن يُتَّبَع

قال الإمام أبو حنيفة - رضي الله عنه -:
«قولنا هذا: رأي، وهو أحسن ما قدرنا عليه. فمن جاءنا بأحسن من قولنا فهو أولى بالصواب منا».

أنت والقرآن

قال الفيلسوف محمد إقبال:
«أشدُّ ما أثرَ في حياتي نصيحة سمعتها من أبي: يا بني، اقرأ القرآن كأنه نزلَ عليك».

شعرة معاوية

قال معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنه -:
«لا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي، ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني. ولو أن بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت: لا ينبغي أن نسوس الناس سياسة واحدة، لا نلين فيمرح الناس في المعصية، ولا نشدُّ جميعاً فنحمل الناس على المهالك».

التاسي الحقيقي

قال عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه -:
من كان متاسياً فليتأس بأصحاب رسول الله ﷺ؛ فإنهم أبرُّ هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، وأقومها هدياً، وأحسنها حالاً، اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ، وإقامة دينه؛ فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم؛ فإنهم كانوا على الهدى المستقيم.

من أراد الزواج

وصى (عثمان بن أبي العاص الثقفي) أولاده في تخيير النطف،
وتجنب عرق السوء فقال:

وفيه قَلَقٌ لا يسكنه إلا الاجتماع عليه، والفرار إليه .

وفيه نيران حسرات لا يطفئها إلا الرضى بأمره ونهيه وقضائه، ومعانقة الصبر على ذلك إلى وقت لقائه .

وفيه فاقة لا يسدّها إلا محبته والإنابة إليه، ودوام ذكره، وصدق الإخلاص له، ولو أعطي الدنيا وما فيها لم تسد تلك الفاقة أبداً .

بهذا يتم الورع

سئل إبراهيم بن أدهم: بم يتم الورع؟

فقال: بتسوية جميع الخلق في نفسك، وانشغالك عن عيوبهم بذنبك، فكز في ذنبك، وتب إلى ربك، وانسخ الطمع إلا من ربك .

بالعدل يدوم الملك

قال عبد الله بن طاهر لرجل عُرف بالزهد والورع: كم تبقى هذه الدولة فينا وتدوم؟

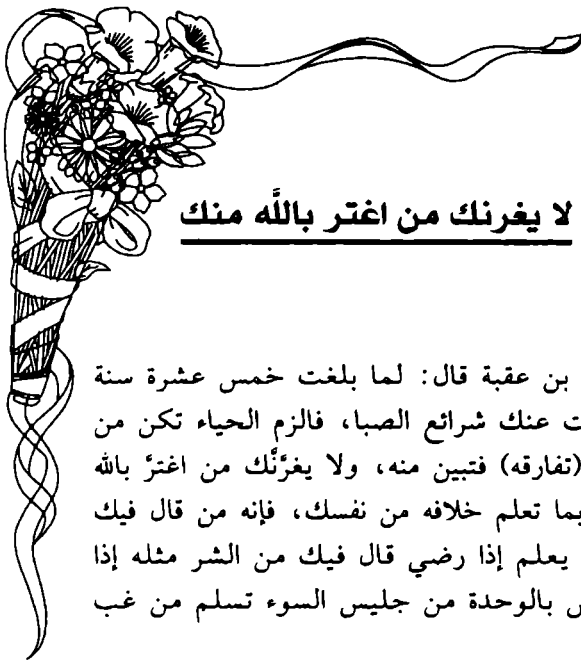
قال: ما دام بساط العدل والإنصاف مبسوطاً في هذا الإيوان . .
ثم تلا قول الله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ .

الباقية التاسعة
عبر وعظات ونصائح







لا يغرّنك من اغترّ بالله منك

عن عمرو بن عقبة قال: لما بلغت خمس عشرة سنة قال أبي: تقطعت عنك شرائع الصبا، فالزم الحياء تكن من أهله ولا تزايله (تفارقه) فتبين منه، ولا يغرّنك من اغترّ بالله منك، فمدحك بما تعلم خلافه من نفسك، فإنه من قال فيك من الخير ما لا يعلم إذا رضي قال فيك من الشر مثله إذا سخط، فاستأنس بالوحدة من جليس السوء تسلم من غب عواقبهم!!

هدية

بلغ الحسن البصري أن رجلاً وقع في عرضه؛ فأرسل إليه طبقاً من التمر ومعه بطاقة كتب فيها:

بلغني أنك أهديت إليّ بعض صالح عملك، فأحببتُ أن أرسل إليك هذه الهدية!

أنت في الأمنية فاعملي

قال إبراهيم التيمي: مثلت نفسي في الجنة: أكل من ثمارها، وأشربُ من أنهارها، وأعائق أبقارها، ثم مثلت نفسي في النار أكل من زقومها، وأشرب من صديدها، وأعالج سلاسلها وأغللالها، ثم قلت لنفسي: أي شيء تريدان؟ قالت: أريد أن أرد إلى الدنيا فأعمل

صالحاً. فقال: فأنت في الأمانة فاعلمي!

إذا رأيتم الرجل يطير في الهواء

قال الجنيد: «إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء ويطير في الهواء، فلا تلتفتوا إليه، فإن الشيطان يطير من المشرق إلى المغرب ويمشي على الماء، ولكن انظروا في اتباعه الكتاب والسنة، فإن الشيطان لا يقدر على ذلك أبداً!!»

كيف بمن أخذ الكيل كله

دخل أعرابي على هشام بن عبد الملك، فقال له هشام:

عظني يا أعرابي، فقال: كفى بالقرآن واعظاً، أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ١﴾ وَيَلْلَمُطِفِينَ ٢﴾ الَّذِينَ إِذَا أَكَلُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ٣﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ٤﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ٥﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ٦﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ٧﴾، ثم قال:

يا أمير المؤمنين، هذا جزء من يطفف في الكيل والميزان، فما ظنك بمن أخذه كله؟!

اشتر نفسك ببعضها

جاء أبو عثمان عمرو بن عبيد إلى مجلس الخليفة المنصور فقال له: عظنا يا أبا عثمان. فقرأ سورة الفجر حتى بلغ قول الله - عز وجل -: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لِبِأَلْمِرْصَادِ ١٤﴾ فبكى بكاء شديداً، ثم قال له: إن الله أعطاك الدنيا بأسرها، فاشتر نفسك ببعضها، واعلم أن الأمر الذي صار إليك إنما كان في يد من كان قبلك ثم أفضى إليك، وكذلك يخرج منك إلى من هو بعدك، وإني أحذرك ليلة تمخضت صبيحتها عن يوم القيامة ثم بكى أشد من بكائه الأول حتى رجفت جنباه.

شِيَاهُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى عَرْشِ كَسْرَى

تذاكر حذيفة اليماني وسلمانُ الفارسي أمر الدنيا فقال سلمان: من أعجب ما تذاكرنا صعودُ غنيمات الغامدي على سرير كسرى، وكان هذا الأعرابي يرعى شويهات له، فإذا كان الليل صيَّرها إلى عَرَصَةِ إيوان كسرى، وفي العرصة سرير رخام كان يجلس عليه كسرى، فتصعدُ غنيمات الغامدي إلى ذلك السرير.

أبو بكر يوصي خالد بن الوليد

أوصى أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - خالد بن الوليد - رضي الله عنه - في مسيرته إلى العراق يعلمه فيها فنَّ القيادة فقال: «سر على بركة الله، فإذا دخلت أرض العدو، فكن بعيداً عن الحملة، فإنني لا آمن عليك الجولة، واستظهر بالزاد وسر بالأدلاء، ولا تُقاتل بمجروح، فإن بعضه ليس منه، واحترس من البيات فإن في العرب غرة، وأقلل من الكلام، فإن حالك ما وُعي عنك، اقبل من الناس علانيتهم، وكلهم إلى الله في سريرتهم، وأستودعك الله الذي لا تضيع ودائعه!»

أولادي سيقتلونك

تمشى الباطل يوماً مع الحق فقال الباطل: أنا أعلى منك رأساً.

فقال الحق: أنا أثبتُّ منك قدماً.

قال الباطل: أنا أقوى منك.

فقال الحق: أنا أبقى منك.

قال الباطل: أنا معي الأقوياء والمترفون.

قال الحق: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَوْمٍ مُّجْرِمِيهَا يَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (١١٣).

قال الباطل: أستطيع أن أقتلك الآن.

قال الحق: ولكن أولادي سيقتلونك ولو بعد حين.

استعن بالله

حكى عن بعض السلف أنه قال لتلميذه: ما تصنع بالشیطان إذا سؤل لك الخطايا؟

قال: أجاهده. قال: فإن عاد؟ قال: أجاهده. قال: فإن عاد؟ قال: أجاهده. قال: هذا يطول. أرايت إن مررت بغنم فنبحك كلبها أو منعتك من العبور ما تصنع؟ قال: أكابده وأرده جهدي. قال: هذا يطول عليك، ولكن استعن بصاحب الغنم يكفه عنك!

كوني له أرضاً يكن لك سماء

قالت أسماء بنت خارقة الفزاري لابنتها عند الزفاف: يا بنية، إنك خرجت من العش الذي فيه درجت، فصرت إلى فراش لم تعرفه وقرين لم تألفه، فكوني له أرضاً يكن لك سماء، وكوني له مهاداً يكن لك عماداً، وكوني له أمةً يكن لك عبداً.

لا تلحفي به فيفلاك (لا تلحي عليه فيكرهك) ولا تباعدي عنه فينساك، وإن دنا منك فاقربي منه، وإن نأى عنك فابعدي عنه. واحفظي أنفه وسمعه وعينه فلا يشمن منك إلا طيباً، ولا يسمع منك إلا حسناً ولا ينظر إلا جميلاً!!

قسم الأعمال كما قسم الأرزاق

قال ابن عبد البر في (التمهيد): كتب العمري العابد إلى مالك - رحمه الله - يخضه على الانفراد والعمل، ويرغبه عن الاجتماع إليه في العلم؛ فكتب إليه مالك: إن الله تعالى قسم الأعمال كما قسم الأرزاق. فرب رجل فُتِح له في الصلاة ولم يُفْتَح له في الصوم، وآخر

فُتِحَ له في الصدقة ولم يُفْتَحَ له في الصلاة. ونشرُ العلم وتعليمه من أشرف أعمال البر، وقد رُضِيََتْ بما فُتِحَ اللهُ - عز وجل - فيه من ذلك، وما أظن ما أنا فيه دون ما أنت فيه، وأرجو أن يكون كلانا على خير وبر، ويجب على كل منا أن يرضى بما قُسمَ له. والسلام!

وصية

قال رجل لعبد الله بن المبارك: أوصني.

فقال: اترك فضول النظر، توفق للخشوع.

واترك فضول الكلام توفق للحكمة.

واترك فضول الطعام توفق للعبادة.

واترك التجسس على عيوب الناس توفق للاطلاع على عيوب

نفسك، واترك الخوض في ذات الله تتوقُّ الشك والنفاق.

سنابل

قال حكيم: وَقَفْتُ أمام حقل من حقول القمح، فرأيت سنابل

تتمايلُ في خِيلاء وسنابل أحنَّت رأسها في حياء، وحين دققت النظر

رأيت الأولى فارغةً والثانية مليئةً بحبات القمح!

أول معصية

وعظ عون بن عبد الله الفضل بن المهلب فقال:

إياك والكبر، فإنها أول معصية حصلت في السماء: تكبَّرَ إبليسُ

عن السجود لآدم، فصار من المطرودين الملعونين إلى يوم الدين.

وإياك والحرص، فإنها أول معصية حصلت في الجنة: حرص

آدم على أن يأكل من شجرة الخلد (كما أقسم له إبليس) فصار من

المخرجين.

وإياك والحسد، فإنها أولُ معصية حصلت في الأرض: حسد قابيل هابيل فقتله فصار من الآثمين.

فإياك والكبر، وإياك والحرص، وإياك والحسد.

خير ما يرزقه العبد

قال ملك لوزيره: ما خير ما يُرَزَقُهُ العبد؟ قال: عقل يعيش به.

قال: فإن عدمه؟ قال: أدب يتحلى به.

قال: فإن عدمه؟ قال: مال يستره.

قال: فإن عدمه؟ قال: فصاعة تحرقه، وتريح البلاد منه.

أشد ما في الحبس

أرسل أبو جعفر المنصور إلى من في الحبس من بني أمية يسألهم: ما أشد ما مرَّ بكم في هذا الحبس؟

فقالوا: ما فقدناه من تأديب أولادنا!

طعامهم ورق الشجر

قال سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه -:

لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ وما لنا من طعام إلا ورق الشجر.

ويقول:

كنا قوماً يصيبنا ظلفُ العيش بمكة مع رسول الله ﷺ وشدته. فلما أصابنا البلاء مرنا عليه وصبرنا. ولقد رأيتني مع رسول الله ﷺ بمكة، خرجت من الليل أبول، وإذا أنا أسمع قعقة شيء تحت بولي، فإذا قطعة جلد بعير، فأخذتها ثم أحرقتها فوضعتها بين حجرين ثم استفتتها وشربتها عليها الماء فقويت بها ثلاثاً.

أنت شر عدو لنفسك

دأب رجل شرير أن يدعو كل يوم: (اللهم اجعل سيفك في رقاب أعدائي!) ولكن الأيام مضت وأعداؤه بخير؛ فنقد منه الصبر، فألح في الدعاء! وآوى الرجل إلى فراشه، واستغرق في نومه، فرأى فيما يراه النائم سيفاً صقيلاً ينطلق صوب عنقه هوى حتى قرب منها.

فصاح مرتعداً: إنما سألتك يا ربُّ رقاب أعدائي ولم أسألك عنقي! واستيقظ فزعاً، وقصَّ رؤياه على رجل صالح فأجابه: أنت شرُّ عدو لنفسك، فإن أجاب الله دعاءك بدأ بك بفعلك السوء وأفكارك الآثمة؛ إذ بلغت من إيذاء نفسك ما لم يبلغه أعداؤك منك! وأخذ درسة؛ فتاب إلى الله توبة نصوحاً!!

الكسب الحلال

قال لقمان الحكيم لابنه: يا بني، استعن بالكسب الحلال؛ فإنه ما افتقر أحد قط إلا أصابته ثلاث خصال: رقة في دينه، وضعف في عقله، وذهاب مروءته، وأعظم من هذه الخصال استخفافُ الناس به.

إرسال إبليس سراياه

روى مسلم عن جابر أن النبي ﷺ قال: «إن لإبليس عرشاً على البحر، وإنه يرسل سراياه لفتنة الناس فأعظمهم عنده أعظمهم فتنة. فيجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا فيقول له: ما صنعت شيئاً. ويجيء الآخر فيقول: ما تركته حتى فرقتُ بينه وبين امرأته!! فيدنيه ويقول له: نعم أنت نعم أنت!».

كل نفس خزانة

قال عبد الرحمن بن الجوزي يوصي ولده:

«... واعلم يا بني أن الأيام تبسط ساعات، والساعات تبسط

أنفاساً، وكل نفس خزانة، فاحذر أن يذهب نفسٌ بغير شيء فترى في القيامة خزانةً فارغة؛ فتندم، وقد قال رجل لمعاوية بن عبد قيس: قف أكلمك فقال: أمسك الشمس. وقعد قوم عند معروف - رحمه الله - فقال: أما تريدون أن تقوموا، فإن ملك الشمس يجرها ولا يفتر. وفي الحديث (من قال سبحان الله العظيم وبحمده؛ غرست له بها نخلةً في الجنة) فانظر إلى مضيّع الساعات كم يفوتُهُ من النخيل!!

إنما أبغض عمله

مرُّ أبو الدرداء - رضي الله عنه - على رجل قد أصاب ذنباً والناس يسبُّونه، فنهاهم وقال: «أرأيتم إن وجدتموه في حفرة ألم تكونوا مخرجيه منها؟

قالوا: بلى.

قال: فلا تسبوه إذن، واحمدوا الله الذي عافاكم.

قالوا: أفلا تبغضه؟

قال: إنما أبغض عمله، فإذا تركه فإنه أخي!»!

انظروا في ذنوبكم

أورد الإمام مالك في (الموطأ): كان عيسى بن مريم عليه السلام يقول:

«لا تنظروا في ذنوب الناس كأنكم أرباب، وانظروا في ذنوبكم كأنكم عبيد، فإنما الناس مبتلى ومعافى؛ فارحموا أهل البلاء، واحمدوا الله على العافية».

رحم الله امرءاً عرف قدر نفسه

بلغ عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه - أن أحد أولاده اتَّخَذَ

خاتماً واشترى له فصاً بألف درهم، فكتب إليه: أما بعد، فقد بلغني أنك اشتريت فصاً لخاتمك بألف درهم، فبعه، وأشبع بثمانه ألف جائع، واتخذ خاتماً من حديد، وكتب عليه: رحم الله امرأً عرف قدر نفسه!

من لم تعزه التقوى

لما قدم الإمام الشافعي إلى مصر قال له ابن الحكم: إذا أردت أن تسكن البلد فليكن لك قوث سنة، ومجلس من السلطان تتعزز به.

فقال الإمام: يا أبا محمد، مَنْ لَمْ تُعِزَّهُ التَّقْوَى فَلَا عِزَّ لَهُ. ولقد وُلِدْتُ بغزة وربيت في الحجاز، وما عندنا قوث ليلة، وما بتنا جياً قط!

ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم

أوصى عمر بن الخطاب سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنهما - ومن معه من الأجناد فقال:

«... فَإِنِّي أَمْرُكَ وَمَنْ مَعَكَ مِنَ الْأَجْنَادِ بِتَقْوَى اللَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، فَإِن تَقْوَى اللَّهِ أَفْضَلُ الْعِدَّةِ عَلَى الْعَدُوِّ، وَأَقْوَى الْمَكِيدَةِ فِي الْحَرْبِ. وَأَمْرُكَ وَمَنْ مَعَكَ أَنْ تَكُونُوا أَشَدَّ احْتِرَاساً مِنَ الْمَعَاصِي مِنْكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ؛ فَإِنَّ ذُنُوبَ الْجَيْشِ أَخْوَفُ عَلَيْهِمْ مِنْ عَدُوِّهِمْ، وَإِنَّمَا يَنْصُرُ الْمُسْلِمُونَ بِمَعْصِيَةِ عَدُوِّهِمْ اللَّهُ، وَلَا عِدْتَنَا كَعِدْتِهِمْ، فَإِن اسْتَوَيْنَا فِي الْمَعْصِيَةِ كَانَ لَهُمُ الْفَضْلُ عَلَيْنَا فِي الْقُوَّةِ وَإِلَّا نَنْصُرُ عَلَيْهِمْ بِفَضْلِنَا لَمْ نَغْلِبْهُمْ بِقُوَّتِنَا، فَاعْلَمُوا أَنَّ عَلَيْكُمْ فِي سَيْرِكُمْ حِفْظَةَ اللَّهِ، يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ فَاسْتَحْيُوا مِنْهُمْ، وَلَا تَعْمَلُوا بِمَعَاصِي اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَلَا تَقُولُوا إِن عَدُونَنَا شَرٌّ مِمَّنَّا فَلَنْ يُسَلِّطَ عَلَيْنَا، فَرَبُّ قَوْمٍ سُلِّطَ عَلَيْهِمْ شَرٌّ مِنْهُمْ، كَمَا سُلِّطَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمَّا عَمَلُوا بِمَسَاحِطِ اللَّهِ كَفَارُ الْمُجْرِمِينَ، فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْداً مَفْعُولاً. اسْأَلُوا اللَّهَ الْعَوْنَ

على أنفسكم كما تسألونه النصر على عدوكم.

اسأل الله ذلك لنا ولكم».

لا تتكلمن فيما لا يعينك

قال ابن عباس - رضي الله عنه -:

«لا تتكلمن فيما لا يعينك حتى ترى له موضعاً، فربُّ متكلم بالحق في غير موضعه قد عيب. ولا تمارين سفياً ولا حليماً، فإنَّ السفية يؤذيك والحليم يقلبك - يبغضك - ولا تذكرن أخاك إذا غاب عنك إلا بمثل ما تحب أن يذكرك به إذا غبت عنه. واعمل عمل رجل يعلم أنه مجزي بالإحسان وماخوذ بالأجر».

الصمت حكمة

يقال أن لقمان الحكيم دخل على سيدنا داود عليه السلام وهو يصنع درعاً فهمَّ لقمان أن يسأله عما يصنع. ثم أمسك ولم يسأل حتى أتم داود الدرع فقام فلبسها وقال: نعم أداة الحرب. فقال لقمان: الصمت حكمة وقليل فاعله.

أبو بكر يحرم الخمر في الجاهلية

قالت عائشة - رضي الله عنها -: حرم أبو بكر الخمر في الجاهلية فلم يشربها في جاهلية ولا إسلام، وذلك أنه مرَّ برجل سكران يضع يده في العذرة ويدنيها من فيه فإذا وجد ريحها صدف عنها فحرمها أبو بكر على نفسه.

رواه أبو نعيم.

أفسلم منك الروم

قال سفيان بن حسين الواسطي: ذكرت رجلاً بسوء عند إياس بن

معاوية المزني قاضي البصرة - وهو تابعي يُضَرَّبُ المثل بذكائه - فنظر في وجهي وقال:

أَعَزَّوَتَ الروم؟ قلت: لا.

قال: السند والهند؟

قلت: لا.

قال: أفسلمَ منك الروم والسند والهند ولم يسلم منك أخوك المسلم؟!!

قال سفيان: فلم أَعُدْ بعدها - يعني إلى عيب أحد من الناس أو غيبته.

النصيحة

النصيحة لله إخلاص الاعتقاد في الوجدانية.

والنصيحة لرسول الله ﷺ هي التصديق بنبوته والتزام طاعته.

والنصيحة لكتاب الله هي كتابته والتفقه فيه.

والنصيحة لأئمة المسلمين هي ترك الخروج عليهم وإرشادهم إلى الحق.

والنصيحة للعامة هي ترك معاداتهم، وإرشادهم.

التقليد في الزندقة

قال الجاحظ في رسالة (أخلاق الكتاب): قال أهل الفطن: إن محض العمى التقليد في الزندقة، لأنها إذا رسخت في قلب امرئ تقليداً أطالت بجزأته واستغلق على أهل الجدل إفهامه.

فاعتبروا يا أولي الألباب

دعا الخليفة هرون الرشيد بقدرح فيه ماء ليشرب به وكان بحضرته

ابنُ السماك فقال له: يا أمير المؤمنين: لو مُنعت هذه الشربة بكم كنت ترضى أن تبتاعها؟

فقال الرشيد: بملكي كله. قال: يا أمير المؤمنين فلو منعت خروجها منك بكم كنت ترضى أن تفتدي من ذلك؟ قال: بملكي قال: يا أمير المؤمنين: أتغيب بملك لا يساوي بولة ولا شربة ماء؟!!

علام حزنك

مرَّ الجنيد البغدادي على رجل فرآه مهموماً، فتبسم له وقال: يا أخي أتخشى الموت أن ينقص من أجلك ساعة؟
قال: كلا.

قال الجنيد: أَيُفَوِّتُكَ رِزْقُ قَدَرَهُ اللهُ لَكَ؟
قال: كلا.

قال: أَيُحَدِّثُ لَكَ شَيْءَ لَمْ يَقْدِرْهُ اللهُ لَكَ؟
قال: كلا.

قال: فَعَلَامُ حُزْنُكَ؟!

روائع

خرج الزهري يوماً من عند هشام بن عبد الملك فقال: ما رأيت كالיום ولا سمعت كأربع كلمات تكلم بهن رجل عند هشام.

دخل عليه فقال: يا أمير المؤمنين، احفظ عني أربع كلمات فيهن صلاح ملكك واستقامة رعيته.

قال: هاتهن. قال:

لا تَعِدَنَّ عِدَّةً لا تَتَّقُ مِنْ نَفْسِكَ بِإِنجَازِهَا.

ولا يَفْرُزَنَّكَ المَرْتَقَى وَإِنْ كَانَ سَهلاً إِذَا كَانَ المُنْحَدِرَ وَعِراً.

واعلم أن للأعمال جزاءً فأتق العواقب.

وإن للأمور بغتات فكن على حذر.

خافوا أن تحملهم على طريقتك

وعظ واعظ أبا جعفر المنصور فقال: «يا أمير المؤمنين! إن للناس أعلاماً يفزعون إليهم في دينهم، ويرضون بهم، فاجعلهم بطانتك يرشدوك، وشاورهم في أمرك يسدوك».

فأجابه المنصور:

«قد بعثت إليهم فهربوا مني!»

قال: «خافوا أن تحملهم على طريقتك! ولكن افتح بابك، وسهل حجابك وانصر المظلوم، واقمع الظالم، وخذ الفيء والصدقات مما حل وطاب، واقسمه بالحق والعدل على أهله، وأنا الضامن عنهم أن يأتوك ويسعدوك على صلاح الأمة!»

خلقة الجرادة

قال ابن الأعرابي: قال وهب: في الجرادة سبع خلق جبارة: رأسها رأس فرس، وعنقها عنق ثور، وجناحها جناح نسر، ورجلاها رجلا حمار، وذنبها ذنب حيّة، وبطنها بطن عقرب، وصدرها صدر سبع.

بين الجدي والذئب

وقف جدي على سطح فمرّ به ذئب فأقبل الجدي على الذئب يشتمه، فقال له الذئب: لست أنت الذي تشتمني، إنما يشتمني الموضع الذي أنت فيه!

حسبك من شر سماعه

حَسْبُكَ مِنْ شَرِّ سَمَاعِهِ .

أَنْفُكَ مِنْكَ وَإِنْ كَانَ أَجْدَعُ، وَسَاعِدُكَ مِنْكَ وَإِنْ كَانَ أَقْطَعَ .

إِذَا تَمَّ الْعَقْلُ نَقَصَ الْكَلَامُ .

صَدِيقُكَ مِنْ صَدَقَّتْكَ لَا مِنْ صَدَّقَكَ .

رَبِمَا كَانَ السُّكُوثُ جَوَابًا .

بل تكشفون عورته

قال سيدنا عيسى - عليه السلام - للحواريين :

كيف تصنعون إذا رأيتم أحاكم نائماً، وقد كشف الريحُ ثوبه عنه؟

فقالوا: نستره ونغطيه .

قال: بل تكشفون عورته .

قالوا: سبحان الله! من يفعل هذا؟

فقال: أحذكم يسمعُ بالكلمة في أخيه، فيزيد عليها، ويُشيعها

بأعظم منها .

التمس رضا الله

روي عن معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنه - أنه كتب إلى

عائشة - رضي الله عنها - أن اكتبني إليّ كتاباً توصيني فيه ولا تكثري،

فكُتبت :

سلام عليك . . أما بعد: فإني سمعت رسول الله - ﷺ - يقول :

«من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤونة الناس، ومن

التمس رضا الناس بسخط الله وكلَّه الله تعالى إلى الناس» والسلام .

موعظة المسؤؤل

قال هرون الرشيد لرجل معروف بصلاحه: عطني أيها الشيخ.

قال الشيخ: يا هرون، لو دامت لغيرك ما وصلت إليك.

قال هرون: زدني.

قال: يا هرون، تلك قصورهم، وهذه قبورهم.

قال هرون: زدني.

قال: كفى بالموت واعظاً يا هرون.

فبكى هرون الرشيد حتى اخضلت لحيته ثم قال:

أيها الشيخ، أعليك دينٌ فنقضيه عنك؟

قال: يقضيه عني مَنْ هو أقدُرُ على قضاءه منك.

قال هرون: فخذ من مالي ما يكفيك رزقاً لك ولعيالك.

فتبسم الشيخ وقال: ويحك يا هرون! أتظن أن الله يرزقك

وينساني؟!!

النار... النار!

مرَّ رجل من التابعين برجل أعمى مقطوع اليدين، مبتور الساقين،
مكباً على وجهه، ينادي بأعلى صوته: النار..! النار..!

ثم لا ينفكُ يردد: النار...! النار..!

وسأله التابعي - رضي الله عنه -: ما شأنك؟

قال: كنت من الذين دخلوا على عثمان بن عفان - رضي الله عنه
- الدار لأقتله. فلما كنتُ على بعد خطوات منه شاهراً سيفي، دافعت
عنه امرأته، وحاولت صدِّي، فلطمتها لطمَةً شديدة، ودفعتها لأخْلِصَ
إلى عثمان، فقال لي عثمان حين رأني أَلطم زوجته: مالك؟! قطع الله

يديك، وبتر ساقيك، وأعمى عينيك، وأدخلك النار!

واستجاب الله دعاء عثمان، وها أنت كما تراني، فلم يبق من
دعوته إلا النار!

رضي الله عن عثمان ذي النورين، فقد كان مستجاب الدعوة،
ومن العشرة المبشرة بالجنة.

نخشى أن تكون عجلت لنا طيباتنا

في أعقاب يوم من أيام الفتح الإسلامي، قُدِّمَ للصحابي القائد
(عبد الرحمن بن عوف) طعام طيب - له ولأصحابه معه - ولكنه نَحَى
الطعام جانباً وأخذ يبكي! فقالوا له: ما يُبْكِيكَ في يومِ فتحِ الله على
المسلمين فتحاً عظيماً؟!

فقال: إنكم لم تروا ما رأيت، لقد حضرتُ مع رسول الله - ﷺ -
- غزواته الأولى، فقاتلنا معه، ومثاً من قُتِلَ ومضى إلى ربه ولم يأخذ
من أجر الدنيا شيئاً، ومنهم (مصعب بن عمير) قُتِلَ يومَ أحد، فلم
نجد ما نُكْفِئُهُ به إلا ثوبه وكان قصيراً، فكَئْنَا إذا غَطِينَا رأسه بَدَثَ
رجلاه، وإذا غَطِينَا رجليه بدا رأسه! فقال رسول الله - ﷺ -: غَطُّوا
رأسه، واجعلوا على رجليه شيئاً من نبات الإذخر، فدَفَّقَاهُ هكذا. . وها
نحن اليوم وما مثاً من أحدٍ إلا وهو أمير على مصر من الأمصار، وبين
يديه ما يشتهي من طيبات الدنيا؛ فنخشى أن تكون طيباتنا قد عُجِلَتْ
لنا في حياتنا الدنيا!

أمنيات

جمع المسجد الحرام بين عبد الملك بن مروان وعبد الله بن
الزبير وأخويه مصعب وعروة أيام تألفهم في عهد معاوية بن أبي
سفيان، فقال بعضهم: هلم فلنتممه. فقال عبد الله بن الزبير: منيتي أن
أملك الحرمين، وأنال الخلافة، وقال مصعب: منيتي أن أملك

العراقين، وأجمع بين عقيلتي قریش سكينه بنت الحسين وعائشة بنت طلحة. وقال عبد الملك بن مروان: وأنا منيتي أن أملك الأرض كلها، وأخلف معاوية. وقال عروة: لستُ في شيء مما أنتم فيه: منيتي الزهد في الدنيا، والفورُ بالجنة في الآخرة، وأن أكون ممن يُروى عنه هذا العلم. قال: فصرف الدهر من صرفه إلى أن بلغ كل واحد منهم إلى أمله. وكان عبد الملك لذلك يقول:

من سرّه أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فليُنظر إلى عروة بن الزبير.

هل من معتبر؟!

قال عبد الملك بن عمير: رأيتُ رأس الحسين - رضي الله عنه - بين يدي ابن زياد، ثم رأيت رأس ابن زياد بين يدي المختار بن عبيد الله الثقفي، ثم رأيتُ رأس المختار بين يدي مصعب بن الزبير، ثم رأيت رأس مصعب بين يدي عبد الملك...

قال سفيان: فقلت له: كم كان بين أول الرؤوس وآخرها؟
قال: اثنتا عشرة سنة.

شربة ماء

دخل (ابن السماك) على أحد الخلفاء وهو آتٍ من رحلة صيد لم يتيسر له فيها الماء العذب.. فلما عاد طلب الماء ليشرب. واستعجله مرتين.. فلما ناوله الخادم الكوب تقدّم (ابن السماك) فأمسك بها وقال: أستحلفك بالله: لو مُنعت هذه الشربة، فبكم تشتريها؟ فأجاب: بنصف ملكي.. قال ابن السماك: ولو منعت خروجها من جوفك، فبكم تشتري خروجها؟ قال: بملكي كله. قال:

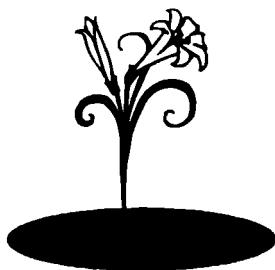
اشرب هناك الله: وأفي لملك لا يساوي شربة ماء!

وليس الذكر كالأنثى

قال الدكتور (ألكسيس كاريل) في كتابه (الإنسان ذلك المجهول) في الصفحة ١١٤ :

«إن الاختلافات الموجودة بين الرجل والمرأة لا تأتي من الشكل الخاص للأعضاء التناسلية، ومن وجود الرحم والحمل، أو من طريقة التعليم، إذ أنها ذات طبيعة أكثر أهمية من ذلك.. إنها تنشأ من تكون الأنسجة ذاتها، ومن تلقيح الجسم كله بمواد كيميائية محدودة يفرزها المبيض.. ولقد أدى الجهل بهذه الحقائق الجوهرية بالمدافعين عن الأنوثة إلى الاعتقاد بأنه يجب أن يتلقى الجنسان تعليماً واحداً، وأن يمنحا سلطات واحدة ومسؤوليات متشابهة... والحقيقة أن المرأة تختلف اختلافاً كبيراً عن الرجل: فكل خلية من خلايا جسمها تحمل طابع جنسها. والأمر نفسه صحيح بالنسبة لأعضائها، وفوق كل شيء بالنسبة لجهازها العصبي. فالقوانين الفسيولوجية غير قابلة للين، شأنها شأن قوانين العالم الكوكبي. فليس في الإمكان إحلال الرغبات الإنسانية محلها. ومن ثم فنحن مضطرون إلى قبولها كما هي. فعلى النساء أن ينمين أهليتهن تبعاً لطبيعتهن، دون أن يحاولن تقليد الذكور؛ فإن دورهن في تقدم الحضارة أسمى من دور الرجال. فيجب عليهن ألا يتخلين عن وظائفهن المحدودة».

الباقية العاشرة
فضائل الأعمال







الأولى بمحمد

قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: «والله لئن جاءت الأعاجم بعمل، وجئنا بغير عمل، لهم أولى بمحمد منا يوم القيامة، فإن من قصر به عمله لم يسرع به نسبه!»

لا عمل يعادل الجهاد

مرَّ رجل من أصحاب رسول الله ﷺ بشعب فيه عُيَيْنَةٌ من ماء عذبة، فأعجبته، فقال: لو اعتزلت الناس فأقمتُ في هذا الشعب! فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال: لا تفعل، فإن مقام أحدكم في سبيل الله أفضل من صلاته في بيته سبعين عاماً، ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة، اغزوا في سبيل الله. من قاتل في سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة.

المصاب من حرم الثواب

كان الصالحون يُعزُّون أنفسهم إذا فاتتهم تكبيرة الإحرام خلف الإمام قائلين: ليس المصاب من فقد الأحباب، إنما المصاب من حُرِمَ الثواب!

تجاوز الله عنه لتجاوزه

قال رسول الله ﷺ:

«خوسب رجل ممن كان قبلكم فلم يوجد له من الخير شيء إلا أنه كان يخالط الناس، وكان موسراً، وكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر، قال الله عز وجل:

نحن أحقُّ بذلك منه تتجاوزوا عنه!»!

رواه مسلم عن أبي مسعود البديري

إن الله ليَجرب أحدكم

عن أبي أمامة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله ليَجربُ أحدكم بالبلاء - وهو أعلم به - كما يجربُ أحدكم ذهبه بالنار. فمنهم من يخرج كالذهب الإبريز، فذلك الذي نجاه الله تعالى من السيئات، ومنهم من يخرج كالذهب دون ذلك، فذلك الذي يشك بعض الشك، ومنهم من يخرج كالذهب الأسود فذلك الذي قد افتتن.

رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد

أذهب فاحتطب

جاء رجل من الأنصار إلى رسول الله ﷺ - يسأله أن يعطيه ما يقتات به.

فقال له الرسول ﷺ: أما في بيتك شيء؟

قال: بلى، جِلسٌ نلبس بعضه ونبسط بعضه، وقعب نشرب به الماء.

قال له الرسول ﷺ: اتني بهما.

فأخذهما رسول الله ﷺ وقال: مَنْ يشتري هذين؟

قال رجل: علي بدرهم، وقال آخر: أنا آخذهما بدرهمين، فأعطاه إياهما، وأخذ الرسول الدرهمين، وأعطاهما للأنصاري وقال

له: اشتر بأحدهما طعاماً لأهلك، واشتر بالآخر قدوماً فاتني به.

فلما أتاه به شدَّ عليه الرسول ﷺ عوداً ثم قال:

اذهب فاحتطب ولا أرينك خمسة عشر يوماً.

فذهب الرجل ثم جاء وقد ربح عشرة دراهم، فاشترى ببعضها طعاماً، وبالبعض الآخر ثوباً، فقال له الرسول ﷺ:-

هذا خير من أن تأتي المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة.

قناديل تهبط من السماء

كان (أسيد بن حضير) - رضي الله عنه - يقرأ القرآن ليلاً في جوار مرقد فرسه، فرأى أمثال القناديل تهبط من السماء. قال أسيد: وجالت الفرس وكان ابني نائماً فخشيت أن تطأه الفرس، فتوقفت عن القراءة. وإذا بالقناديل ترتفع إلى السماء، وسكنت الفرس. فقرأت مرة أخرى؛ فإذا بالقناديل تهبط؛ فجالت الفرس؛ فتوقفت عن القراءة؛ فإذا بها تعرج إلى السماء فما كدت أراها.

فلما أسفر الصباح لقيتُ رسول الله ﷺ وأخبرته الخبر، فقال: يا أسيد، هذه ملائكة السماء نزلت لتسمع إليك ومعها السكينة، ولو أنك قرأت لأصبح الناس ينظرون وما تستر عنهم.

ليتني كنت صاحب هذا القبر

قال عبد الله بن نهم لعمه: يا عم، هلمّ نسلّم الله ونؤمن بالدين الجديد! فهذّده عمّه قائلاً له: لئن أسلمت لأنزعنّ منك كلّ ما أعطيتك، فقال عبد الله: أتهددني؟ والله لنظرة من محمد أحبّ إليّ من الدنيا وما فيها. فنزع عنه عمّه ما أعطاه حتى ثيابه، فأعطته أمه بجاد (كساء)، ثمّ توجه إلى رسول الله ﷺ فأعلن إسلامه، وغزا معه، فقاتل حتى قُتل، فأنزله النبي ﷺ في قبره بيده، ثم وقف عليه يقول: «اللهم

إني أمسيْتُ راضياً عن صاحب هذا القبر فارض عنه». .
فصاح ابن مسعود قائلاً: ليتني كنتُ صاحب هذا القبر.

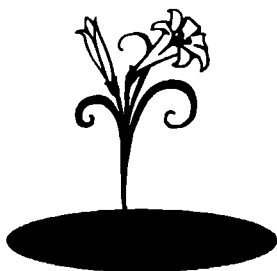
يا رب

- لا تجعلني جزاراً يذبح الخراف، ولا شاةً يذبحها الجزارون.
- ساعدني على أن أقول كلمة الحق في وجه الأقوياء. ولا أقول الباطل لأكسب تصفيق الضعفاء.
- أعطني القوة لأقول - لا -، وأعطني العقل لأعرف متى أقولها، وأعطني الكفاية لأعرف كيف أقولها.
- إذا أعطيتني مالاً لا تأخذ سعادتني، وإذا أعطيتني قوة لا تأخذ عقلي، وإذا أعطيتني نجاحاً لا تأخذ تواضعي، وإذا أعطيتني تواضعاً لا تأخذ اعتزازي بكرامتي.
- ساعدني على أن أرى الناحية الأخرى من الصورة، ولا تدعني أتهم خصومي بأنهم خونة؛ لأنهم اختلفوا معي في الرأي.
- علّمني أن أحبّ الناس كما أحبّ نفسي، وأن أحاسب نفسي كما أحاسب الناس.
- لا تدعني أصاب بالغرور إذا نجحت، ولا باليأس إذا فشلت، بل ذكرني دائماً أن الفشل هو التجربة التي تسبق النجاح.
- علّمني أن التسامح هو أكبر مراتب القوة وأنّ حُبّ الانتقام هو أول مظاهر الضعف.
- إذا جردتني من المال اترك لي الأمل، وإذا جردتني من النجاح اترك لي قوة العناد حتى أتغلب على الفشل، وإذا جردتني من نعمة الصحة، فاترك لي نعمة الإيمان.

- إذا أسأت إلى الناس أعطني شجاعة الاعتذار، وإذا أساء إليّ الناس أعطني شجاعة العفو.
- إذا ضعفت ذاكرتي فدعني أنس إساءات الناس ولا أنسى إحسانهم.
- إذا فقدت صديقي فأعطني قوة الخُلُق حتى أسترده من جديد.
- إذا مرضت فلا تجعلني عبئاً على مَنْ أحب.
- إذا نسيك لا تنسي.



الباقية الحادية عشرة
أقوال منصفى الغرب







عندما ننظر في كتب العرب

قال العلامة (دراير) الأمريكي:

«تأخذنا الدهشة أحياناً عندما ننظر في كتب العرب، فنجد آراء كنا نعتقد أنها لم تولد إلا في زماننا، كالرأي الجديد في ترقّي الكائنات العضوية وتدرجها في كمال أنواعها، فإن هذا الرأي كان مما يعلمه العرب في مدارسهم، وكانوا يذهبون به إلى أبعد مما ذهبنا، فكان عندهم عامّاً يشمل الكائنات العضوية والمعادن، والأصل الذي بنيت عليه الكيمياء عندهم هو ترقّي المعادن في أشكالها».

من سماحة الإسلام

يقرر (جيبون) أن الحملة الصليبية الأولى تركت في التاريخ أثراً مؤلماً يدل على أقصى ما عرف من التعصب.. لا ضد المسلمين فحسب، بل ضد مسيحيي الشرق، إذ أنه بمجرد استقرار الأمر للصليبيين بادروا باتهام مسيحيي الشرق بالإلحاد والتمرد على سلطة الكنيسة الشرعية - يقصدون سلطة البابا - فاضطهدوهم وحاربوهم في أرزاقهم وطردوهم من أعمالهم.

ويضيف: «إن مسيحيي الشرق لاقوا من أولئك الذين جاءوا لإنقاذهم من حكم المسلمين ما جعلهم يقارنون بحسرة بين سماحة حكام المسلمين وبين ما لاقوه من التنكيل والعذاب على أيدي حكام الغرب!»

أعظم العظماء

صدر مؤخراً كتاب بعنوان (عظماء التاريخ) باللغة الإنكليزية. لمؤلفه العالم الفلكي الأميركي (مايكل اج. هارت) ضمنه أسماء مائة من أعظم وألمع رجال العالم عبر التاريخ.

ويأتي اسمُ النبي العربي محمد ﷺ في رأس قائمة المائة، العظيم من عظماء التاريخ القديم والحديث الذين أسهموا إسهاماً وافراً في بناء صرح الحضارة البشرية. ويذكر المؤلف سبب اختياره النبي محمد ﷺ كأعظم عظيم أنجبه التاريخ من بين آلاف الملايين من بني البشرية الذين عاشوا على ظهر البسيطة.

حيكت بأحكم منوال

قال (جيبون):

«جاءت الشريعة المحمدية عامة في أحكامها، يخضع لها أعظم ملك وأضعف صعلوك، فهي شريعة حيكت بأحكم منوال شرعي، وليس لها مثل في العالمين!»

المرأة في المجتمع الغربي

قالت الكاتبة الإنكليزية (مس إني رود):

«لأن يشتغل بناتنا في البيوت خوادم أو شبه خوادم خير لهن وللمجتمع من اشتغالهن في المعامل؛ حيث تُلوّثُ البنت بأدران الرذيلة التي تبقى لاصقة بها مدى حياتها.

ألا ليت بلادنا كبلاد المسلمين فيها العشمة والعفاف والطهارة... وإنه لعار على بلاد الإنكليز أن تجعل بناتها مثلاً للردائل بكثرة مخالطتهن الرجال.

فما بالنا لا نسعى وراء ما يجعل البنت تعمل بما يوافق فطرتها،

وتقوم بأعمال البيت، وتترك أعمال الرجال للرجال فذلك أضمن لعافها وهو الكفيل بسعادتها».

الرفيق في الإسلام

قال (فان دنبرغ): «لقد وضعت للرفيق في الإسلام قواعد كثيرة تدل على ما كان عليه محمد وأتباعه نحوهم من الشعور الإسلامي النبيل، ففيها نجد من محامد الإسلام ما يناقض كل المناقضة الأساليب التي كانت تتخذها إلى عهد قريب شعوبٌ تدّعي أنها تسير في طليعة الحضارة!»

الإسلام والسيف

قال الكونت هنري دي كاستري في كتابه (الإسلام خواطر وسوانح):

«على أن الإسلام لم يكن له عمال مخصوصون يقومون بالدعوة له وتعليم مبادئه كما في الديانة المسيحية. ولو أنه كان له أناس قوامون لسهل علينا معرفة السبب في تقدمه الغريب؛ فإننا شاهدنا الملك شارلمان يستصحب معه على الدوام في حروبه ركباً من القسس والرهبان لياشروا فتح الضمائر والقلوب بعد أن يكون هو قد باشر فتح المدائن والأقاليم بجيوشه التي كان يُضلي بها الأمم حرباً تجعل الولدان شيباً، ولكن لا نعلم للإسلام (مجمعاً دينياً) ولا رسلاً وراء الجيوش ولا رهينة بعد الفتح، فلم يُكره أحدٌ عليه بالسيف ولا باللسان، بل دخل القلوب عن شوق واختيار، وكان نتيجة ما أودع في القرآن من مواهب التأثير والأخذ بالألباب».

مقارنة

قال الأستاذ (يورجا) في كتابه (تاريخ الحروب الصليبية):

«ابتدأ الصليبيون سيرهم إلى بيت المقدس أسوأ طالع، فكان فريق من الحجاج يسفكون الدماء في القصور التي استولوا عليها، وقد أسرفوا بالقسوة، فكانوا يبقرون البطون، ويبحثون عن الدنانير في الأمعاء. أما صلاح الدين عندما استردَّ بيت المقدس، فقد بذل الأمان للصليبيين، ووفى لهم بجميع عهوده وجاد المسلمون على أعدائهم، ووطأوهم وهاد رأفتهم، حتى أن الملك العادل شقيق السلطان أطلق ألف رقيق من الأسرى، ومنَّ على جميع الأرمن، وأذنَّ للبطريك بحمل الصليب وزينة الكنيسة، وأبيح للأميرات والملكة بزيارة أزواجهن».

موقف المسلمين من النصرانية

بعث البطريك النسطوري ابشويان الثالث إلى سيمون أسقف أردشير الرسالة الآتية:

«العرب الذين أعطاهم الله ملك العالم برمته هم بينكم كما تعلمون جيداً.. لم يهاجموا العقيدة المسيحية، بل إنهم يعطفون على ديننا، ويكرمون قديسنا، ويساعدون في بناء الكنائس والأديرة...».

يكفيه فخراً

قال (تولستوي) في رسول الله محمد ﷺ:

«... ويكفيه فخراً أنه هدى أمة برمتها إلى نور الحق وجعلها تجنح للسلام، وتكف عن سفك الدماء، وتقديم الضحايا، ويكفيه فخراً أنه فتح طريق الرقي والتقدم، وهذا عمل عظيم لا يفوز به إلا شخص أوتي قوة وحكمة وعلماً، ورجل مثله جدير بالاحترام والإجلال».

أوروبا مدينة للحضارة الإسلامية

جاء في كتاب (قانون التاريخ) تأليف جونه كستلو:

«إن أوروبا لمدينة للحضارة العربية بما كتب لها من ارتقاء، من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر، وعنها أخذت الفكرة الفلسفية والعلمية التي سَرَتْ سرّياً بطيئاً ناقصاً في القرون الوسطى، وإن أوروبا لتتجلى لنا منحة جاهلة أمام المدينة العربية، وأمام العلم العربي، والآداب والفنون العربية. وقد انقضت أربعة قرون ولا حضارة فيها غير الحضارة العربية، وعلماءها هم حملة لوائها الخفاق!»

شريعة الإسلام

قال ليودوروس:

«إن الإسلام دين إنساني طبيعي اقتصادي أدبي، ولم أذكر شيئاً من قوانيننا الوضعية إلا وجدته مشروعاً فيه، بل إنني عدت إلى الشريعة التي يسميها (جول سيمون) الشريعة الطبيعية فوجدتها كلها أخذت عن الإسلام!!»

كانت أوروبا في ظلام

قارن الطبيب الأميركي (فكتور روبنسون) بين الحالة الصحية وغيرها في الأندلس وفي أوروبا خلال فترة تاريخية واحدة فقال:

«كانت أوروبا في ظلام حالك بعد غروب الشمس، بينما كانت قرطبة تضيئها المصابيح العامة! وكانت أوروبا قذرة، بينما سيّدت قرطبة ألف حمام! وكانت أوروبا غارقة في الوحل بينما كانت قرطبة مرصوفة الشوارع!

وكانت سقوف القصور في أوروبا مملوءة بثقوب المداخن، بينما قصور قرطبة تزينها الزخرفة العربية العجيبة!

وكان أشرف أوروبا لا يستطيعون توقيع أسمائهم، بينما كان أطفال قرطبة العربية يذهبون إلى المدارس. وكان رهبان أوروبا يلحنون في تلاوة سفر الكنيسة، بينما معلمو قرطبة قد أسسوا مكتبة تضارع في ضخامتها مكتبة الإسكندرية العظيمة!».

سبب انتشار الإسلام

قالت الكاتبة الغربية (فاليري):

«فرضت الأديان على من يدينون بها معتقدات ثقيلة يصعب القيام بأعبائها لبعدها عن مدى الأفهام، على حين كان الإسلام عجيباً في سهولته، صريحاً في فروضه، وهذا كان سبباً آخر في سرعة انتشاره بين الشعوب التي اضطربت أخلاقها كل الاضطراب، بما أصابها من الشك المضمني بعقائدها الدينية، وهذا - أيضاً - كان ولا يزال السبب في انتشاره المتواصل بين الأمم في آسيا وإفريقيا لنفوذها إلى أرواحهم دون حاجة إلى التطويل في شرحه، والتلطف في الدعاية له».

حضارة الإسلام في العصور الوسطى

قال الدكتور (جارودي):

«بينما كانت شعوب الشمال تتناحر في حروب دينية وتتصرف كالقبائل الهمجية كان شعب إسبانيا (المسلم) يشهد أغنى وأجمل حضارة شهدتها أوروبا خلال العصور الوسطى، ويفضلهم عرف العد العشري والجبر والكيمياء والطب وعلم الكون».

أعظم عظماء العالم

قال فارس الخوري - أحد وزراء سوريا السابقين - في حفل المولد النبوي الذي أقيم بدمشق عام ١٣٥٤ هجرية:

«إن محمداً أعظم عظماء العالم، ولم يجد الدهر بمثله بعد. والذي جاء به أوفى الأديان وأتمها وأكملها. إن محمداً الذي تحتفلون به وتكرمون ذكره أعظم عظماء الأرض، سابقهم ولاحقهم؛ فلقد استطاع توحيد العرب بعد شتاتهم وأنشأ منهم أمة موحدة فتحت العالم المعروف يومئذ».

سبب انحطاط الشرق

قال المستشرق الفرنسي الدكتور غوستاف لوبون:

«إن سبب انحطاط الشرق هو تركه روح الدين وتشبهه بالعقائد الباطلة؛ فإن الدين قوة أدبية لا يُستهان بها. ومن الواجب عليكم أن تأخذوا من دينكم ما يوافق روح العصر، وأن تحافظوا على تقاليدكم الحسنة وعاداتكم المرضية.

وعلى الطلاب الشرقيين - الذين يأتون أوروبا لاقتباس أنوار المعارف - أن ينتخبوا من العلوم والفنون والأفكار والعادات ما يفيد وطنهم ويوافق أخلاقهم».

القرآن ونظريات العلوم

قال الفيلسوف الفرنسي (ألكس لوزان):

«ما من كتاب يشمل أي نظريات حتى ولو كانت رياضية إلا جاء العلم ينقض بعض ما حواه، حتى الكتب التي أُلِّفَتْ في القرن العشرين نفسه لم تستطع أن تصمد - من جميع جوانبها - أمام جيوش العلم وكتابه الجرارة... إلا القرآن الكريم!!»

لو لم يتوقف المسلمون في بواتيه

قال كلود فارير من مؤرخي فرنسا وأدبائها:

«إن هزيمة العرب في بواتيه قد أخرجت المدينة الغربية ثمانية قرون إلى الورا، فلو ظفر المسلمون يوم بواتيه لحملوا مدينتهم إلى الغرب، ولما طالت أيامه في الجهل المطبق».

لماذا لم يسلموا؟

يقول اللورد هدلي:

«إنني أعتقد أن هناك آلافاً من الرجال والنساء أيضاً مسلمون قلباً ولكن خوف الانتقاد والرغبة في الابتعاد عن التعب الناشئ عن التغيير تأمرأ على منعهم من إظهار معتقداتهم».

المسلمون أساتذة أوروبا

قال العلامة (سيديو) معلقاً على الظاهرة الخطيرة في تاريخ البشرية:

«إن العرب المسلمين كانوا أساتذة أوروبا كلها في جميع فروع المعرفة، وإن ما شيد من المدارس والجامعات في أرجاء دولتهم كان يوقد مصباح الحضارة ما بين الشرق الأقصى وبين هركسول (مضيق جبل طارق)، ناشراً آثار العلم العربي في كل مكان، عاملاً على تجديد الدم في عروق العالم. ونحن مدينون للعرب في الحقل العلمي!»

رفع الإسلام قدر المرأة

يقول مسيوريفيل: «إننا لا نجد عملاً أفاد النساء ورفع من قدرهن أعظم مما أتى به النبي محمد. فهن مديونات له بأمر كثيرة. وفي القرآن آيات ساميات في تقرير حقوقهن، وما يجب لهن على الرجال».

استحكمت لهم ملكة الفنون

يقول الفيلسوف الفرنسي الدكتور غوستاف لوبون في كتابه (تطور الأمم):

«إن ملكة الفنون لا يتم تكوينها لأمة من الأمم الناهضة إلا في ثلاثة أجيال:

أولها: جيل التقليد.

ثانيها: جيل الخضرمة.

ثالثها: جيل الاستقلال والاختصاص.

إلا العرب وحدهم، فقد استحكمت لهم ملكة الفنون في الجيل الأول الذي بدأوا فيه بمزاولتها.

صان المسلمون أنفسهم عن خطايا الغرب

يقول (مسيولوبليه) M.leplay في كتابه (عمال الشرق):

«لقد صان المسلمون أنفسهم عن مثل خطايا الغرب فيما يمس رفاهية طبقات العمال ويحافظ المسلمون بإخلاص على تلك النظم الباهرة التي يسود بها السلام بين الغني والفقير والسيد والأجير. وليس من المبالغة أن يقال: إن ذلك الشعب الذي يزعم الأوروبيون أنهم يرغبون في إصلاحه هو في الحقيقة خير مثال يقتدون به في ذلك».

صوت الإسلام لا يزال غير مسموع

يقول الأستاذ فاليري في كتاب (إظهار محاسن الإسلام) المترجم عن الفرنسية:

«إنه مما لا شك فيه أن وصف محمد بتلك الأكاذيب التي كانوا يشيعونها في القرون الوسطى عنه وعن ديانته قد خفّت كثيراً في هذا العصر، وصار الناس ينشدون الحقيقة التاريخية عن محمد وعن الإسلام الذي قلب وجه العالم. ولكن مما لا مراء فيه أن صوت المسلم الحر الذي يحب الله ورسوله ويرى في الإسلام الحسنات التي لا نهاية لها في الدنيا والآخرة لا يزال غير مسموع تماماً. والنادر من الأوروبيين يعلم هذا الصوت».

النصب التذكارية للعبقرية الإسلامية

قالت المستشارة الألمانية الدكتورة (زيغريد هونكه):

«إن كل مستشفى مع ما فيه من ترتيبات ومختبر، وكل صيدلية ومستودع وأدوية في أيامنا هذه، إنما هي في حقيقة الأمر نُصْبٌ تذكارية للعبقرية العربية. كما أن كل حبة من حبوب الدواء... إنما هي كذلك تذكار صغير ظاهر يذكرنا باثنين من أعظم أطباء العرب ومعلمي الغرب!»

الإسلام والأقليات

قال الأستاذ (وندل كليلاند) في بحثه (موقف الإسلام من الأقليات):

«إن النظام الإسلامي منح الأقليات حرية أكثر مما منح للمسلمين أنفسهم، فهو يكفل الحرية الدينية للأقليات، وحرية الاشتغال ببعض الأعمال المحرمة على المسلمين...».

عظمة شريعة الإسلام

قال عميد كلية الحقوق بفينا في مؤتمر الحقوقيين سنة ١٩٢٧:

«إن محمداً استطاع أن يأتي بتشريع سنكون نحن الأوروبيين أسعد ما نكون لو وصلنا إلى قمته بعد ألفي سنة».

أعظم تشريع

قال الأستاذ (ادموند يورك):

«إن القانون المحمدي قانون ضابط للجميع من الملك إلى أقل رعاياه. وهو قانون نسج بأحكام نظام حقوقي وأعظم قضاءً علمي وأعظم تشريعاً عادلاً، لم يسبق قط للعالم إيجاد مثله».

اعتنقوا الإسلام عن رغبة

يقول المؤرخ (جيون):

«إنه ما من شك في أن الملايين الذين انضموا تحت لواء هذه الرسالة قد اجتذبتهم تعاليمها السمحة، فاعتنقوا هذا الدين عن رغبة لا رهبة، وكان مجرد إعلان الشهادتين بوحداية الله وبرسالة محمد كافياً ليحل إसार الأسير ويمنح الحرية للرقيق فيصبح أخاً لسائر المسلمين».

الإسلام ومؤتمر القانون الدولي

قرر مؤتمر القانون الدولي المنعقد في (لاهاي) سنة ١٣٥٦ هجرية ١٩٣٧ ميلادية ما يلي:

- أ - اعتبار الشريعة الإسلامية مصدراً من أهم مصادر التشريع العام.
- ب - اعتبار الشريعة الإسلامية، حية صالحة للتطور.
- ج - اعتبارها قائمة بذاتها وليست مأخوذةً من غيرها.
- د - استعمال اللغة العربية في المؤتمر والوصية بالاستمرار على ذلك في الدورات المقبلة.

وساطة الإسلام

قال هاملتون جب:

«لقد برهنت الطوائف الإسلامية الكبرى في إفريقيا والهند والهند الشرقية والجماعات الصغيرة في الصين واليابان على أن الإسلام يستطيع أن يوفق بين العناصر التي لا سبيل إلى التوفيق بينها. وإذا ما أريد إحلال التعاون محل الخلاف بين المجتمعات في الشرق والغرب فإن (وساطة الإسلام) ضرورية لا غنى عنها، فهو - وحده - الكفيل بحل المشكلة التي تواجه أوروبا في علاقاتها مع الشرق!»

أخذ الغرب من حضارة الأندلس

يقول المؤرخ الفرنسي فالير في كتابه (استرداد القدس):

إنَّ البعثات العلمية كانت قائمةً في أوروبا على قدم وساق لإرسالها إلى الأندلس الإسلامية لتلقف العلوم والفنون والصناعات في معاهدها الكبرى، وذلك نتيجة الدعايات التي انتشرت في قصور ومراكز معظم المقاطعات الأوروبية في ذلك الوقت: كإنكلترا وفرنسا وهولندا.

لو لم يكن لي دين لاعتنقت الإسلام

بعث إمبراطور ألمانيا غليوم برسالة إلى قيصر روسيا سنة ١٨٩٧ عقب زيارته لبيت المقدس ختمها بقوله: «لما غادرتُ الأماكن المقدسة كنتُ أشعرُ بخجل عظيم من المسلمين، وكنت أقول لنفسي في قرارة نفسي: لو لم يكن لي دين عند وصولي إلى القدس لكنت قد اعتنقت الإسلام حتماً».

الشرية الإسلامية

في عام ١٩٦٦ كتب دافيد R.David كبير أساتذة القانون المقارن بفرنسا في الوقت الحاضر:

«من ضروب الخطأ الاعتقاد - كما يظن البعض - أن الشريعة الإسلامية في حالة سبات... والحقيقة غير ذلك ولا تزال الشريعة الإسلامية تعد من الأنظمة الفقهية العظيمة في العالم الحديث».

أدخل في الإسلام عدة مئات وهو في السجن

قال توماس أرنولد في كتابه (الدعوة إلى الإسلام):

(إن البلجيكيين حكموا على زعيم مسلم بالإعدام، ففضى هذا ساعاته الأخيرة وهو يحاول أن يُدخل الإسلام إلى قلب المبعثر المسيحي الذي أرسل إليه؛ ليزجي إليه التعزيات الدينية)!

وذكر أرنولد - أيضاً - أن الإسلام تسرّب إلى أوروبا الشرقية على

يد أسير مسلم أثناء الحرب البيزنطية الإسلامية. وقال: إن الشيخ أحمد أدخل وهو في السجن عدة مئات من عبدة الأوثان الذين كانوا معه في السجن في الإسلام. وقال: إن أحد (المولوية) نَفَثَهُ بريطانيا عام ١٨٦٤ إلى جزائر (اندمان) نفيًا مؤبدًا؛ فأدخل هذا المسلم في الإسلام الكثير من المحكومين قبل وفاته!!

الدستور الأساس

قال الفيلسوف (جيون):

«القرآن مسلّم به من حدود الأقيانوس إلى نهر الفانك بأنه الدستور الأساس ليس لأصول الدين فحسب - يعني بذلك التعبد في مفهوم الغرب - بل للأحكام الجنائية والمدنية والشرائع التي عليها مدار حياة نظام المجتمع الإنساني وترتيب شؤونه».

دع أوروبا تعترف بخطئها

قال الأستاذ (ارثر ليونارد) الأميركي:

«المدنية الإسلامية عند العرب، وصلت إلى أعلى مستوى من العظمة العمرانية والعلمية، حتى أحيَتْ جذوة المجتمع الأوروبي المنطفئة وحَفَظَتْهُ من الانحطاط والبلوى».

ألم يأن لنا نحن الذين نعدُّ أنفسنا في أعلى قمة التهذيب أن نعترف بأنه لولا التهذيب الإسلامي ومدنية المسلمين وعلوهم وعظمتهم وحسنُ نظام جامعاتهم لكانت أوروبا اليوم تهيم في ظلام ليل بهيم؟

أيمتلىء قلبُ أوروبا حقدًا وكرهية للمسلمين، ونُهْجِل تلك الأعمال التي أتوها، والشهرة التي تركوها وراءهم في بطون الكتب؟

ألا نذكر الخيانة التي اقترفناها مع المسلمين، بل الجنابة التي

جنيناها على العالم بإحراق مئات الألوف من المجلدات التي حُصِّنا
على تدميرها التعصبُ المسيحي الأعمى!؟

حقاً إنّ المسلمين ذوو أخلاقٍ عاليةٍ وإباءٍ وشمسٍ، فقد صفحُوا
عما ارتكبناه من ذنوبٍ، كما يصفح الوالد الحنون عن ذنوب ابنه
المخطيء.

ألا يمكن أن يقال حقاً: إن أوروبا المسيحية، بذلت كل ما في
وسعها منذ قرون مضت، لتُخفي شكرها للعرب؟

ألا إنّ مثل هذه الأعمال الإنسانية لأعظم وأرفع من أن يختفي
أثره، فالشمس - وإن حَجَبَتْها الغيوم - تُورِها يدل على وجودها.
دَعِ أوروبا تعترف بخطئها.

دعها تعلن للعالم أجمع عن غباوتها في ذلك.

إنها - ولا شك - ستُضْطَرُّ في يومٍ من الأيام للاعتراف بالذنين
الأبدي المدينة به للإسلام».

كل العلوم من الشرق

قال الوزير الفرنسي (المسيو ميلي) في المدينة العربية:

«إنّ معالم بغداد وقرطبة العلمية كانت منابعاً للأنوار الساطعة،
عندما كانت معالمنا منحنية على الجهل المطبق: فكل العلوم، وكلُّ
الصنائع، وكل الفنون كانت تأتي من الشرق، وإن زهرة التمدن النفيسة
المحفوظة في أوانها الجميلة الأنيقة: كقصر (اشبيلية) وحمراء (غرناطة)
لم تزل تخجلنا حتى بعد اضمحلال العربية...».

تأثير العرب في الغرب

قال المستشرق الفرنسي الدكتور (غوستاف لوبون):

«كان تأثيرُ العرب في الغرب عظيماً، وإليهم يرجع الفضلُ في حضارة أوروبا.. وتأثيرهم بتعاليمهم العلمية، والأدبية، والأخلاقية عظيماً، ولا يتأتى للمرء معرفة التأثير العظيم الذي أثره العرب في الغرب إلا إذا تصورنا حالة أوروبا في الزمن الذي دخلت فيه الحضارة. وإذا رجعنا إلى القرنين التاسع والعاشر الميلادي يوم كانت المدينة الإسلامية زاهرة باهرة، نرى أن المراكز العلمية الوحيدة في عامة بلاد الغرب كانت عبارة عن مجموعة أبراج يسكنها سادة نصف متوحشين، يفاخرون بأنهم أميون لا يقرأون ولا يكتبون.

وكانت الطبقة العالية المستنيرة في النصرانية عبارة عن رهبان فقراء جهلة، يقضون الوقت بالتكسب في ديرهم بنسخ كتب القدماء، وليبتاعوا ورق البردي اللازم لنسخ كتب العبادة.

ولما شعرت بعض العقول المستنيرة قليلاً بالحاجة إلى نقض كفن الجهل الثقيل الذي كان الناس ينوءون تحته، طرقت أبواب العرب يستهدونهم ما يحتاجون إليه، لأنهم كانوا وحدهم سادة العلم في ذلك العهد».

الأندلس والبحثات العلمية

قال المؤرخ الفرنسي (فالير) في كتابه (استرداد الأندلس)
: Rapsa Oaindeloussia

«إن البعثات العلمية كانت قائمةً في أوروبا على قدم وساق لإرسالها إلى الأندلس الإسلامية، لتلقف العلوم والفنون والصناعات في معاهدها الكبرى، وذلك نتيجة الدعايات التي انتشرت في قصور ومراكز معظم المقاطعات الأوروبية في ذلك الوقت: كإنكلترا وفرنسا وألمانيا وهولندا...».

مشكلات العالم لا يحلها إلا الإسلام

قال برنارد شو:

«إنني أعتقد أن رجلاً كمحمد - ﷺ - لو تسلّم زمام الحكم المطلق في العالم بأجمعه اليوم، لتّم له النجاح في حكمه، ولقادّ العالم إلى الخير، وحلّ مشكلاته على وَجْهِ يحقق للعالم كلّ السلام والسعادة المنشودة».

نحن مدينون للعرب

نقلت مجلة (الزهراء) في عددها الصادر في (ذي القعدة) سنة ١٣٤٧ هـ عن صحيفة (المقطم) كلمة للقاضي (ارثر لايسي) العالم المؤرخ الأمريكي، ألقاها في حفلة للسوريين في مدينة (ديترويت) في أمريكا ومما قاله:

«إنني كفرد ينتمي إلى العنصر السكسوني أعترف بأننا مدينون لكم معشر العرب وأنتم الدائنون، وعلى هذا أفق بينكم الليلة لأوفيكم ولو شيئاً من حقكم».

يرجع الناس بأصول مدينتنا إلى المدينتين: اليونانية والرومانية، مع أن آثارها كانت في زوايا النسيان زمن العصور المظلمة، ولو لم يقدر لهما أن تتناولهما أيدي العرب لأصابهما الوهن والاضمحلال.

إن إسبانيا العربية هي مدرسة أوروبا التي علمتها الآداب والفلسفة والعلوم، ومنكم تعلمنا الكسور العشرية وحساب التفاضل والمقابلة، ومنكم تعلمنا القول بكروية الأرض. وإن الكرة الفضية التي أهداها الشريف الإدريسي الجغرافي العربي إلى (روجر الثاني) أمير (نابولي) في منتصف القرن الثاني عشر (القرن السادس الهجري) خير شاهد على ما أقول، وذلك قبل رحلات (كولمبس) بخمسمائة سنة. وقد حسب محيط الأرض بأربعة وعشرين ألفاً وخمسمائة ميل.

وشعركم وآدابكم كانت منهلأ استقى منه أدباء الفرنسيين والطلليان والإنكليز، ومنه جاء دور البعث والتجديد إلى أوروبا، وأنا بالنيابة عن أبناء جنسي الأنكلوسكسوني أترف بفضلكم، وأشكركم بلساني ولسان (مسز لايبي) شكراً وافراً.

لو بقيت حضارة الإسلام سائدة

قال الأستاذ (جوزيف ماك كيب):

«لو عمت أفكار قرطبة وعلومها وتهذيبها جميع أوروبا لبلغت أوج المدنية، وتقدم العلم فيها تقدماً عظيماً في القرن الثالث عشر ولكانت أمريكا وسائر بقاع الأرض قد اكتشفت قبل تاريخ اكتشافها، واستعمرت بحكمة وإتقان أكثر وأسبق مما وقع لها ولكان النوع البشري بأسره اليوم ممتعاً بثروة ورفاهية ورفي وحرية وسمو فكر مثلما سيكون حوالي سنة ٢٥٠٠ م».

المرأة الأمريكية تحسد المرأة العربية

زار وفد المفتربين العرب قطراً عربياً هو (سورياً) وجرت محادثة صحفية مع إحدى المفتربات حول المرأة، فكان مما قالته المفتربة عن الحياة في الغرب وعن المرأة فيها بعد أن تنهت أماً وحرقة:

ليت رحلتنا تدوم، أو ليت البقاء يُكتب لي هنا... وتابعت حديثها بلغة عربية غير سليمة ولكنها مفهومة تجيب عن سؤال الصحفي حين سألها عن المرأة، وهل هي متزوجة فأجابت:

لم أتزوج بعد؛ لأنني لم أجد الزوج الذي يقدر المرأة، ويعرف قدرها كالزوج العربي. هناك يعامل الزوج زوجته على قدم المساواة مع أي جارٍ أو صديق! إنها شيء في حياته يجوز الاستغناء عنه. وفي أحسن الحالات يجوز أن يتساوى معه. أما هنا، فالزوجة والمرأة بشكل عام مُفضَّلة، مُدَلَّلة، محترمة المكانة، يسعى الرجل لإسعادها قبل أن يُسعد نفسه.

وعندما قال الصحفي للمغتربة: إن النساء هنا لا يُرضين عن هذه المعاملة، إنهن يطالبن بالمساواة مع الرجل!
ضحكت المغتربة ساخرة وقالت:

لو ذهبن إلى أمريكا، وأذعن ما يطالبن به هنا، لضحكت كل النساء الأمريكيات من هذه المطالب.. إن المرأة الأمريكية تحسد المرأة العربية، وتتمنى حياة زوجية كحياتها.

انصحكم بان تتمسكوا باخلاقكم

زارت مصر الصحفية الأمريكية (هيلين ستانسبري) وأمضت عدة أسابيع فيها، زارت خلالها المدارس والجامعات.. في رحلة دراسية لبحث مشكلات الشباب والأسرة في المجتمع العربي.. وهيلين صحفية جواله تراسل أكثر من ٢٥٠ صحيفة أمريكية، ولها مقال يومي يقرؤه الملايين يتعلق بمشكلات الشباب، وعملت في الإذاعة والتلفزيون أكثر من ٢٠ سنة، وزارت بلاد العالم كلها وهي في الخامسة والخمسين من عمرها، إنها تقول بعد أن أمضت شهراً في مصر:

«إن المجتمع العربي كامل وسليم، ومن الخلق بهذا المجتمع أن يتمسك بتقاليده التي تقيّد الفتاة والشاب في حدود المعقول، وهذا المجتمع يختلف عن المجتمع الأوروبي والأمريكي، فعندكم تقاليد موروثه تحتم تقييد المرأة، وتحتم احترام الأب والأم، بل وتحتم أكثر من ذلك عدم الإباحية الغربية التي تهدّد اليوم المجتمع والأسرة في أوروبا وأمريكا؛ ولذلك فإن القيود التي يفرضها المجتمع العربي على الفتاة الصغيرة - وأقصد ما تحت سن العشرين - هذه القيود صالحة ونافعة: لهذا أنصح بأن تتمسكوا بتقاليدكم وأخلاقكم، وامنعوا الاختلاط وقيّدوا حرية الفتاة.. بل ارجعوا إلى عصر الحجاب فهذا خير لكم من إباحية وانطلاق ومجون أوروبا وأمريكا.

لماذا تحول الناس إلى الإسلام

قال توماس أرنولد في كتابه (الدعوة إلى الإسلام):

«ويمكننا أن نحكم من الصلات الودية التي قامت بين المسيحيين والمسلمين من العرب، بأنَّ القوة لم تكن عاملاً حاسماً في تحويل الناس إلى الإسلام. فمحمد - ﷺ - نفسه قد عقد حلفاً مع بعض القبائل المسيحية، وأخذ على عاتقه حماية الحرية التي منحهم في إقامة شعائرهم الدينية، كما أتاح لرجال الكنيسة أن ينعموا بحقوقهم ونفوذهم القديم في أمن».

ويقول:

«ومن الأمثلة التي قَدَّمناها آنفاً عن ذلك التسامح الذي بسطه المسلمون الظافرون على العرب المسيحيين في القرن الأول من الهجرة، واستمرَّ في الأجيال المتعاقبة، نستطيع أن نستخلص بحق أنَّ هذه القبائل المسيحية التي اعتنقت الإسلام، إنما فعلت ذلك عن اختيار وإرادة حرة، وإنَّ العرب المسيحيين الذين يعيشون في وقتنا هذا بين جماعات مسلمة، لشاهد على هذا التسامح».

لا يستحقان أن يكونا صانعي أحية عند محمد

الفيلسوف الفرنسي (فولتير) واحد من مفكري فرنسا العظماء الذين أوقدوا نار الثورة الفرنسية، وله رأي في الرسول محمد ﷺ يتلخص بما يأتي:

في شهري أيلول وتشرين الأول من سنة ١٧٦٤ م كان الأمير النمساوي تسينسدورف Zinzdorf الذي تولي حكومة النمسا في أواخر أيامه قد زار سويسرا في شبابه، وزار كلا من (فولتير) و(جان جاك روسو)، ووضع عن هذه الزيارة رسالة محفوظة في دار الآثار الوطنية، اطلع عليها المسيو (لوفال) الفرنسي، وكتب عنها مقالاً في جريدة



(الطان) بتاريخ ١٤ تشرين الأول سنة ١٩٢٤، لخصها الأمير (شكيب أرسلان) في مجلة الزهراء في عددها المؤرخ ١٥ صفر سنة ١٣٤٤ هـ جاء فيها:

إن (فولتير) في أحد مجالسه مع الأمير النمساوي (تسينسدورف) ذكّر (لوثر) و(كلفن) المصلحين الدينيين العظمين في ألمانيا وسويسرا، فقال للأمير النمساوي:

«إنهما لا يستحقان أن يكونا صانعي أذية عند (محمد)، وإنهما كانا رجعيين مقصرين؛ لأنهما لم يتجاسرا على إعلان الحقائق التي أعلنتها (محمد) مع أنه قد تقدمهما في الزمن».

فضائل الإسلام كالجبال

قال أحد وجهاء الأوروبيين المنصفين في طرابلس الشام للسيد رشيد رضا - رحمه الله -:

«إن في الإسلام فضائل كالجبال أو أشمخ وأرسخ ولكنكم دفتموها حتى لا تكاد تُعرف أو ترى، ونحن عندنا شيء قليل ضئيل ككلمة (حب الله والغريب) فما زلنا نمطه ونمده، ونقول: (الفضائل المسيحية) حتى ملأنا الدنيا كلها!».

ما أخرج العالم اليوم إلى رجل كمحمد

قال (برنارد شو):

«إن أوروبا الآن ابتدأت تحس بحكمة محمد ﷺ وبدأت تعشق دينه، كما أنها ستبريء العقيدة الإسلامية مما اتهمتها به من أراجيف رجال أوروبا في العصور الوسطى، وسيكون دين محمد هو النظام الذي تؤسس عليه دعائم السلام والسعادة، ونستمد من فلسفته حلّ المعضلات وفك المشكلات، وحل العقد».

... وإن كثيرين من مواطني ومن الأوروبيين الآخرين يقدسون تعاليم الإسلام؛ ولذلك يمكنني أن أؤكد نبوءتي فأقول: إن بواد العصر الإسلامي الأوروبي قرية لا محالة.

وإني أعتقد أن رجلاً كمحمد ﷺ لو تسلّم زمام الحكم المطلق في العالم بأجمعه اليوم لثمّ له النجاح في حكمه، ولقاد العالم إلى الخير وحلّ مشكلاته على وجه يحقّق للعالم كله السلام والسعادة المنشودة: .

... أجل.. ما أحوج العالم اليوم إلى رجل كمحمد ليحل قضايا المعقدة بينما هو يتناول فنجاناً من القهوة...».

هذه الفتوحات المدهشة

قال الأستاذ (هاملتون جيب) في كتابه MOHAMMED

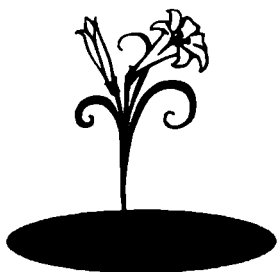
: ANEISM

«هذه الفتوحات المدهشة، التي نقلت العرب في أقلّ من قرن إلى مراكش وإسبانيا وفرنسا وأبواب القسطنطينية وبعيداً عبر أوساط آسيا، تؤكد خصيصة الإسلام كعقيدة قوية غازية واثقة بنفسها. ومن هذه الخصيصة كان عدم استسلام الإسلام لكل شيء خارج على حدوده، بل التمرد عليه ومعاداته، ومنها كان ما سجله تاريخ الإسلام من التسامح الواسع في صورته المختلفة داخل المجتمع الإسلامي، ومع غيره من المجتمعات، ومنها كذلك كانت كرامته التي ثبت بها خلال أوقات التقهقر في تاريخه».

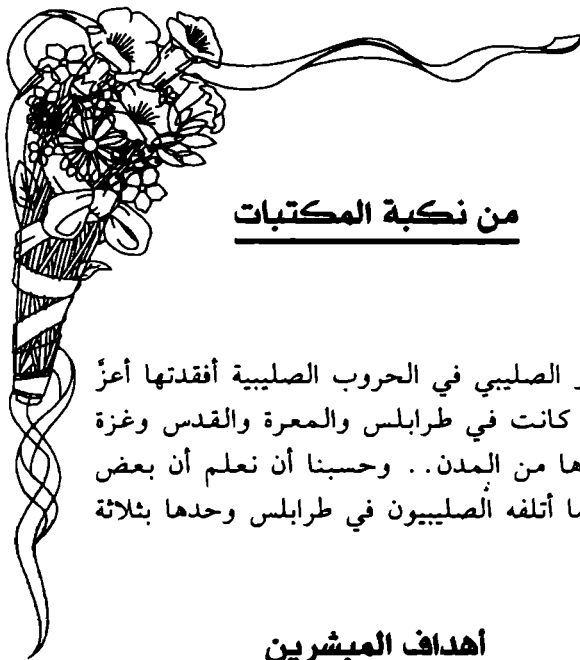


الباقة الثانية عشرة

أقوال الحاقدين على الإسلام ومخططاتهم







من نكبة المكتبات

نكبة الغزو الصليبي في الحروب الصليبية أفقدتها أعزُّ المكتبات التي كانت في طرابلس والمعرة والقدس وغزة وعسقلان وغيرها من المدن.. وحسبنا أن نعلم أن بعض المؤرخين قدّر ما أتلّفه الصليبيون في طرابلس وحدها بثلاثة ملايين مجلد!!

أهداف المبشرين

قال الأسقف (دي ميستيل) وكيل إدارة البعثات التبشيرية في الشرق بروما:

«إن الهدف الذي يتعين على المبشر تحقيقه.. هو تحطيم قوة التماسك الجبارة التي يتميز بها الإسلام - أو على الأقل - إضعاف هذه القوة. وإن على المبشر أن يدرس ويتفهم (قرآن محمد) ليعرف كيف يذكر الناس في الشرق بأنه كانت هناك مدينة سابقة على الهجرة وإنها كانت مدينة مسيحية وأن يستخدم الأسلحة السلمية التي تأسر النفوس، وفي مقدمتها الصدقات والمعونات، وإقامة المعاهد والمدارس والمؤسسات الخيرية وهي كلها مؤسسات دينية».

السنين السبعية عند اليهود

اختار اليهود السنين (السبعية) لتنفيذ مخططهم مثل عام ١٩١٧،

١٩٤٧، ١٩٦٧، وهكذا لأنهم يتفائلون برقم ٧، تيمناً منهم بالآلف سنة السابعة التي - بزعمهم - إن الرب وعدهم فيها بحكم العالم والتي تبدأ بعد ٢٠٠٠ ميلادية، كما أن شمعدان موسى كان له سبعة أفرع، ويعتقد اليهود أنها كانت تنير بنور الله!

تفريق المسلمين وتمزيقهم

نقل الريحاني في ملوك العرب ٣٤١/١ عن (الكرنل جاكوب):
أن إدارة شركة الهند كانت قد كتبت إلى الكابتن (دينس) Gapt. Haines أول والٍ للإنكليز على (عدن) ما يأتي:

«حرّض القبيلة الموالية على القبيلة المعادية، فلا تضطر إلى جنود بريطانيا».

وقالت له:

«إنه وإن كان هذّر الدماء مما يؤسف له، فمثل هذه السياسة تفيد الإنكليز في عدن؛ لأنها توسّع الثلثة بين القبائل».

كيف ينتصرون على المسلمين

قال الحاكم الفرنسي في الجزائر في ذكرى مرور مائة سنة على استعمار الجزائر:

«إننا لن ننتصر على الجزائريين ما داموا يقرؤون القرآن، ويتكلمون العربية، فيجب أن نزيل القرآن العربي من وجودهم، ونقتلع اللسان العربي من ألسنتهم».

مقاومة الإسلام

يقول فيليب فوانداسي:

«إن من الضروري لفرنسا أن تقاوم الإسلام في هذا العالم، وأن

تنتهج سياسة عدائية للإسلام، وأن تحاول على الأقل إيقاف انتشاره».

أثر النشاط العلماني في المسلمين

قال المستشرق (جب):

«لقد فَقَدَ الإسلامُ سيطرته على حياة المسلمين الاجتماعية، وأخذت دائرة نفوذه تضيق شيئاً فشيئاً حتى انحصرت في طقوس محددة. وقد تَمَّ معظم هذا التطور تدريجياً عن غير وعي وانتباه، وقد مضى هذا التطور الآن إلى مدى بعيد، ولم يعد من الممكن الرجوع فيه، لكن نجاح هذا التطور يتوقف إلى حد بعيد على القادة والزعماء في العالم الإسلامي، وعلى الشباب منهم خاصة. كل ذلك كان نتيجة النشاط التعليمي والثقافي العلماني».

السياسة الاستعمارية والإسلام

قال الأمير شكيب أرسلان:

«... والإسلام في نظر أهل أوروبا أمة واحدة مهما تفككت أجزاءه، وتباعدت أقطاره. وقد شبهه المارشال (اليوتي) معتمد فرنسا في المغرب بـ (صندوق رنان) أي إذا ضربت عليه برأسه رنَّ إلى كعبه، فسياسة الدول المستعمرة هي سياسة من يعلم شدة ارتباط الإسلام بعبه ببعض ومن يأخذ أخذه لمنع هذا الارتباط بقدر الإمكان».

من نكسة المكتبات

جاء في المجلد الثالث من مجلة (المقتطف) ما يأتي:

«ليقل لنا أهل (إسبانيا) أين الثمانون ألف كتاب التي أمرَ كردينالهم (شيمتر) بحرقها في ساحات (غرناطة) بُعيد استظهارهم عليها، فأحرقوها وهم لا يعلمون ما يعملون، حتى أفتوا على ما قال مؤرخهم (ربلس) ألف ألف وخمسة آلاف مجلد كلها خطها أقلام

العرب! وليتهم يخبرونكم من كتاب لعبت به نيرانهم بعد ذلك، حتى لم يُقُوا من معارف العرب ولم يَدْرُوا؟! وما يقولون عن السفن الثلاث التي ظفروا بها مشحونةً بالمجلدات العربية الضخمة، وطالبة ديار سلطان مراکش، فسلبوها، وألقوا كتبها في قصر (الاسكوريال) سنة ١٦٧١ ميلادية الموافقة لسنة ١٠٨٢ حتى لعبت بها النيران، فأكلت ثلاثة أرباعها، ولم يستخلصوا منها إلا الربع الأخير: حينئذ استفاقوا من غفلتهم، وعلموا كبر جهالتهم، ففوضوا إلى (ميخائيل القصيري) الطربلسي الماروني ترتيبها وكتابة أسمائها، فكتب لهم أسماء ١٨٥١ كتاباً...». مكتبة أحمد

أما مكتبة طرابلس الشام، فقد كان فيها من الكتب التي قام بإحراقها الغزو الصليبي ثلاثة ملايين.

هكذا يحذرُ الغربُ

قال (ألبر مشادور):

«من يدري؟! ربما يعود اليوم الذي تصبح فيه بلاد الغرب مهددةً بالمسلمين، يهبطون إليها من السماء لغزو العالم مرةً ثانيةً، وفي الوقت المناسب».

ويتابع:

«لست متنبئاً، لكن الإمارات الدالة على هذه الاحتمالات كثيرة، ولن تقوى الذرة ولا الصواريخ على وقف تيارها.

إنَّ المسلم قد استيقظ، وأخذ يصرخ: ها أنذا، إنني لم أمت، ولن أقبل بعد اليوم أن أكون أداةً تسيّرُها العواصمُ الكبرى ومخابراتها».

إذا اتَّحدَ المسلمون

قال المستشرق والمبشر «لورانس براون»:

«إذا اتحد المسلمون في إمبراطورية عربية، أمكن أن يُصبحوا لعنةً على العالم وخطراً، وأمکن أن يُصبحوا نعمةً له أيضاً.
أما إذا بقوا متفرّقين، فإنهم يظلون حيثنّذ بلا وِزْنٍ ولا تأثير». .
ويكْمَل حديثه فيقول:

«يجب أن يبقى العربُ والمسلمون متفرّقين ليبقوا بلا قوة ولا تأثير».

إذا أعطي المسلمون الحرية

قال المستشرق (و.ك سميث) الأمريكي، والخبير بشؤون الباكستان:

«إذا أعطي المسلمون الحرية في العالم الإسلامي، وعاشوا في ظل أنظمة ديمقراطية، فإن الإسلام ينتصر في هذه البلاد. وبالديكتاتوريات وحدها يمكن الحيلولةُ بين الشعوب الإسلامية ودينها».

وينصح رئيس تحرير (مجلة تايم) في كتابه (سفر آسيا) الحكومة الأمريكية أن تنشئ في البلاد الإسلامية ديكتاتوريات عسكرية للحيلولة دون عودة الإسلام إلى السيطرة على الأمة الإسلامية، وبالتالي الانتصار على الغرب وحضارته واستعمارها.

لكنهم لا ينسون أن يُعطوا هذه الشعوب فترات راحة حتى لا تنفجر.

ماذا فعلت فرنسا بالجزائر

قال الحاكم الفرنسي في الجزائر بمناسبة مرور مائة عام على احتلالها:

«يجب أن نزيل القرآن العربي من وجودهم، ونقتلع اللسان العربي من ألسنتهم، حتى نتصر عليهم».

وقد أثار هذا المعنى حادثةً طريفةً جرت في فرنسا وهي أنها من أجل القضاء على القرآن في نفوس شباب الجزائر، قامت بتجربة عملية قامت بانتقاء عشر فتيات مسلمات جزائريات، أدخلتهن الحكومة الفرنسية في المدارس الفرنسية، وألبستهن الثياب الفرنسية، ولقنتهن الثقافة الفرنسية، وعلمتهن اللغة الفرنسية، فأصبحن كالفرنسيات تماماً. وبعد أحد عشر عاماً من الجهود هيات لهن حفلة تخرُّج رائعة، دُعِيَ إليها الوزراء والمفكرون والصحفيون. ولما ابتدأت الحفلة فوجيء الجميع بالفتيات الجزائريات يدخلن بلباسهن الإسلامي الجزائري؛ فثارت نائرة الصحف الفرنسية وتساءلت: ماذا فعلت فرنسا في الجزائر إذن بعد مرور مائة وثمان وعشرين عاماً؟

أجاب (لاكوست) وزير المستعمرات الفرنسية:
وماذا أصنع إذا كان القرآن أقوى من فرنسا؟

أم الخبايث

قال (هنري دي كاستري):

«إنَّ أحدَ سلاحِ يُستأصلُ به الشرقيون، وأمضى سيف يُقتلُ به المسلمون هو الخمر.

ولقد جرّدنا هذا السلاح على أهل الجزائر، فأبث شريعتهم الإسلامية أن يتجرعوه، فتضاعف نسلهم. ولو أنهم استقبلونا - كما استقبلنا قومٌ من منافقيهم - بالتهليل والترحيب، وشربوها؛ لأصبحوا أذلاء لنا: كتلك القبيلة التي شربت خمراً، وتحملت إذلالنا».

هدم وبناء

قال (زويمر) كما جاء في كتاب (الغارة على العالم الإسلامي):

«إن للتبشير بالنسبة للحضارة الغربية مزيتين: مزية هدم ومزية بناء.

أما الهدم، فنعني به انتزاع المسلم من دينه، ولو بدفعه إلى الإلحاد.

وأما البناء، فنعني به تنصير المسلم إن أمكن؛ ليقف مع الحضارة الغربية ضدّ قومه».

لماذا كنا نحارب في الجزائر

بعد استقلال الجزائر ألقى واحد من كبار المستشرقين محاضرة في مدريد كان عنوانها: (لماذا كنا نحاول البقاء في الجزائر) قال: «إننا لم نكن نسخر النصف مليون جندي من أجل نبذ الجزائر، أو صحاريها، أو زيتونها..»

إننا كنا نعتبر أنفسنا سور أوروبا الذي يقف في وجه زحف إسلامي محتمل يقوم به الجزائريون وإخوانهم من المسلمين عبر المتوسط؛ ليستعيدوا الأندلس التي فقدوها، وليدخلوا معنا في قلب فرنسا بمعركة (بواتيه) جديدة ينتصرون فيها، ويكتسحون أوروبا الواهنة، ويكملون ما كانوا قد عزموا عليه أثناء حكم الأمويين بتحويل المتوسط إلى بحيرة إسلامية خالصة..»

من أجل ذلك كنا نحارب في الجزائر».

الخطر الإسلامي

قال أحد المسؤولين في وزارة الخارجية الفرنسية عام ١٩٥٢: «إنّ الخطر الحقيقي الذي يهددنا تهديداً مباشراً عنيفاً هو الخطر الإسلامي..».

ويتابع:

«فلنعط هذا العالم ما يشاء، ولننقو في نفسه عدم الرغبة في الإنتاج الصناعي والفني. فإذا عجزنا عن تحقيق هذه الخطة، وتحرر

العَملاق من عقدة عجزه الفني والصناعي، أصبح خطر العالم العربي وما وراءه من الطاقات الإسلامية الضخمة خطراً داهماً ينتهي به الغرب، وينتهي معه دوره القيادي في العالم».

هذا القرآن

قال المبشر (تاكلي):

«يجب أن نستخدم القرآن وهو أمضى سلاح في الإسلام ضد الإسلام نفسه؛ حتى نقضي عليه تماماً: يجب أن نبين للمسلمين أن الصحيح في القرآن ليس جديداً، وأن الجديد فيه ليس صحيحاً».

أثر هؤلاء لا يزول

حَمَلَ القائدُ العسكري (غورو) حين أراد احتلال سوريا ولبنان مع بواخره الكثيرة المحملة بالسلاح والعتاد والجنود المقاتلين - حمل باخرةً فيها سلاح جديد فتّاك، لم ينقذ في ذهن أحد استعماله من قبل. ولقد باشر باستعمال هذا السلاح الجديد بعد أن ثبت له أن تأثيره أقوى من كل سلاح.. إنه سلاح الغزو الخُلقي: فقد أعدَّ مع بواخره الكثيرة باخرةً كبيرة مليئة بـ (المزسمات)! وحين بدت علامات الاستفهام على وجوه الجنود والضباط المقاتلين عن سر ذلك، وسأله سائل:

ما فائدة المومسات ونحن على أبواب حرب مصيرية، نحتاج فيها إلى القوة والثبات لا إلى الانحلال...؟

أجاب (غورو):

إنَّ القوة وأثرها قد يزول... أما أثر هؤلاء، فلا يزول...

وصدق (غورو).. فقد خرج الاحتلال العسكري من سوريا ولبنان وغيرهما، ولا تزال عقابيله تفتك بالناس، وتضعف من قوة الأمة، بل تدمرها تدميراً يتضاءل أمامه كل ما قام به التدمير العسكري آنذاك..!

الرعب من الإسلام

قال (هانوتو) وزير خارجية فرنسا:

«رغم انتصارنا على أمة الإسلام وقهرها، فإنَّ الخطر لا يزال موجوداً من انتفاض المقهورين الذين أتعبتهم النكبات التي أنزلناها بهم؛ لأنَّ همّتهم لم تخمد بعد...».

وصرح (سالازار) دكتاتور البرتغال السابق في مؤتمر صحفي قائلاً:

إنَّ الخطر الحقيقي على حضارتنا هو الذي يمكن أن يحدثه المسلمون حين يغيّرون نظام العالم.

ولما سأله أحد الصحفيين: لكنَّ المسلمين مشغولون بخلافاتهم ونزاعاتهم أجابه:

«أخشى أن يخرج منهم مَنْ يوجّه خلافهم إلينا».

الاستعمار الداخلي

عمل الاستعمار في كل بلد تمكن من إخضاعه والسيطرة عليه على نشر الدنيا والأخلاق السافلة.. حتى إذا أذن الله للمغلوبين على أمرهم أن يجمعوا شتاتهم ويؤخّدوا أمرهم.. وما أن يتم لهم ذلك - حسب الظاهر - إلا يُسَقَط في أيديهم؛ إذ يتضح لهم أنَّ تحرّهم لم يكن إلا عسكرياً فقط، وإنَّ جيوش الاحتلال قد خرجت من البلاد، ولكنها تركت حملاً ثقيلاً على الأمة تتجرع غصصه، وتعيش آلامه، متمثلاً في بقاء تلك الشعوب مُسْتَعْمَرَةً روحياً وفكرياً وأخلاقياً. فيوم أرسلت (فرنسا) جيشها بعد فتنة سنة ١٨٦٠ لاحتلال جبل لبنان وتمّ لها ذلك، فتحت خمسين حانةً من حانات الخمر، وعدداً كبيراً من بيوت الفحش والفساد.. ثم ذهب الاستعمار الفرنسي، وبقي غرسه الخبيث، بل نما وازداد زيادةً مذهلة، وآتى ثمراته الخبيثة.. وبقيت



سينات غرسه إلى يوم الناس هذا: تفتك بالأمة، وبقي أهالي البلاد
أسرى لتلك الأهواء والشهوات الدنيئة: مُسْتَعْمَرِينَ من الداخل!

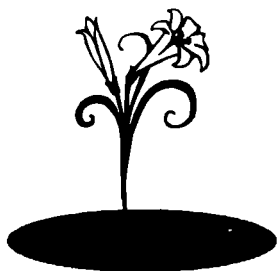
اتفاقهم على تمزيق المسلمين

في سنة ١٩٠٧ عُقِدَ مؤتمر أوروبي كبير، ضمَّ أضخم نخبة من
المفكرين والسياسيين برئاسة وزير خارجية بريطانيا الذي قال في خطاب
الافتتاح:

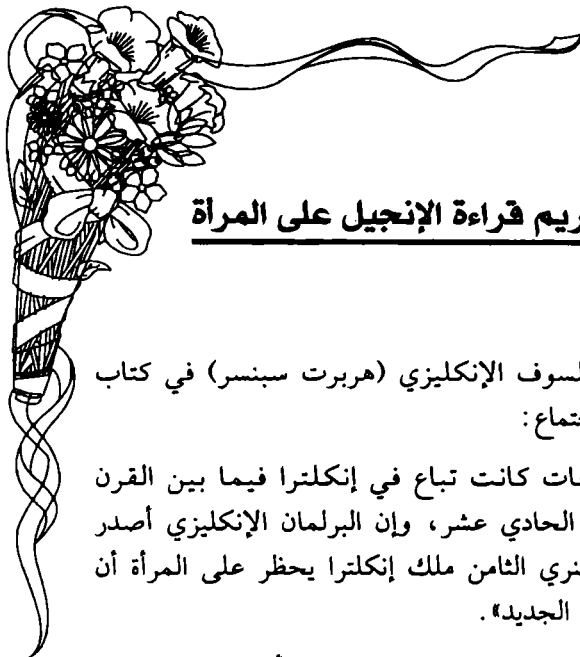
«إنَّ الحضارة الأوروبية مهددة بالانحلال والفناء، والواجب يقضي
علينا أن نبحث في هذا المؤتمر عن وسيلة فعّالة تحول دون انهيار تلك
الحضارة».

وبعد أشهر من الدرس والنقاش، توصَّلَ المؤتمر إلى خطة
تقضي بالعمل المشترك على منع أيّ اتحاد أو اتفاق بين دول الشرق
الأوسط؛ لأنها تُشكِّلُ الخطر الوحيد على مستقبل أوروبا.

الباقية الثالثة عشرة
حضارة الغرب الزائفة







تحريم قراءة الإنجيل على المرأة

يقول الفيلسوف الإنكليزي (هربرت سبنسر) في كتاب علم وصف الاجتماع:

«إن الزوجات كانت تباع في إنكلترا فيما بين القرن الخامس والقرن الحادي عشر، وإن البرلمان الإنكليزي أصدر قراراً في عهد هنري الثامن ملك إنكلترا يحظر على المرأة أن تقرأ كتاب العهد الجديد».

ويعلّق عالم فاضل على هذا فيقول: فأين هذا من وضع الصحابة المصحف الأول الذي كتب في خلافة أبي بكر عند امرأة وهي حفصة أم المؤمنين؟!!

المرأة الغربية

أصبحت المرأة الغربية تتخذ وسيلةً للكسب المادي، فهناك ٢٠٠ شركة جنسية تتخذ من المرأة بضاعتها بصور مختلفة في الولايات المتحدة الأمريكية، والرئيس الأميركي السابق (نيكسون) يعلن أن أرباح التجارة بالمرأة قد عادت على أصحابها بأكثر من ملياري دولار في عام ١٩٧٢!!

أمّ الخبائث

نشرت جريدة الثورة البغدادية في عددها ٣٠٢٥ الصادرة في

١٩٧٨/٦/٥ إحصائية الصحة العالمية فذكرت أن في العالم مائتي مليون من الأشخاص فيهم نقصانٌ عقلي بتأثير الخمرة الوراثي. وأضافت الإحصائية أن هناك ثمانين مليوناً ونصف المليون من البشر قد أصيب بالجنون نتيجة تعاطي الأدوية المخدرة والمسكرات بصورة مباشرة. وأشارت إلى أنه يوجد في العالم حالياً خمسون مليوناً من البشر يعتبرون مجانين. وغالبيتهم من الرجال. وحذرت المنظمة من زيادة عدد المجانين في العالم بسبب الإدمان على المخدرات وتناول الخمر!!

من عجائب الرهبان

كان الرهبان يعدون طهارة الجسم منافيةً لنقاء الروح ويتأثمون عن غسل الأعضاء، وأنقى الناس عندهم أبعدهم عن الطهارة.. يقول الراهب اتهينس: إن الراهب أنتوني لم يقترب إثم غسل الرجلين طول عمره. وكان الراهب أبراهام لم يمس وجهه ولا رجله الماء خمسين سنة، وقد قال الراهب الإسكندري بعد زمن متلهفاً: وأسفاه! لقد كنا في زمن نعد غسل الوجه حراماً فإذا بنا الآن ندخل الحمامات.

عمل المرأة أورث الغرب مشكلات

«لقد انحلت الأسرة باستخدام المرأة في الأعمال العامة، وتبين أن كثرة الجرائم في أمريكا وسبب الأزمات العائلية فيها هو أن الزوجة تركت بيتها لتضاعف دخل الأسرة، فزاد الدخل، ولكن انخفض مستوى الخلق. كما أن انطلاق المرأة نحو العمل أوزت الحضارة الغربية مشكلاتٍ مخيفةً، وأفقدت المرأة نفسها الكثير مما اختصت به فقد أنهكتها المهنة وتدير المنزل والأطفال، وأصبحت مخلوقاً جديداً لا هو رجل ولا هو امرأة».

الخمير الزنا وتعدد الزوجات

دلت الإحصاءات على أن (نصف إلى ثلاثة أرباع) الجرائم في سويسرا تكون نتيجة الإدمان الكحولي، وأن أميركا تنفق عشرة آلاف مليون دولار سنوياً على المسكرات!!
قال الدكتور عوستاف لوبون :

«وقد ثبت أن الخيانة الزوجية في الأمم القائلة بالاعتصار على زوجة واحدة تزيد باطراد. فقد دلت الإحصاءات الرسمية التي نشرت أن عدد قضايا الزنا في فرنسا سنة ١٨٨٠ أصبح تسعة أمثال ما كان عليه سنة ١٨٢٦».

نسيت حياتي كامرأة

قالت الممثلة الأمريكية (بربارة ستريناند) في آخر مقالة صحفية لها:

«لقد بدأت أتأكد من أن أشياء كثيرة تنقصني: اهتمت أكثر مما يجب بحياتي الفنية، ونسيت حياتي كامرأة، وكإنسانة، مما جعلني اليوم أحسد النساء اللواتي عندهن الوقت الكافي للاعتناء بأزواجهن وأطفالهن - والحقيقة أن النجاح والشهرة لا معنى لهما في غياب الحياة العائلية العادية، حيث تشعر المرأة أنها امرأة».

ولا تقربوا الزنا

يقول الدكتور (جون بيستون):

«إنَّ القرائن التي جُمعت من عدة دراسات تقول: إنَّ الأمراض الجنسية معظمها تنتج من العلاقات الجنسية خارج نطاق الزواج».

ويقول الدكتور (كلود سكوت نيكول):

«إنَّ المشكلة التي تواجهنا اليوم هي تبدُّل قيمنا الأخلاقية التي شجعت وتشجع إقامة العلاقات الجنسية المحرمة. وهذه بدورها سبَّبت ازدياداً حاداً في إصابات الأمراض الناتجة عن الإباحية الجنسية».

أوضاع المرأة في الغرب

يظن قسم من الناس أنَّ المرأة في الغرب تعيش في نعمة تحسد عليها. لكننا حين نُلقي نظرةً فاحصةً على بعض الحوادث فإنها تكفي لتغيير هذه النظرة غير الصحيحة:

ففي مدينة نيويورك تقول نشرة صدرت قبل سنوات: إنَّ أكثر من ٣٥ في المائة من النساء الأمريكيات يتعرضن للضرب المبرِّح من قبل أزواجهن، وأن نسبةً كبيرة من هؤلاء النسوة يُصَبَّن بإصابات بالغة. ومديرُ شرطة (نيويورك) يقول في حديث له عن هذه النقطة بالذات:

إنَّ أكثر من ٢٠٠ امرأة تُنقلُ شهرياً إلى المستشفى نتيجة إصابات كبيرة، وتهشيم ضلوع، أو كسر في العظام من قبل الزوج.

وفي (إنكلترا) صدر قانون جديد يحظر ضرب الزوجة ويضعه تحت طائلة العقاب. . ومع ذلك فتقول صحيفة (التايمز) اللندنية:

إنَّ عدد النساء اللواتي يتلقين إصابات شديدةً وبالغة بسبب ضرب الأزواج هو في ازدياد مستمر يوماً بعد يوم، والقانون الإنكليزي الذي يحظر ضرب الزوجة يتيح لها أن تطلب الطلاق إذا شعرت أن زوجها يمكن أن يضرها، وقدمت البرهان على صحة دعاها.

هذه هي أوضاع المرأة في الغرب التي يظن قسم من الناس أنها تعيش حياة رخاء وحرية أفضل من حياة نساتنا في الشرق الإسلامي.

العمل في السينما يجعل المرأة سلعة رخيصة

اكتشف المحقق الذي يدرس قضية انتحار (مارلين مونرو) رسالة محفوظة في صندوق الأمانات في مانهاتن بنك في نيويورك.

أقلت هذه الرسالة بعض الأضواء على انتحار (مارلين مونرو)؛ إذ وجد على غلافها كلمة تطلب عدم فتح هذه الرسالة قبل وفاتها.

فتح المحقق الرسالة، وجدها مكتوبةً بخط (مارلين مونرو) بالذات، وهي موجهة إلى فتاة تطلب نصيحة مارلين عن الطريق إلى التمثيل...

قالت مارلين في رسالتها إلى الفتاة، وإلى كل مَنْ ترغب بالعمل في السينما:

احذري المجد.. احذري كلَّ من يخدعك بالأضواء... إنني أتعس امرأة على هذه الأرض.. (لم أستطع أن أكون أمًا...). إنني امرأة أفضل البيت.. الحياة العائلية الشريفة على كل شيء... إنَّ سعادة المرأة الحقيقية في الحياة العائلية الشريفة الطاهرة، بل إن هذه الحياة العائلية لها رمز سعادة المرأة، بل الإنسانية.

وتقول في النهاية:

«لقد ظلمني كل الناس.. وإنَّ العمل في السينما يجعل من المرأة سلعةً رخيصةً تافهةً، مهما نالت من المجد والشهرة الزائفة».

بيع الزوجات في أوروبا

قال الأستاذ العلامة محمد رشيد رضا في كتابه (نداء للجنس اللطيف) ما يأتي:

يقول الفيلسوف (هربرت سبنسر) الإنجليزي في كتابه
(وصف علم الاجتماع) :

إنّ الزوجات كانت تباع في إنجلترا فيما بين القرن الخامس
والقرن الحادي عشر، وإنه حدث أخيراً في القرن الحادي عشر أنّ
المحاكم الكنسية سنّت قانوناً على أنّ للزوج أن ينقل أو (يعير) زوجته
إلى رجل آخر لمدة محدودة، حسبما يشاء الرجل المنقولة إليه المرأة.

وشرٌّ من ذلك ما كان للشريف النبيل (حاكماً روحانياً كان أو
زمنياً) من الحق في الاستمتاع بامرأة الفلاح إلى مدة أربع وعشرين
ساعة من بعد عقد زواجها عليه (أي على الفلاح).

الذي هزم فرنسا

قال المارشال (بيتان) رئيس جمهورية فرنسا بعد أن تَحَطَّمَ خط
ماجينو :

«إنّ الذي هزم فرنسا أنها تَسَلَّحَتْ بالحديد والنار، ولم تتسلح
بالأخلاق الفاضلة».

وقال - أيضاً - في خطابه في ٢٥/٦/١٩٤٠ :

«لقد جاءت الهزيمة من الانحلال: فدمرت روح الشهوات ما
شيدته روحُ التضحية، وإنني أدعوكم أوّل كل شيء إلى نهوض
أخلاقي».

وقال الكاتب الفرنسي (أندريا مورو) في كتابه (أسباب انهيار
فرنسا في الحرب العالمية الثانية) :

«من أهم أسباب انهيار فرنسا هو تفسخ الشعب الفرنسي نتيجة
لاتنثار الرذيلة بين أفرادها».

وقال المارشال (مونتغمري واط) قائد الجيش الثامن في شمال
إفريقيا في خطابه الذي ألقاه في ٤/٣/١٩٥١ :



«إن قصة الجيش الثامن تنطوي على مغازٍ روحية عظيمة إلى جانب مغزاها العسكري: فقد دلت على أن أهم عوامل الانتصار في الحروب هو العامل الأخلاقي... ويقيني أن الجيش إذا سار بدون مرضاة الله فقد سار إلى غير هدى».

وقال - أيضاً - مواصلاً حديثه:

«وعلى كل جيش أن يشنَّ حرباً داخلية لتنظيم صفوفه قبل أن يفكرَ في شنِّ حرب خارجية ضدَّ أعدائه؛ لأنَّ خطر الانحلال الخلقي في أفراد الجيش أعظم من خطر العدو؛ لذلك لا نستطيع أن نتصر في أي معركة إلا إذا انتصرنا على أنفسنا قبل كل شيء».

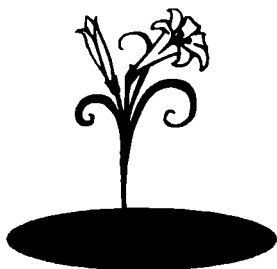
يبيع زوجته

ظل القانون الإنكليزي حتى عام ١٨٠٥ يبيح للرجل أن يبيع زوجته، وقد حُدِّدَ ثمنُ الزوجة بستة بنسات (أي نصف شلن). فقد حدث أن باع رجل إنكليزي زوجته عام ١٩٣١ بخمسمائة جنيه، وقال محاميه في الدفاع عنه: إنَّ القانون الإنكليزي قبل مائة عام كان يبيح للزوج أن يبيع زوجته، وكان القانون الإنكليزي عام ١٨٠١ يحدد ثمن الزوجة بستة بنسات؛ بشرط أن يتم البيع بموافقة الزوجة؛ فأجابت المحكمة بأنَّ هذا القانون قد ألغي عام ١٨٠٥ بقانون يمنع بيع الزوجات أو التنازل عنهن، وبعد المداولة حكمت المحكمة على بائع زوجته بالسجن عشرة أشهر.

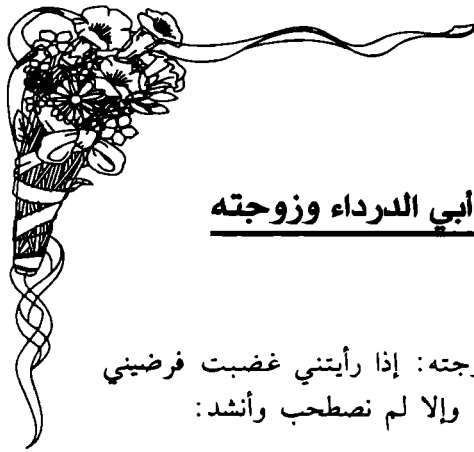




الباقية الرابعة عشرة
من عيون الشعر وروائعه







بين أبي الدرداء وزوجته

قال أبو الدرداء لزوجته: إذا رأيتني غضبت فرضيني
وإذا رأيتك غضبي رضيتك وإلا لم نصطحب وأنشد:

خذي العفو مني تستديمي مودتي ولا تنطقي في سورتني حين أغضب
ولا تنقريني نقرك الدف مرة فإنك لا تدرين أين المغيب
ولا تكثري الشكوى فتذهب بالقوى ويأباك قلبي والقلوب تقلب
فإني رأيت الحب في القلب والأذى إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

السعي

ولم أجد الإنسان إلا ابن سعيه فمن كان أسعى كان بالمجد أجدرا
وبالهمة العلياء ترمي إلى العلى فمن كان أعلى همة كان أظهرها
ولم يتأخر من أراد تقدماً ولم يتقدم من أراد تأخراً

وجه الكريم خصيب

أضحك ضيفي قبل إنزال رحله ويخصب عندي والمحل جديب
وما الخصب للأضياف أن يكثر القرى ولكنما وجه الكريم خصيب

العافية

بقدر الصعود يكون الهبوط فأياك والرتب العاليه
وكن في مكان إذا ما سقطت تقوم ورجلاك في عافيه

البقاء لله

بان لي في المرأة شيخ كبير
قلت : كم عشت؟ قال : تسعين عاماً
أكلت تركتها فضلات
وثياباً لبستها فاخرات
كل من في الحياة لا شك يفنى
عاش حتى تعرّف الأحوال
قلت ماذا لقيت فيها؟ فقالا
وشروباً أرقّتها أبوالاً
جدداً وانتزعها أسمالاً
غير وجه الكريم يبقى تعالى

همة عالية ونفس أبية

قال الإمام الشافعي - رضي الله عنه :-

أمطري لؤلؤاً سماء سرندي
أنا إن عشت لست أعدم قوتاً
همتي همة الملوك ونفسي
وإذا ما قنعت بالقوت عمري
ب وأخرجي آبار تكرور تبرا
ولئن مت لست أعدم قبراً
نفس حر ترى المذلة كفرا
فلماذا أزور زيداً وعمراً؟

عجب

قال كعب بن زهير بن أبي سلمى:

لو كنت أعجبُ من شيء لأعجبني
يسعى الفتى لأمرٍ ليس يدركها
والمرء ما عاش ممدود له أمل
سعي الفتى وهو مخبوء له القدرُ
فالنفس واحدةٌ والهَمُّ منتشر
لا تنتهي العين حتى ينتهي الأثر

وصف خيال الظل أو طيف الخيال

رأيت خيال الظل أعظم عبرة
شخصاً وأصواتاً يخالف بعضها
تجيء وتمضي بابةً بعد بابةٍ
لمن كان في علم الحقائق راق
بعضاً وأشكالاً بغير وفاق
وتفنى جميعاً والمحرك باق

التعبد

ليس التعبد أن تبيت على الطوى
لكنه إنقاذ نفس معذب
ليس التعبد عزلة وتنسكاً
لكنه ضبط الهوى في عالم
وحيائل الشيطان في جنباته
هذا هو الرأي الصواب وغيره
وتروح في خرق من الأثواب
من ربقة الآلام والأوصاب
في السهل أو في القفر أو في الغاب
فيه الغواية جمّة الأسباب
والمال فيه أعظم الأرياب
مهما حلا للناس غير صواب

إن البياض قليل الحمل للدنس

يا واعظ الناس عما أنت فاعله
احفظ لنفسك من عيب تدنسه
كحامل لثياب الناس يغسلها
يا من يعد عليه العمر بالنفس
إن البياض قليل الحمل للدنس
وثوبه غارق في الرجس والنجس

لولا ثلاث أحبها

قال أبو حيان الغرناطي:

أما إنه لولا ثلاث أحبها
فمنها رجائي أن أفوز بتوبة
ومنهن صون النفس عن كل جاهل
ومنهن أخذي بالحديث إذا الورى
أثرك نصاً للرسول وتقتدي
تمئيتُ أني لا أعدُ من الأحياء
تكفّر لي ذنباً وتُنجح لي سعياء
لثيم فلا أمشي إلى بابهِ مشياً
نَسُوا سنة المختار وأتبعُوا الرأيا
بشخص؟ لقد بدّلت بالرشد الغيا

أخلاق إسلامية

قال محمد العبدلي الموصلي:

ما ودّني أحدٌ إلا بدّلتُ له
ولا قلاني وإن كنتُ المحبُّ له
صافي المودة حتى آخر الأبد
إلا دعوتُ له الرحمن بالرشد

ولا ائْتُمِنْتُ على سرِّ فبَحْتُ به ولا مددْتُ إلى غير الجميل يدي
ولا أقولُ نعمَ يوماً فاتبِعْها مثلاً ولو ذهبتَ بالمال والولد

قرطبة

أقرطبةُ الغراء هل لي أوبةٌ إليك وهل يدنو لنا ذلك العهدُ
سقى الجانبَ الغربي منك غمامةٌ وقعقع في ساحات دوحاتك الرعدُ
لياليك أسحار وأرضك روضةٌ وتربك في استنشاقها عنبر وزدُ

فلسطين

قال علي الجارم في قصيدة له عن فلسطين:

عشنا أعزاء ملء الأرض ما لمست جباهنا تربها إلا مصلينا
لا ينزل النصر إلا فوق رايتنا ولا تَمَسُّ الظبا إلا نواصينا
فقبَلُوا أرض حطين؛ فإن بها دم البطولة من أيام حطينا

القديم والجديد

قال أمير الشعراء أحمد شوقي في قصيدته في الأزهر:

لا تحذُ حذو عصابة مفتونةٍ يجدون كل قديم أمراً مُنكراً
ولو استطاعوا في المجامع أنكروا من مات من آبائهم أو عمراً
من كل ساع في القديم وهدمه وإذا تقدّم للبناية قصراً

معركة طريفة

قال ابن عبد ربّه متخيلاً أن بين الروض والجو والمطر المبرق
معركةٌ نبالها قطرات الماء المنهمر:

بين الرياض وبين الجو معترك بيض من البرق أو سمر من السُمُر
إن أوترت قوسها كف السماء رمث نبلاً من المزن في صاف من الغدر
فاعجب لحرب سجالٍ لم تثر ضرراً نفع المحارب منها غاية الظفر



فتح الشقائق جرحاها ومغنمها وشيُ الربيع وقتلاها من الثمر
لأجل هذا إذا هبَّت طلائعها تذرَع النهر واهتزت فنا الشجر

الأيام دُول

قال الأبيوردي:

ملكنا أقاليم البلاد فأذعنت لنا رغبةً أو رهبةً عظماؤها
فلما انتهت أيامنا علقت بنا شدائد أيام قليل رضاؤها
وكان إلينا في السرور ابتسامها فصار علينا في الهموم بكاؤها
وصرنا نلاقي النائبات بأوجه رفاق الحواشي كاد يقطُرُ ماؤها
إذا ما هممنا أن نبوح بما جنت علينا الليالي لم يدعنا حياؤها

الكريم واللئيم

مما كان يتمثل به الإمام أحمد بن حنبل:

إن الكريم إذا تمكَّنَ من أذى جاءته أخلاقُ الكرام فأقلعا
وترى اللئيم إذا تمكَّنَ من أذى يطغى فلا يُبقي لصلح موضعا

الصديق

إذا ما المرء لم يحفظ ثلاثاً فبِغْه ولو بكفَّ من رماد
وفاء للصديق وبذل مال وكتمان السرائر في الفؤاد

ورثنا المجد

ورثنا المجد عن آباء صدق أسأنا في جوارهم الصنيعا
إذا المجد الرفيعُ تورثته بناة السوء أو شك أن يضيعا

لا تياس

إذا اشتملت على اليأس القلوبُ وضاق بأمرها الصدرُ الرحيب

ولم يُرَ لانكشاف الضّر وجهه
 أتاك على قنوطٍ منك غوث
 وكُلُّ الحادّثات إذا تناهت
 ولا أغنى بحيلته الأريبُ
 يَمُنُّ به اللطيف المستجيبُ
 فموصولٌ بها الفرَجُ القريبُ

نصيحة

وصَمْتُكَ خَيْرٌ من إثارة فتنةٍ
 ولا تكُ في ذمِّ الأخلاء مُفراطاً
 فإنك لا تدري متى أنت مُبغضٌ
 فكن صامتاً تسلّم وإن قُلْتَ فاعدِلْ
 وإن أنت أبغضت الصديق فأجمل
 حبيبك أو تهوى ببغضك فاعقل

تهنئة وتعزية

لما جدد المهديُّ البيعة لنفسه بعد وفاة المنصور كان أول من
 هنّأه بالخلافة وعزاه أبو دُلّامة فقال:

عيناى واحدة ترى مسرورةً
 تبكي وتضحك تارةً ويسوؤها
 فيسوؤها موتُ الخليفة مُخرماً
 ما إن رأيتُ ولا أرى
 هلك الخليفةُ يا لامة أحمد
 أهدي لهذا الله فضل خلافةٍ
 بأمرها جذلى وأخرى تذرف
 ما أنكرت ويسُرُّها ما تعرف
 ويسُرُّها أن قام هذا الأرافُ
 شعراً أرجلُهُ وآخر ينتف
 وأتاكم من بعده من يخلف
 ولذلك جناتُ النعيم تُزخرفُ

شجاعة المسلم

وإن لم تمت تحت السيوف مكرماً
 فشب واثقاً بالله وثبة ماجدٍ
 تَمُتْ وتقاسي الذُلَّ غير مُكْرَمٍ
 يرى الموت في الهيجا جنى النحل في الفم

أخلاق عالية

من لي بإنسانٍ إذا أغضبتُهُ
 وإذا طَرِبْتُ إلى المدام شربت من
 وجهلتُ كان الحلْمُ ردَّ جوابه
 أخلاقه وسكرت من آدابه

وتراه يُضغني للحديث بقلبه وبسمعه ولعلُّه أدرى به

سهام المنايا لا تخطيء

قال أبو العتاهية يعظ هرون الرشيد:

لا تأمن الموت في طَرْفٍ ولا نفسٍ ولو تسترَّتْ بالأبواب والحرس
واعلم بأن سهام الموت قاصدة لكل مدَّرع منها ومُتَّرس
ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها إن السفينة لا تجري على اليبس

النصيحة

تَعَمَّدني النصيحة في انفرادي وجنبنني النصيحة في الجماعه
فإن النصيح بين الناس نوع من التوبيخ لا أرضى استماعه
وإن خالفتني وعصيت أمري فلا تجزع إذا لم تعط طاعه

من مقصورة ابن دريد

من لم يعظه الدهرُ لم ينفعه ما راح به الواعظُ يوماً أو غدا
من لم تُفِذهُ عبراً أيامه كان العمى أولى به من الهدى
والناسُ ألفٌ منهم كواحدٍ وواحدٌ كالألف إن أمرٌ عنى
وإنما المرءُ حديثٌ بعده فكن حديثاً حسناً لمن وعى

تغرب عن الأوطان

مما ينسب إلى الإمام علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه -:

تغَرَّبَ عن الأوطان في طلب العلا وسافر، ففي الأسفار خمسُ فوائد
تفرُّجُ همِّ واكتسابُ معيشةٍ وعلمٌ وآدابٌ وصحبةٌ ماجد
فإن قيل في الأسفار همٌّ وكُزْبَةٌ وتشتيتُ شملٍ وارتكابُ الشدائد
فموتُ الفتى خيرٌ له من حياته بدار هوانٍ بينِ واثٍ وحاسد

وشيعة الزمن الهازل

إذا ضاع في أمةٍ دينُها وساد بها الفاجرُ الجاهل
فقد ضاع في الأرض سلطانُها ومات بها الحاكم العادل
وناحت على مجدها النوائح وشيعةُ الزمنِ الهازل

عجب

قال الحسين بن جبير الرحالة:

عجبتُ للمرء من دنياه تُطمِعُهُ في العيش والأجل المحتوم يقطعه
يَغْتَرُّ بالدهر مسروراً بصحبته وقد تيقن أن الدهر يصرعه
ويجمعُ المال حرصاً لا يفارقه وقد درى أنه للغير يجمعه
تراه يُشْفِقُ من تضييع درهماه وليس يُشْفِقُ من دينٍ يضيّعه
وأسوأ الناس تدبيراً لعاقبه من أنفقَ العمر فيما ليس ينفعه

الحق والقوة

تبينت أن الحق إن لم تُتَخ له بوسائلٍ يُخشى ظلمها فهو باطل
لعمرُك لو أغنى عن الحق أنه هو الحق ما قام الرسول يقاتل
أقمه واسنده ودعّم ببناءه وذُذ عنه ذود الليث والليث صائل
ولا تسندنُ الحق بالقول وحده فإن عماد الحق ما أنت فاعل

فقد طابت منادمة المنايا

قال القاضي عبد الوهاب بن علي المالكي:

متى يصلُ العطاش إلى ارتواءٍ إذا استقت البحارُ من الركايا
ومن يُشني الأصاغر عن مرادٍ إذا جلس الأكابرُ في الزوايا
وإن تَرَفَّعَ الوضعاء يوماً على الرفعاء من إحدى الرزايا
إذا استوت الأسافل والأعالي فقد طابت منادمة المنايا

لقد طال وجدي بعدها وحنيني

كان عند أبي الحسن القالي نسخة من كتاب الجماهرة لابن دريد وكانت جيدة للغاية فدعته الحاجة إلى بيعها فاشتراها الشريف المرتضى بستين ديناراً وتصفّحها فوجد فيها أبياتاً بخط بائعها أبي الحسن القالي المذكور وهي:

أُنِسْتُ بِهَا عَشْرِينَ حَوْلًا وَبِعْتُهَا
وَمَا كَانَ ظَنِّي أَنِّي سَابِعُهَا
وَلَكِنْ لضعْفٍ وَافتقَارٍ وَصَبِيَّةٍ
فَقُلْتُ وَلَمْ أملكِ سَوَابِقَ عِبْرَتِي
وَقَدْ تُخْرِجُ الْحَاجَاتِ يَا أُمَّ مَالِكٍ
فَارْجِعِ النِّسْخَةَ إِلَيْهِ وَتَرَكَ لَهُ الدَّنَانِيرَ .

لقد طال وجدي بعدها وحنيني
ولو خلدتني في السجون ديوني
صغارٍ عليهم تستهل شؤوني
مقالة مكويّ الفؤاد حزين
كرائم من ربّ بهن ضنين

أنجز وعدك

إِذَا قُلْتَ فِي شَيْءٍ (نَعَمْ) فَاتَمِّمْهُ
وَإِلَّا فَقُلْ (لَا) تَسْتَرْخِ وَتُتْرَخْ بِهَا
فَإِنْ (نَعَمْ) دِينَ عَلَى الْحَرِّ وَاجِبٌ
لِّسَلَا يَقُولُ النَّاسُ أَنَّكَ كَاذِبٌ

الأم وولدها

أَغْرَى امْرُؤٌ يَوْمًا غَلَامًا جَاهِلًا
قَالَ اثْنِي بِفؤَادِ أُمَّكَ يَا فَتَى
فَمَضَى وَأَعْمَدَ خَنْجَرًا فِي صَدْرِهَا
لَكِنَّهُ مِنْ قَرْظٍ سُرْعَتُهُ هَوَى
نَادَاهُ قَلْبُ الْأُمِّ وَهُوَ مَعْفَرٌ
بِنَقْوَدِهِ حَتَّى يَنَالَ بِهِ السُّوْطَرِ
وَلِكِ الدَّرَاهِمُ وَالْجَوَاهِرُ وَالذُّرُزُ
وَالْقَلْبُ أَخْرَجَهُ وَعَادَ عَلَى الْأَثَرِ
فَتَدَخَّرَجَ الْقَلْبُ الْمَضْرُجَ إِذْ عَثَرَ
وَلَدِي حَبِيبِي هَلْ أَصَابَكَ مِنْ ضَرَرٍ؟

النبات الطيب

إِنَّ الْعُرُوقَ إِذَا اسْتَسْرَّتْ فِي الشَّرَى
أَنْدَى النَّبَاتِ بِهَا وَطَابَ الْمَزْرَعُ

وإذا جهلت من امرىء أعرافه وقديمه فانظر إلى ما يصنع

من لامية الصفدي

وإن بليت بشخص لا خلاق له فكن كأثك لم تسمع ولم يقل
ولا تمادِ سفيهاً في محاوره ولا حليماً لكي تنجو من الزلل
ولا يغرك من يبدي بشاشته منه إليك؛ فإن السم في العسل
وإن أردت نجاحاً كل آونة فاكتم أمورك عن حاف ومنتعل

بين الحلم والجهل

إذا كنت بين الحلم والجهل مائلاً وخيرت أنى شئت فالحلم أفضل
ولكن إذا أنصفت من ليس منصفاً ولم يرض منك الحلم فالجهل أفضل

العزة

ألا لا أرانا الله عوداً لدولة نكون لها أسرى وأموانا نهبا
ألسنا الألى عافوا الحياة بظلمها وجابوا بلاد الله واستوطنوا الغربا

سخاء وكرم

قال العتيبي: كان عمي ينفق ماله كأنه ينفق مال أعدائه، فكلمته
زوجته في ذلك فقال:

هبت تلوم وتلحاني على خلقي عودته عادة، والخير تعويد
قلت: اتركيني أبع مالي بمحمدة يبقى الشئاء بها ما أوزق العود
إنا إذا ما أتينا أمر مكرمة قالت لنا أنفس عتبية: عودوا

نظرة في المرأة

قال ابن زهر الأندلسي:

إني نظرت إلى المرأة إذ جليت فأنكرت مقلتاى كل ما رأنا

رأيتُ فيها شبيخاً لستُ أعرفُهُ
فقلتُ: أين الذي بالأمس كان هنا
فاستضحكتُ ثم قالت وهي مُعجبةٌ
كانت سُلَيْمى تنادي: يا أُخِي وقد
وكنْتُ أعهدهُ من قبل ذلك فتى
متى ترحلُ عن هذا المكان متى؟!
إن الذي أنكرته مقلتناك أتى
صارت سُلَيْمى تنادي اليوم: يا أبتا

صرف الدهر نعم المؤدب

قال الشريف الرضي:

وللحلم أوقاتٌ وللجهل مثلها
يصول علي الجاهلون وأعتلي
يرون احتمالي غصّة ويزيدهم
ولا أعرف الفحشاء إلا بوصفها
غرائبُ آداب حبانِي بحفظها
ولكن أوقاتي إلى الحلم أقربُ
ويعجم في القائلون وأعربُ
لواعج ضغن أنني لست أغضب
ولا أنطق العوراء والقلب مغضب
زمانِي وصرْفُ الدهر نعم المؤدّبُ

السفر

قال الإمام الشافعي - رضي الله عنه -:

ما في المُقام لذي عقل وذِي أدب
سافر تجد عَوْضاً عمن تفارقُهُ
إنني رأيت وقوفَ الماء يُفسدُهُ
والأسدُ لولا فراق الغاب ما افترت
والتيبُرُ كالثُرْبِ ملقَى في أماكنه
فإن تغرّب هذا عزُّ مطلبه
من راحة فدع الأوطان واغترب
وانصب، فإن لذيق العيش في النصب
إن سال طاب وإن لم يجبر لم يطب
والسهمُ لولا فراق القوس لم يُصبِ
والعودُ في أرضه نوعٌ من الحطب
وإن تغرّب ذلك اعتز كالذهب

ذكريات

قال إدريس بن عبد الكريم المقرئ لما بلغ التسعين من عمره:
أرى بصري في كل يوم وليلة
يكلُّ، وخطوي عن مداهن يقصر

ومن يصحب الأيام تسعين حجةً يُعَيِّرُنُهُ والدهر لا يتغير
لعمرى لئن أمسيت أمشي مقيداً فكم كنتُ أمشي مطلق القيد أكثر

الخضوع هو الفقر

قال علي بن عبد العزيز الجرجاني:

على مهجتي تجني الحوادثُ والدهرُ
كأنِّي أُلَاقِي كُلَّ يَوْمٍ يَنْوِينِي
فإن لم يكن عند الزمان سوى الذي
وقالوا: توصل بالخضوع إلى الغنى
وبيني وبين المال بابان حرماً
إذا قيل: هذا اليسر عاينتُ دونه
إذا قُدموا بالخير قُدمت دونهم

فأما اصطباري فهو ممتنع وعر
بذنب، وما ذنبي سوى أنني حر
أضيقُ به ذرعاً، فعندي له الصبر
وما علموا أن الخضوع هو الفقر
عليّ الغنى: نفسي الأبية والدهرُ
مواقف خيرٌ من وقوفي بها العمر
بنفس فقير، كل أخلاقه وفر

نفس عالية

قال علي بن عبد العزيز الجرجاني:

يقولون لي: فيك انقباض وإنما
أرى الناس من داناها هان عندهم
وما زلتُ منحازاً بعرضي جانباً
إذا قيل: هذا منهلٌ قلتُ قد أرى
وما كل برقٍ لاح لي يستفزني
ولم أقض حقَّ العلم إن كان كلما
ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي
أشقى به غرساً وأجنيه ذلةً
ولو أن أهل العلم صانوه صانهم
ولكن أهانوه فهانوا ودنسوا

رأوا رجلاً عن موقف الذل أحجماً
ومن أكرمه عزة النفس أكرماً
من الذم أعتد الصيانة مغنماً
ولكن نفس الحر تحتل الظماً
ولا كل أهل الأرض أرضاه مغنماً
بدا مطمع صيرته لي سلماً
لأخدم من لاقيتُ، لكن لأخدماً
إذن فاتباع الجهل قد كان أخزماً
ولو عظموه في النفوس لعظماً
محيّاه بالأطماع حتى تجهماً

من زهد أبي العتاهية

إلهي لا تُعَذِّبني فإني
وما لي حيلة إلا رجائي
وكم من زلة لي في الخطايا
إذا فكَّرتُ في ندمي عليها
أجنُّ بزهرة الدنيا جنوناً
ولو أني صدقتُ الزهد فيها
يظنُّ الناسُ بي خيراً وإني
مُقرُّ بالذي قد كان مني
لعفوك إن فعلتُ وحسن ظني
وأنت عليّ ذو فضلٍ ومنُّ
عَضَضْتُ أناملِي وقرعتُ سني
وأقطع طول عمري بالتمني
قلبتُ لأهلها ظهر المِجَنِّ
لشرِّ الناس إن لم تعفُ عني

القول والعمل

أراك امرءاً ترجو من الله عفوه
تدلُّ على التقوى وأنت مقصُرُ
وإن امرءاً لم يلهه اليوم عن غدٍ
وإن امرءاً لم يجعل البر كنزه

وأنت على ما لا يُحبُّ مقيم
أيا مَنْ يداوي الناس وهو سقيم
تخوف ما يأتي به لحكيم
وإن كانت الدنيا له لعديم

في أرض النبوة

للشاعر: محمود غنيم

صوتٌ من العالم العُلويّ ناداني
ما أعذب الصوت ما أشجأه من نغم
وكيف تسمعه أذنٌ ويحمله
لَبَيْتُهُ بفؤادٍ مِلؤُهُ وجَلُّ
كيف الوقوفُ على باب الرسول وفي

لُبَيْك لبّيك لا آل ولا واني
سمعتُهُ بفؤادي لا بأذاني
موجُّ الأثير حروفاً وهو رَوْحاني؟
وصيّب من دموع العين هَتَانِ
يديّ صحائفُ زلّاتي وعصيانِي؟

دارَ النبوة ذنبي عنك أبعدني
وحسنُ ظني بربي منك أدناني

أتى يزورُك أو في ذات سكان^(١)
 أو طار من حر شوقي بي جناحان
 من أهلك الصيد أو من ربعك الغاني
 وفي سطور أحاديثي وقرآني
 حتى كأننا التقينا منذ أزمان
 هم في ربوعهم الفيحاء ضيفاني
 من ذكريات وكم هيجت أشجاني

لم يَدِرْ قَدْرُكَ مَنْ فِي ذَاتِ أَجْنَحَةٍ
 هَلْ أَتَيْتُكَ سَيَّاراً عَلَى قَدَمِي
 مَا غَبْتَ عَنِّي وَإِنْ لَمْ يَمْتَلِءَ بَصْرِي
 قَدْ كُنْتُ أَلْفَاكَ فِي لَوْحِي وَفِي كَتَبِي
 مَا زِلْتُ رَسْماً جَمِيلاً فِي مَخِيلَتِي
 كَأَنِّي لَسْتُ ضَيْفَاً عِنْدَ أَهْلِكَ بَلِ
 اللَّهُ يَعْلَمُ كَمْ حَرَكْتُ فِي خَلْدِي



كأنه بحديث الأمس ناجاني
 بقدر ما فيه من رمل وكشبان
 أهدي التحية من روح وريحان
 قبل الحبيب لسان الحاسد الثاني
 خير البقاع أقلت خير سكان
 بل للطهارة من رجس وأدران
 بل فاغمرُوا جسدي منها بطوفان
 باب الوصول إلى جنات رضوان

كم في دروبك من درب أصخت له
 لي في صعيدك أفواه وألسنة
 يا جيرة الحرمين الآمنين لكم
 الله أورثكم مجدداً يقربه
 والله شرف مغناكم وشرفكم
 ما للشراب وردنا ماء زمزمكم
 بالله لا تترعوا من مائها قدحي
 هنا مفاتيح أغلاق السماء هنا



على أساسين: من علم وعرقان
 على قواعد من صخر وصفوان
 جل البناء وجل المنشئ الباني
 مبشرين بإصلاح وعمران
 ومحكم من كلام الله رباني

هنا بنى المصلح الأمي جامعة
 على قواعد من هدي النبوة لا
 وكيف لا ورسول الله منشئها؟
 طلابها في ربوع العالم انتشروا
 وسمحة من سماء الله منزلة

(١) الطائرة والسفينة.

أدنى المحيط إلى أقصى خراسان
 أحسن شعب بظلم أو بطغيان
 ما فرقت بين ألوان وأديان
 وكل نابغة فذ وفنان
 وهابهم كل ذي جاه وسلطان
 على الجبابر من فرس ورومان
 ثلوا عروشاً، وسلوا در تيجان
 ولا احتفى منهمو كسرى بليوان
 فأصبح القوم شاة بين ذؤبان
 وجال في يومهم فكري فأبكاني
 يذكرهم الله نسيان بنسيان
 من الخطوب؛ فأدرك شعبك العاني
 على تخوم عدو غير وسانان

فيها تخرج سواس البرية من
 ساسوا الشعوب بأحكام الكتاب فما
 سماحة عرف الدين الحنيف بها
 من كل مسعر حرب يوم معركة
 أجلهم كل ذي علم وفلسفة
 الله أكبر كانت سر قوتهم
 شاد البداة حضارات بها وبها
 لا حصن قيصر أغنى عند زحفهمو
 والأمر لله دار السدهر دورته
 قد جال في أمسهم فكري فأضحكني
 يا ويح قومي نسوا الله الكبير فلم
 يا رب شعبك يشكو ما أحاط به
 أدرك بلطفك شعباً غط في وسن



يا رب حسبي في دنياي حرماني
 بل فوق ما أستحق الله أعطاني
 إن صح منه الرضا عني وأرضاني
 لبيك يا رب من قلبي ووجداني

حاشاك يا رب في أخراي تحرمني
 أستغفر الله من كفران نعمته
 وما أبالي بما في الكون أجمعه
 لبيك ملء فمي لبيك ملء دمي

السكوت سلامة

زرع الكلام عداوة وضرارا
 فلتندمن على الكلام مرارا

إن السكوت سلامة ولربما
 فلئن ندمت على سكوتك مرة

من لامية الطفرائي

عن المعالي ويغري المرء بالكسل

حب السلامة يشني هم صاحبه



فإن جنحت إليه فاتخذ نفقاً
أهبت بالحظ لو ناديت مستمعاً
لعله إن بدا فضلي ونقصهم
أعلل النفس بالآمال أرقبها
غالى بنفسي عرفاني بقيمتها
ما كنت أؤثر أن يمتد بي زمني
تقدمتني أناس كان شوطهم
هذا جزاء امرئ أقرانه درجوا
وإن علاني من دوني فلا عجب

رثاء الأندلس

قال (أبو البقاء الرندي) هذه القصيدة بعد تحالف إسبانية
والبرتغال وأرغون، وتنازل (ابن الأحمر) عن عدد كبير من المدن
والحصون، وفيها يدعو إلى الجهاد، ويستنجد ببني (مريـن) وقبائل
المغرب، وسامعي النداء من المسلمين وراء بحر الزقاق:

لكل شيء إذا ما تم نقصان
هي الأمور كما شاهدتها دول
وهذه الدار لا تبقي على أحد
فجائع الدهر أنواع متنوعة
وللحوادث سلوان يهونها
دهى الجزيرة أمر لا عزاء له
تبكي الحنيفية البيضاء من أسف
على ديار من الإسلام خالية
حيث المساجد قد صارت كنائس ما
حتى المحارب تبكي وهي جامدة
تلك المصيبة أنست ما تقدمها

فلا يغرب بطيب العيش إنسان
من سره زمن ساءته أزمان
ولا يدوم على حال لها شان
وللزمان مسرات وأحزان
وما لما حل بالإسلام سلوان
هوى له أحد وانهد ثهلان
كما بكى لفراق الإلف هيمان
قد أسلمت، ولها بالكفر عمران
فيهن إلا نواقيس وصلبان
حتى المنابر ترثي وهي عيدان
وما لها مع طول الدهر نسيان



فقد سرى بحديث القوم ركبان
أسرى وقتلى فما يهتز إنسان
وأنتم يا عباد الله إخوان
أما على الخير أنصار وأعوان؟
أحال حالهم كفر وطغيان
واليوم هم في بلاد الكفر عبدان
كما تفرق أرواح وأبدان
كأنما هي ياقوت ومرجان
والعين باكية والقلب حيران
إن كان في القلب إسلام وإيمان

أعندكم نبأ من أهل أندلس
كم يستغيث بنو المستضعفين وهم
ماذا التقاطع في الإسلام بينكم
ألا نفوس أبيات لها همم؟
يا من لذلة قوم بعد عزهم
بالأمس كانوا ملوكاً في منازلهم
يا رب أم وطفل حيل بينهما
وظفلة ما رأتها الشمس إذ برزت
يقودها العليج للمكروه مكرهه
لمثل هذا يذوب القلب من كمد

الدرة المكنونة

أبهذا يأمر الغيد الشرف؟
أيكون الدر إلا في الصدف؟

قل لمن بعد الحجاب سفرت
ليست المرأة إلا درة

الغفلة عن المصير

كما غر باللذات في النوم حالم
وليلك نوم، والردى لك لازم
كذلك في الدنيا تعيش البهائم

تسر بما يبلى وتشغل بالمنى
نهارك يا مغرور سهو وغفلة
وتعمل فيما سوف تكره غبه

الرضا بقدر الله

قال الشاعر عزيز أباطة:

ليل والصبح يكتبان المصائر
هُ تجلّى عن مونتق الوجه ناضر
دار ما دامت الجهود قواصر

فليكن ما يكون يا صاح إن الـ
رب أمر نخافه إن بلؤنا
رضت نفسي أن تترك الفصل للأقـ

وقفه على طلل

للشاعر محمود غنيم

أمسى كلانا يعاف الغمض جفناه
أواه لو تنفع المحزون أواه
مجداً تليداً بأيدينا أضعناه
تجده كالطير مقصوماً جناحاه
فأصبحت تتوارى في زواياه
وبات يملكنا شعب ملكناه
هل كان يتصل العهدان لولاه
يكفيه شعب من الأجداث أحياء
إذا رأى ولد الموتور آخاه؟
من خاضها باع دنياه بأخراه؟
ما ساسها قيصر من قبل أو شاه؟
والزيت آدم له والكوخ مأواه
من بأسه وملوك الروم تخشاه
شعارنا المجد يهوانا ونهواه
فالشرق والضاد والإسلام معناه
ونحن كان لنا ماض نسيناه
ضياته فأصابتنا شظاياها
بالأمس كانوا هنا ما بالهم تاهوا؟
فسائل الصرح: أين المجد والجاه؟
عمن بناه؟ لعل الصخر ينعاه
علّ امرءاً من بني العباس تلقاه
منهن قام خطيباً فاغراً فاه

ما لي وللنجم يرعاني وأرعاه
لي فيك يا ليل آهات أرددها
إنني تذكرت والذكرى مؤرقة
أنى اتجهت إلى الإسلام في بلد
ويح العروبة كان الكون مسرحها
كم صرفتنا يد كنا نصرناها
سل الحضارة ماضيها وحاضرها
هل تطلبون من المختار معجزة
من وحد العرب حتى كان واترهم
وكيف كانوا يداً في الحرب واحدة
وكيف ساس رعاة الإبل مملكة
يا من رأى عمراً تكسوه بردته
يهتز كسرى على كرسيه فرقاً
سل المعالي عن أمجاد أمتنا
هي العروبة لفظ إن نطقت به
استرشد الغرب بالماضي فأرشده
إنا مشينا وراء الغرب نقبس من
بالله سل خلف بحر الروم عن عرب
فإن تراءت لك الحمراء عن كئيب
وانزل دمشق وسائل صخر مسجدها
وطف ببغداد وابحث في مقابرها
هذي معالم خرس كل واحدة

كانني راهب يغشى مصلاه
 يوماً وأخطأ دمع العين مجراه
 فحين جاوز بغداد تحدها
 شمس عليه، ولا برق تخطاه
 ونستمد القوى من وحي ذكره
 ربه أدرك شعوب الضاد ربه
 للشرق، لا محض دين سنه الله
 كالنحل إذ يتلاقى في خلاياه
 والمسلمون - وإن شتوا - رعاياه
 فامنن علينا براع أنت ترعاه
 يرعى بنيه وعين الله ترعاه

إني لأشعر إذ أغشى معالمهم
 الله يعلم ما قلبت سيرتهم
 أين الرشيد وقد طاف الغمام به
 ملك كملك بني التاميز ما غربت
 ماض نعيش على أنقاضه أمماً
 ما بال شمل شعوب الضاد منصدعاً
 إني لأعتبر الإسلام جامعة
 أرواحنا تتلاقى فيه خافقة
 دستوره الوحي والمختار عاهله
 لاهم قد أصبحت أهواؤنا شيعاً
 راع يعيد إلى الإسلام سيرته

راحة النفس

فإن النفس ما طمعت تهون
 ففي إحيائه عرضي مصون
 علته مهانة، وعلاه هون

أمت مطامعي فأرحت نفسي
 وأحييت القنوع وكان ميتاً
 إذا طمع يحل بقلب عبد

مع الهزمية النبوية

قال أمير الشعراء أحمد شوقي يمدح رسول الله ﷺ:

منها وما يتعشق الكبراء
 يُغرى بهن ويولع الكرماء
 وفعلت ما لا تفعل الأنواء
 هذان في الدنيا هما الرحماء
 في الحق لا ضغن ولا بغضاء
 تعرو الندى، وللقلوب بكاء

يا من له الأخلاق ما تهوى العلا
 زانتك في الخلق العظيم شمائل
 فإذا سخوت بلغت بالجود المدى
 وإذا رحمت فأنت أم أو أب
 وإذا غضبت فإنما هي غضبة
 وإذا خطبت فللمنابر هزة

وإذا أخذت العهد أو أعطيته
أنصفت أهل الفقر من أهل الغنى
فلو أن إنساناً تخير ملة
يا من له عز الشفاعة وحده
عرش القيامة أنت تحت لوائه
أنت الذي نظم البرية دينه
المصلحون أصابع جمعت يداً

يا رب

فجميع عهدك ذمة ووفاء
فالكل في حق الحياة سواء
ما اختار إلا دينك الفقراء
وهو المنزه ما له شفعاء
والحوض أنت حياله السقاء
ماذا يقول وينظم الشعراء؟
هي أنت، بل أنت اليد البيضاء

محمد نسيب الرفاعي

وكاشف الغم، والويلات ، والنوب
فقد غدونا نعاني شر منقلب
بالمسلمين، وحال العرب في تعب
وأمتي بعد، لما ترق أو تثب
ترفُ بالمجد حتى مطلع الشهب
وبينها فتنٌ مشبوبة اللهب
تبدو كأشعةٍ مغلولة الطنب
أين المودة في الأرحام والنسب؟
وسوف تبغتكم بالقهر والغلب
كانت تعد قناطيراً من الذهب
لكنه جاءها عفواً بلا تعب...!
متى تعود إلينا وحدة العرب؟
من المهاوي التي تؤدي إلى العطب
ويرجع الصف جمعاً غير منشعب
حكم (الكتاب)، فنجني غاية الأرب

يا رب... يا فارج الأزمان والكرب
إليك وحدك نشكو ما ألم بنا
في كل صقع من الأصقاع نازلة
يارب هذي شعوب الأرض قد وثبت
وقبل كانت من الأطلنط رايتها
واليوم وا أسفى أضحت مفككة
إنني أراها دويلات قد انتشرت
أين التراحم في الإسلام بينكم
فيم الخصام؟ وإسرائيل ترقبكم
وإنها للذي قد حل بينكم
من أجله كل غال ما تضمن به
يا عالم الغيب يا سؤلي ومؤتملي:
تعود في قوة والدين يعصمها
متى ترف على الهامات رايتها
من مغرب الشمس، حتى الشرق يربطنا

نريدها وحدةً سمحاء منقذة
تعيد للكون ما أدته من قدم
في ظلها ترقب الدنيا تخلصها
ولن تعود إلى الدنيا سلامتها

تعيد للمدين حقاً عهدہ الذهبي
من الحضارات في ثوب العلى القشب
مما تنوء به من وطأة الرهب
حتى يعود هدى الإسلام للعرب

الحق والقوة

فما العيش إلا أن نموت أعزة
تأملت في صرف الزمان فلم أجد
فإن يك دفع الشر بالرأي حازماً
تجاهل أهل الكفر كل قضية

وما الموت إلا أن نعيش ونسلما
سوى الصارم البتار للسلم سلما
فما زال دفع الشر بالشر أحزماً
إذا لم يجيء فيها الحسام مترجماً

رضاء الناس غاية لا تدرك

وما أحد من ألسن الناس سالماً
فإن كان مقداماً يقولون أهوج
وإن كان سكينتاً يقولون أبكم
وإن كان صواماً وبالليل قائماً
فلا تكثر بالناس في المدح والشنا

ولو أنه ذاك النبي المطهر
وإن كان مفضالاً يقولون مبذر
وإن كان منطيقاً يقولون مهذر
يقولون زوار يراني ويمكر
ولا تخش غير الله والله أكبر

حفظ السر

قيل لبعض الأدباء: كيف حفظك للسر؟
قال: أنا قبره.

وقيل: صدور الأحرار قبور الأسرار.
وقال الشاعر:

وما السر في صدري كشاو بقبره
ولكنني أنساه حتى كأنني
لأنني أرى المقبور ينتظر النشرا
بما كان منه لم أحط ساعة خبرا



ولو جاز كتّم السر بيني وبينه
وقال الآخر:

عن السر والأحشاء لم تعلم السرا
ولام عليه غيره فهو أحق
فصدر الذي يستودع السر أضيق

إذا المرء أفشى سره بلسانه
إذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه

يا أمّتي وجب الكفاح

فدعي التشدق والصياح
صُرُّ من تقاعس واستراح
على الطلول ولا النواح
قد مضى زمن المزاح
لام في وضح الصباح؟
ء وما تعاني من جراح؟
د، وكيف أخسنا الصياح؟
لوا: مالنا عنها براح
وا واعمّلوا، فالوقت راح
فلم النزاع والانتطاح؟
ن همو إذا دعت الجراح
يونا صحاحاً من صحاح
أغزو بهم في كل ساح
شك أن يطير بلا جناح
ة الليل بادي الارتياح
فردوس لا الغيد الملاح
ل ومثله صنع السلاح
م قد دراه أولو الصلاح
من أهله فقد النجاج

يا أمّتي وجب الكفاح
ودعي التقاعس ليس يُند
ما عاد يُجدينا البكا
يا قومُ إنّ الأمر جدُّ
أرأيت كيف يكاد للإسـ
أرأيت أرض الأنبييا
أرأيت كيف بغى اليهو
غضبوا فلسطيناً وقا
يا أمة الإسلام هبـ
الكفر جمّع شمله
يا ألف مليون وأيد
هاتوا من المليار ملـ
من كل ألف واحداً
من كل صافي الروح يو
ممن يخف إلا صلا
ممن يهيم بجنة الـ
لا بدّ من صنع الرجا
وصناعة الأبطال علـ
من لم يلقن أصله

في مساجدنا الفساح
 ظلّ الأحاديث الصحاح
 ورقّ تُذرِّيهِ الريح
 ملك كاد يُسفر عن صباح
 ينزاح عنا أو يُزاح
 منه فالفجر لاح
 نوم وحيّ على الفلاح

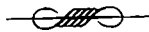
لا يُضنّع الأبطال إلا
 في روضة القرآن في
 شعب بغير عقيدة
 يا أمّتي صبراً فليـ
 لا بُدّ للكابوس أن
 والليل إن تشتدّ ظلـ
 والفجر إن يَبزُغ فلا

إلى الأمهات المسلمات

محمد صيام

فالدين من سفه الالحاد يحميه
 لخلق جيلٍ قوي غير مشبوه
 كالمهل العذب ما يُنفكُ يرويه
 يقيه من كل أمرٍ سوف يُؤذيه
 آياته الغرّ يا أختاه غذيّه
 من الضلالة والافساد تُنجيه
 كالأنجم الزهر في ليلٍ من التّيه
 ما كان غير رضا الرحمن يرضيه
 لكنّ أعماله الغرّاء تحييه
 وجيش رستم طوفان يلاقيه
 أقوى اليقين بأنّ النصر آتية
 وكل وعدي من الرحمن موفيه

رَبِّي وليدك وفقّ الدين رَبِّيهِ
 يا أختُ أنتِ - رعاك الله - عُدَّتْنا
 فلقّني طفلك الإسلام فهو له
 وعلمينه الثّقى إن التّقى سند
 ونشّنيه على هدي الكتاب ومن
 وزوّدنيه بأخلاقٍ مُحصّنةٍ
 أخلاق أجداده الغرّ الذين مضوا
 من كل ضرغامه ذكراه عاطرة
 ولّى وغاب عن الدنيا بطلعته
 كمثل سعدٍ، وكسرى يستهين به
 فيزار البطل المغوار وهو على
 وعداً من الله خصّ المؤمنين به



مشارف المسجد الأقصى يناجيه

ولست أنسى صلاح الدين وهو على



رأت لَعَمْرُكَ رأياً سوف تمضيه
منه الحواضر واهتزت بواديه
بل مسلمً واضحً من غير تمويه
وهلّل المسجد الأقصى ومن فيه

جئنا إليك فصبراً إن أمتنا
جئنا إليك نردُّ الغاصبين وما
والشرقُ ثار فلا عُزْبٌ ولا عجم
فازَيْنَتْ أرضنا من بعد غصَّتْها



فلالات كالشراً في دياجيه
عن شرقنا ليعيشوا في نواحيه
وراقه منظرُ الأرماع تغريه
بالحادثات وغطَّتْها بلاويه
نكراء أيامه سوداً ليالیه
غير العتاد نعاني من تفشيه
شعب تنكّر مختاراً لماضيه؟
عليه دور، ولكن لا يُؤدِّيه
والعالم اليوم في خطب سيفنيه
في هذه الأرض والشيطان ينميه
وسوف يفرقها في قعر واديه

هذي نماذجٌ قد جاد الزمان بها
واليوم ينتهزُ الأعداء غيبتها
فصُوب الغربُ نحو الشرق أسهمه
فما لهذا الزمان اختصَّ أمتنا
وما لها ما رأت من قبله زمناً
أمنٌ قليل عتادٍ؟ أم ترى سبباً
ماذا يفيد عتادُ الأرض بين يدي
وكل فردٍ من الأفراد وا أسفأً
والناس أخلاقُهُم أمست مزعزعةً
أما الفساد الذي قد بات منتشراً
فسوف يلتهم الدنيا بأجمعها



ولا تكونوا كمن ضلّت مساعيه
من الشقاء الذي بتنا نعانيه
فليس في الأرض منهاجٌ يدانيه

يا أيها الناس فلتنجوا بأنفسكم
عودوا إلى الله ينقذكم برحمته
ولتستقُوا من كتاب الله منهجكم

من حكم أبي تمام

فأنت ومَنْ تجاريه سواء
ويحميه عن الغدر الوفاء

إذا جاريت في خُلُقٍ دنيئاً
رأيت الحرَّ يجتنب المخازي

لها من بعد شدتها رخاء
أفادتني التجارب والعناء
ولم تستخني فاصنع ما تشاء
ولا الدنيا إذا ذهب الحياء
ويبقى العود ما بقي اللحاء

وما من شدة إلا سيأتي
لقد جربت هذا الدهر حتى
إذا لم تخش عاقبة الليالي
فلا - والله - ما في العيش خير
يعيش المرء ما استحيا بخير

مد الإسلام وجزره

للشاعر الأوردي الأستاذ الطاف حسين. ترجمها إلى العربية
بشيء من التصرف القاضي محمد محمود الزبيري.

والأستاذ الطاف حسين من أئمة شعراء مسلمي شبه القارة
الهندية، وقال هذه القصيدة لاستنهاض عزائم المسلمين، وقد نظمها
سنة ١٨٧٩ م وترجمت هذه المنظومة إلى لغات عديدة:

ويسأله فتوى تعالج كربه
إذا مس إنساناً قضى منه نجه؟
لنا مرضاً إلا ويخلق طبه
هو الداء يستشري ويقتل ربه
هو المرض السهل الذي لن نطبه
بأقطارنا ينمو ويجمع إلبه
خرافة شيخ أصبح الهجر دأبه

أتى سائل بقراط يحذر خطبه
ألا أي داء في البرية مهلك
فقال له: لم يخلق الله مرة
ولكن داءً هيئاً لا نخافه
وأخطر أمراض علينا مغبة
نرى أمره هوناً ونترك شره
ونعتد أقوال الطبيب بشأنه



زعمناه بالتشخيص يعلن عيه
هوان ونسقيه من الصاب ريه
حداد تعريه وتنسج خزيه
حواليه أطفال نحاول كيه

إذا هو في التشخيص أعلن رأيه
وقمنا عليه هازئين نذيقه الـ
ونسلقه سلقاً بالسنة لنا
كأن به مس الجنون كأننا

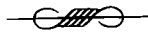
نحاذر أسباب الشفاء وإن يكن

نطاسيه الآسي لنا أو نبيّه



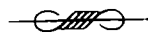
كذاك يمد الداء في الروح مده
وينزع منا الأنس بالطب والدوا
ونكره أن نلقى الطبيب بدائنا
كذلك حال الشعب يوم تغوله الـ
وتبدو لعينيه الشמוש غياهباً
ويجثم فيه الرعب حتى يؤده
ويحسبه من عجزه وضلاله
يؤله من يقوى عليه ويعتدي
أحاطت به دوامة فغرت له
على مركب ترغى المنايا حياله
تُجَزَّعه من حولها الجُرع التي
لقد ساد خط الفلك فالموج هائج
وأنى له شطّ النجاة وإنما
تَرْتَح من دعر وضجّت بأهله

ويبلغ بالتدريج فينا أشده
إلى أن نذوق اليأس والموت بعده
ولو كان سرّ الحي والميت عنده
غوائل في الدنيا ويفقد رشده
ويصبح هذا العالم الرحب لحدّه
ويطنى عليه اليأس حتى يهده
يعيش بهذا الكون حيران وحده
فلو عبّضه كلب له صار عبده
فمأ مثل شفق الوحش يبدأ أكله
بأمواجه الغضبي وتزأر حوله
تؤد جناحيه وتبهض حمله
على رأسه والموت ينشر ظله
يرى قبره الخالي ويرقب ذلّه
جوانبه الغرقى لتوقظ أهله



ولكنهم ركب نؤوم تهزه الـ
وأقبل صوت الحق يسأله فما
وهل أنتم من كنتم الأمس في الورى
أليقظتم الدنيا قديماً ونمتم
لقد كنتم للكون كنزاً من المنى

منايا فلا يجدي لها أن تهزه
يجيب ويستفتي ويغمز غمزه
وهل أنتم من ضيّع اليوم عزّه؟
حديثاً كمن يغفو ليستر عجزه؟
فلما أضعتم ضيّع الكون كنزه



قناعته بالدون تنسيه شأوه
ويشددو بأنغام السيادة شدوه
وما زال غرّاً لا يفارق زهوه
سبات نراها لا تغادر جوّه
ولا هزّ جفنناً كي يجرب صحوه
صبور فلا يشجى من الخسف شجوه
فيحبوه دنياه ويعطيه عفوه
وما انفكّ يحبو أو يمجد حبوه



ويصبر للتقطيع والسلخ صبره
ويحمد دنياه ويشكر دهره
ولو سامه خسفاً وأهلب ظهره
وكل فخار ليس يوقظ كبره
ولا رهبة النيران تجلب ذعره



وعطل معناه وأبطل فهمه
بما لم يشوّه منه لو كان خصمه
بدا عارياً ما كان يأثم إثمه
معايبه السوءى ولا زان جسمه
وينسج أثواباً فيكشف جرمه
كذوب وأنّ الناس تضرر شتمه
ومن ذا يراعي حين يزعم زعمه

هو الشعب لاه ليس يترك لهوه
كفى أنه ما زال يحلم حلمه
تمرغ في الأحوال عجزاً وذلة
تجلّى عليه الصبح لكن ظلمة الـ
فما شال رجلاً كي يمارس خطوه
قنوع فلا تأسى على الذل نفسه
يعذبه الباغي ويقصم ظهره
تطوّرت الدنيا وطارت بأهلها

يقدمُ للسكين كالكبش نحره
ويحيا كما تحيا البهائم عمره
ويرضى إذا ما استعمر البغي قطره
فكل هوانٍ ليس يوقد جمره
وما رغبة الجنات تشرح صدره

أساء إلى الإسلام مذ حمل اسمه
وشوّه منه وهو يظهر حبه
تظاهر في أثوابه ولو أنه
فما ترك الأثواب بيضاً ولا زوى
يحاول تضليلاً فيفضح نفسه
يرائي نفاقاً وهو يدري بأنه
فيا ليت شعري من يغالط في الورى



ومن عجب كيف استطاع إساءة
وشكك فيه الناس إذ كان ظلّه
معاذك يا رباه! فالبون شاسع
لو انتسبت شمس النهار بهديها
ولا أحسنت في أن تسدّ مسده
وليست بأهل أن تكون سلالة
فنور الضحى يستهدف الأرض وحدها

إلى سمعة الإسلام واجتثّ فضله
على زعمهم، والظلُّ يشبه أصله
ودينك ما في الأرض أمثلة له
إلى هديه القدسي لم تك مثله
ولا نجحت في أن تحل محله
لتاريخه أو أن تمثّل أهله
وروح الهدى يستهدف الكون كله

من وحي أفغانستان

إسماعيل أبو العزائم

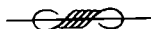
نأيت، فنالت الأشجان مني
تشاركني الشعور ولم تدعني
فتهداً لوعتي ويخف حزني
تزلزل خافق الأضلاع مني

ملاك الشعر أين ذهبت عني
وكنتُ إذا المشاعر ثائرات
وترسله قصيداً عبقرياً
وما كالיום أحداثٌ جسام



بها دبّ يعيثُ بكل ركن
وراح يجوس في خُبثٍ ومين
وأسرف في المكيدة والتجني

أرى دار السلام^(١) بلا سلام
أتى (كابول) فاستعصى بنوها
ففرّق إخوة كانوا جميعاً



يبيعون النفوس بغير من
وصدق عزيمة وصفاء ذهن
إلى أرض الخليج المطمئن

جمال الدين، قم واشهد شباباً
لقد أوتوا مع الإيمان بأساً
أيا أرض العروبة من محيط

(١) دار الإسلام كناية عن الوطن الإسلامي.

تمنيننا، فلم تجدِ التمني
معاذ الله.. هذا محض ظن
وضاع الشملُ في سهل وحزن؟
فليس الحرب في سب وطعن
كمن رام الحيا من غير مُزن
هدمنا اليوم ما بالأمس نبني؟
يوحدنا.. وبالإيمان يغني

تُرى ماذا دهانا اليوم حتى
تُرى هل ذاك أندلس جديد
لماذا صار جمعكُم شتاتاً
عليكم بالكفاح وبالتفاني
ومن طلب الحياة بلا جهاد
وكيف نقيم بنياناً إذا ما
دعوتُ الله للإسلام نصراً

الحضارة الآثمة

محمد مصطفى حمام

ولا ترى النور إلا في محياها
وكن بحبك مهواها ومأواها
مغارم وقيود لست أرضاها
يظل محياي مرهوناً بمحياها
البؤس يصحبها والنحس يغشاها
من الوصال فرواني ورواها
أأنت تعبتُ بالأعراض تياها؟
كم تاه غيري به قبلي وكم باهى

قال الفتى للفتى ما دُمْتَ تهواها
فأنس بها زوجة تؤويك حانيةً
فقال: كلا، فما كان الزواج سوى
علام أحبسُ قلبي في هوى امرأة
ورب ذرية أخرجتُ فانبعثت
في كل يوم فتاة فجرت غدقاً
قلنا: أأنت تباهي بالزنا فرحاً
فقال: بل ذاك شرع صار متبَعاً



على العقول فأوهاها وألغاهها
غشى بصائرها زيغ وأعماهها
ومن برسم الخنا والرجس جلاها
نظامها عن نظام الدين أقصاها
وليس عن ندوات الليل ينهاها

ويح الشباب إذا الشيطانُ نازعهم
قد علمتهم أفانينُ الخنا صُحفُ
وشاشة ضلَّ راويها وعارضها
ووالد غافل لاه ومدرسة
وزوج عابثة أرخى العنان لها

لو أن لي قوة في أمتي وبدأ
البيت كان لها مُلكاً تعزُّ به
فقوضت بيديها عرشها وغدت
هذي الحضارة دين لا أدين به

ألزمتُ حواء مشواها ومغناها
وفيه كانت ترى السلطان والجاها
رعيّة، وذئاب الأرض ترعاها
إنني كفرتُ بمبناها ومعناها

آسام

للشاعر محمود مفلح

قال مراسل الإذاعة البريطانية: لقد شاهدتُ هذا اليوم (الأحد ٧/٥/١٤٠٣) في ولاية آسام الهندية مجزرة لم أشهد أبشع منها، كان ضحيتها ألف من المهاجرين البنغاليين المسلمين. كنتُ أرى جثثاً بلا رؤوس... كلها لأطفال ونساء...

لماذا يُذبحون ونستكينُ
الإسلام نسبئنا وهذا
تغوصُ خناجرُ الطاغوت فينا
ونحن نغطُّ في نوم بليدٍ
وإنَّ المؤمنين بكلِّ أرضٍ
لقد ضاقت سجون البغي فيهم
دمُ الإسلام مسفوكٌ فمن ذا
تحاصرنا المجازرُ كلَّ يوم
فكم من مسجدٍ أضحى يباباً
وما ذنب الضحايا غير دينٍ
أعبادَ العجول هناك أسدُ
ولا أحدٌ يرُدُّ ولا يُبينُ؟
دمُ الإسلام أرخصُ ما يكونُ؟
وينحرننا التسلُّطُ والجنون
وتضحكُ من بلادتنا القرون
طريدٌ أو سجينٌ أو طعين
وما ضاقت بأوباش سجون
يردُّ له الكرامة أو يصونُ؟
وتهدمُ في مرابعنا الحصونُ
وعاث به التهتك والمجون
تهون له النفوس ولا يهون
وأسدُ الله يبكيها العرين

القدس

مررتُ على القدس الشريف مسلماً
على ما تبقي من ربوع كأنجم



على ما مضى من عصرنا المتقدّم
وشمّرَ عن كَفِّي لثيم مذمّم
لمعتبر أو سائلٍ أو مُسَلّم
بنفسي وهذا الظن في كل مسلم

ففاضت دموعُ العين مني صباية
وقد رام علجٌ أن يُعَفِّي رسومه
فقلت له: شُلْتُ يميثك خلّها
فلو كان يُفدى بالنفوس فدَيْته

رسالة في ليلة التنفيذ

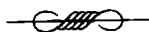
للشاعر: هاشم الرفاعي

كتب الشاعر هذه القصيدة في شهر آذار سنة ١٩٥٥ ولها بقية

طويلة في ديوانه (جراح مصر):

والحبلُ والجلاد منتظرانِ
مقرورة صخرية الجدرانِ
وأحسُّ أن ظلامها أكفاني
هذا - وتُخَمَلُ بعدها جُثماني

أبتاه ماذا قد يخطُ بناني
هذا الكتابُ إليك مِن زنانيةِ
لم تبقَ إلا ليلةٌ أحيا بها
ستمُرُ يا أبتاه - لست أشك في

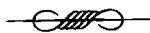


والذكرياتُ تمورُ في وجداني
في بضع آياتٍ من القرآنِ
دبّ الخشوعُ بها فهزُّ كياني
إلا أخيراً لذة الإيمانِ
عبثت بهنُّ أصابع السجّانِ
يرنو إليّ بمقلتي شيطانِ
ويعود في أمنٍ إلى الدورانِ
ماذا جنني فتمسَّهُ أضغاثي؟
لم يبد في ظمأٍ إلى العدوانِ
ذاق العيالُ مرارة الحرمانِ

الليلُ من حولي هدوء قاتلٍ
ويهدُّني ألمي، فأنشدُ راحتي
والنفس بين جوانحي شفافةً
قد عشتُ أو منُ بالإله ولم أدقُ
والصمْتُ يقطعه رنينُ سلاسلِ
ما بين آونةِ تمرُّ وأختها
من كُوةٍ بالباب يرقب صيده
أنا لا أحسُّ بأيِّ حقدٍ نحوه
هو طيبُ الأخلاقِ مثلكَ يا أبي
لكنه إن نام عني لحظةً

لو كان مثلي شاعراً لرثاني
يوماً وذكّر صورتي لبكاني

فلربما وهو المروّع سحنة
أو عاد - من يدري -؟ إلى أولاده



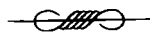
بالثورة الحمقاء قد أغراني؟
مثل الجميع أسير في إذعان
غلب الأسي بالغت في الكتمان
موتي، ولن يودي به قرباني
شاة إذا اجثتت من القطعان

ويدور همس في الجوانح ما الذي
أولم يكن خيراً لنفسي أن أرى
ما ضرني لو قد سكت وكلما
والظلم باق، لن يحطم قيده
ويسير ركب البغي ليس يضيره



بشريتي وتمور بعد ثوان
أسمى من التصفيق للطغيان
ستظل تغمر أفقهم بدخان
أم سوف يعرفها دجى النسيان؟
متأمراً أم هادم الأوثان؟
كأس المذلة ليس في إمكاني
غير الضياء لأمتي لكفاني
إرهاب، لا استخفاف بالإنسان
يغلي دم الأحرار في شرياني

هذا حديث النفس حين تشق عن
وتقول لي: إن الحياة لغاية
أنفاسك الحرى وإن هي أخذت
أنا لست أدري هل ستذكر قصتي
أو أنني سأكون في تاريخنا
كل الذي أدريه أن تجرعي
لو لم أكن في ثورتي متطلباً
أهوى الحياة كريمة لا قيد لا
فإذا سقطت سقطت أحمل عزتي



وأضاء نور الشمس كل مكان
يوماً جديداً مشرق الألوان
تجري على فم بائع الألبان
سيدق باب السجن جلاذان

أبتاه إن طلع الصباح على الدنا
واستقبل العصفور بين غصونه
وسمعت أنغام التفاؤل ثرة
وأتى يدق - كما تعود - بابنا

وأكون بعد هنيهة متأرجحاً
 ليكن عزائك أن هذا الحبل ما
 نسجوه في بلدٍ يشع حضارة
 أو هكذا زعموا، وجيء به إلى
 أنا لا أريدك أن تعيش محطماً
 إن ابنك المصفود في أغلاله
 فاذكر حكاياتِ بأيام الصبا
 وإذا سمعتَ نشيج أُمي في الدجى
 وتكثمتُ الحشرات في أعماقها
 فاطلب إليها الصفح عني إنني
 ما زال في سمعي رنينٌ حديثها
 أبني: إني قد غدوتُ عليلَةً
 فأذقُ فؤادي فرحةً بالبحث عن
 كانت لها أمنية ريانة

في الحبل مشدوداً إلى العيدان
 صنعته في هذي الربوع يدان
 وتُضاء منه مشاعل العرفان
 بلدي الجريح على يد الأعوان
 في زحمة الآلام والأشجان
 قد سيق نحو الموت غير مدان
 قد قلتها لي عن هوى الأوطان
 تبكي شاباً ضاع في الريعان
 ألماً تواريه عن الجيران
 لا أبتغي منها سوى الغفران
 ومقالها في رحمة وحنان
 لم يبق لي جلدٌ على الأحزان
 بنت الحلال ودَعك من عصياني
 يا حُسنَ آمالٍ لها وأمان!



هذا الذي سَطَرْتُهُ لك يا أبي
 لكن إذا انتصر الضياء ومزقت
 فَلَسَوْفَ يذكرنِي ويكبر همتي
 وإلى لقاء تحت ظل عدالة

بعض الذي يجري بفكرٍ عان
 بيد الجموع شريعة القرصان
 من كان في بلدي حليف هوان
 قدسية الأحكام والميزان

ساقول

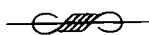
للشاعر الأستاذ محمد مصطفى حمام

بالأمس كانت صحبتي تفتيني
 ساقول للحكام في أبراجهم

مشكورة واليوم تستفتيني
 العدل أقوى صائن وضمين

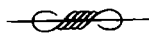


والشعب أهلكمو وأنتم أهله
لا تفرحوا بالمادحين فربما
وتهبأوا للناصحين ونصحهم



ليس التراحم بيننا بظنين
قاد المديح لغرة وفتون
بجميل ترحيبٍ وطلق جبين

سأقول للمحكوم: من يصبر على
لا خير للأوطان في مُسْتَضْعَفٍ



ضيم يكن بالعز غير قمين
راضٍ بإهدار الحقوق مهين

سأقول للكُتَّاب ليس مدادكم
لقنتمو الفتيات والفتيان من
والشاشة البيضاء فن فاسق
وأرى الإذاعة وَكَّرَ عشقي، حافلاً
وأرى العقائد في الشباب تعرّضت
برم الفجور بكل خلق فاضل
وإذا المدارس علّمت فتياتنا

إلا معين تبذُلٍ ومجون
سفر الرذيلة أسوأ التلقين
وكذا الفجور يساق باسم فنون
بتأوّد وتأوّه وأنين
لمعاول التخريب والتوهين
وبكل عرض في البلاد مصون
رقصاً فمهلاً يا كمال الدين^(١)



سأقول للشعراء كم في جمعكم
كم أفلّت الإنصاف من أقلامكم
وإذا العقول طغى على أضوائها
ويجيء بعضكمو بغثٍ واهن
ولقد عهدنا الشعر هندسةً وما
والشعرُ إنْ نَسَقَتْه وحبكته

من كاذبٍ ومنافقي مآفون
في غمرة التسويء والتحسين
طيف الغلو فذاك طيف جنون
لا إلف قافية ولا موزون
هو كومة الحجر المشوب بطين
ضرب من التلحين لا التدوين

(١) هو السيد كمال الدين حين وزير التربية والتعليم في القطر المصري آنذاك.

من صاغ شعراً دون قافيةٍ ففي

والوزن قانون القصيد فما لهم

كفيه أوتار بغير رنين

شقوا العصا وعدّوا على القانون



سأقول ثم أقول غير معاندٍ خصماً وغير مجامل لخدين

العيش نوم والمنية يقظة

لأبي الحسن التهامي

ما هذه الدنيا بدار قرار

ألفيته خبيراً من الأخبار

ص فوياً من الأقدار والأكدار

متطلبٌ في المناء جذوة نار

تبني الرجاء على شفير هار

والمرء بينهما خيال سار

أعماركم سَفَرٌ من الأسفار

أن تُسْتَرَدَّ فإنهنَّ عوارٍ

خُلِقَ الزمان عداوة الأحرار

حُكْمُ المنية في البرية جار

بيننا ترى الإنسان فيها مخبراً

طُبِعَتْ على كدرٍ وأنت تريدها

ومكَلَّفَ الأيام ضد طباعها

وإذا رجوت المستحيل فإنما

والعيش نومٌ والمنية يقظة

فاقضوا مآربكم عجالاً إنما

وتركضوا خيل الشباب وبادروا

ليس الزمان - وإن حرصت - مسالماً

شكوى

يستثير العزم للنار انتقاما

نفسه فاشتد كالنار اضطراما

إنني أقذفُ ناراً لا كلاما

أصبحت تشكو كما يشكو اليتامى

شدّ ما تحمل ظلماً وظلاما

لم تكن عمياء، لا بل تتعامى

ما على الشاكي إذا ضجّ ولا ما

ما على المظلوم إن ضاقت به

أيها القوم أعيروا سمعكم

ما أنا الشاكي ولكن أمة

ما أنا المظلوم لكن أمة

ما أنا المأسور لكن أمة



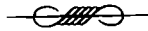
تُبصرُ الشرَّ ولا تنكره
وتداري كلَّ دجالٍ ولو
ضيَّعت ما كان من أمجادها
وتُرْجِي من أعاديها الهدى

وعن المعروف جنباً تتحامي
بتُّ في أبنائها الرأي الحراما
وغدت شرقاً وغرباً تترامى
وتواليهم قضاءً واحتكاما



كم صفيق الوجه صفقنا له
بُحَّت الأصوات في تمجيده
وشريف القصد شهزنا به
وأقمنا ضجَّةً بالغةً
عمت الفوضى وضاعت قيم
وانحدرنا لحضيضِ آسن
وانصرفنا عن هدى قرآننا
واقْتدِينا بالألى قد كفروا
وتذبذبنا بمسعانا فلا

وسفيه قد جعلناه إماما
وتبعناه اعتزازاً واحتراما
وظلمناه اعتداءً واتهاما
تتحدها قعوداً وقياما
(وتطورنا) فلم نبغ التزاما
جيف الآراء فيه تتنامى
فتخاذلنا وذقنا الانهزاما
ولقد خضنا كما خاضوا تماما
سادة عشنا ولا متنا كراما



مسؤولية القلم

وما من كاتبٍ إلا ستَبْقَى
فلا تكتب بكفك غير شيء

كتابته وإن فنيت يده
يسرُّك في القيامة أن تراه

شكاة مرسله إلى العالم العربي

محمد الهاشمي

قضيتُ شبيبتي وبذلتُ جهدي
إلى كم استَحِثُّ النفس عزمًا

فلم تكن الحياة كما أريد
وكم أسعى وغيري يستفيد



نَهَضْتُ، ففيل أي فتي، فلما
وإني - بعد مجهدة - وقومي
وحيد بينهم ولعل يوماً

خبرْتُ الأمر أعجبنى القعود
كضاربة وقد برَدَ الحديد
عصيماً فيه يُفتقد الوحيد



لنا في الشرق أوطان ولكن
نقيم بها على ذل وفقر
أكاذيب السياسة بيّنات
وَعُوذُ كُلِّهَا كَذِبٌ وزور
إذا ما الملك شيدَ على خداع
ومَن لم يتخذْ مُلكاً صحيحاً

تضيّقُ بنا كما ضاقت لحود
ونظماً لا يسوغ لنا الورود
تكيد بها الحكومة ما تكيد
فكم وإلامَ تخدعنا الوعود
فلا يبقى الخداعُ ولا المشيد
فلا تغني الممالكُ والحدود



أرى الحرية اختضبت دماء
وأقسم أن عاشقها زعيم
رخيص كل ما بذلوه فيها
يسومُ المجد طالبه بغالٍ
إذا سهّلَ النزول إلى حضيض

وقد خفقت لطالبها البنود
بخطبتها ولو قُطِعَ الوريد
فإنّ لمجدها كُتِبَ الخلود
ولا يطفى به الثمنُ الزهيدُ
يشق إذاً إلى القمم الصعود

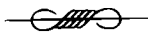
أين المسلمونا؟!!!

هاشم الرفاعي

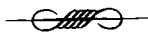
ملّكنا هذه الدنيا قروناً
وسطرنا صحائف من ضياء
حملناها سيوفاً لامعات
إذا خرجت من الأغماد يوماً

وأخضعها جدودَ خالدونا
فما نسي الزمانُ ولا نسينا
غداة الروع تأبى أن تلينا
رأيت الهول والفتح المبينا

بطغيان ندوس له الجبينا
فما تغضي عن الظلم الجفونا
مضى بالمجد قوم آخرونا
وقد عاشوا أئمته سنيانا
سؤال الدهر: أين المسلمونا؟



أذوب لذلك الماضي حيننا
يدعمه شباب طامحونا
كريماً طاب في الدنيا غصونا
فسالت عندهم ماء معيننا
يدكون المعازل والحصونا
من الإشفاق إلا ساجديننا
ولم يُسَلِّمْ إلى الخصم العريننا
وقد ملأوا نواديهم مجونا
ولكنَّ العلا صِيغَتْ لُحُوننا
وعلماء، لا بأجرئهم عيوننا
ويأتلِفون مجتمعا رزيننا
ولا عرف التخنث في بنينا
ولم يتقلبوا في الملحديننا
خطير كي يقال مثقفونا



شباباً مخلصاً حراً أميننا
فيأبى أن يُقَيِّدَ أو يهونا

وكنا حين يأخذنا وليي
تفيض قلوبنا بالهذي بأساً
وما فتىء الزمانُ يدور حتى
وأصبح لا يُرى في الركب قومي
وآلمني وآلم كلَّ حُرِّ

تري هل يَزِجُعُ الماضي؟ فإنني
بنينا حقبة في الأرض ملكاً
تعهدهم فأنبتهم نباتاً
هُمُ وردوا الحياض مباركات
إذا شهدوا الوغى كانوا كماء
وإن جنَّ المساء فلا تراهم
شباب لم تحطَّمه الليالي
ولم تشهدهم الأقداح يوماً
وما عرفوا الأغاني مائعات
وقد دانوا بأعظمهم نضالاً
فيتحدون أخلاقاً عذاباً
فما عرف الخلاعة في بنات
ولم يتشدَّقوا بقشور علم
ولم يتبجحوا في كل أمر

كذلك أخرج الإسلام قومي
وعلمه الكرامة كيف تبني

دعوني من أمانٍ كاذبات
وهاتوا لي من الإيمان نوراً
أمدّ يدي فانتزع الرواسي
فلم أجد المنى إلا ظنوننا
وقوّوا بين جنبيّ اليقيننا
وأبني المجد مؤتلقاً مكينا



صديق

لي صديق يرى حقوقي عليه
لو قطعْتُ الجبال طولاً إليه
لرأى ما صنعتُ غير كبير
نافلات، وحقه كان فرضاً
ثمّ من بعد طولها سرت عرضاً
واشتهى أن أزيد في الأرض أرضاً

إلى العلماء

قال أبو منصور الدميّاطي:

أيها العالمُ إياك الزلُّ
هفوةُ العالمِ مُستَغْظَمَةٌ
وعلى زلته عمدتهم
لا تقل: يستر علمي زلتي
إن تكن عندك مستحقرةُ
ليس مَنْ يتبعهُ العالمُ في
مثل من يدفع عنه جهله
انظر الأنجم: مهما سقطت
فإذا الشمسُ بدتْ كاسفةُ
وتراءت نحوها أبصارهم
وسرى النقص لهم من نقصها
وكذا العالمُ في زلته
واحذر الهفوة والخُطبَ الجَلَلِ
إذ بها أصبح في الخَلْقِ مَثَلِ
فبها يحتجُّ من أخطأ وزلَّ
بل بها يحصل في العلم الخلل
فهي عند الله والناس جبل
كُلُّ ما دقَّ من الأمر وجَلَّ
إن أتى فاحشة قيل: جهل
من رآها وهي تهوي لم يُبَلَّ
وجِلَّ الخلقُ لها كلَّ الوجَلِ
في انزعاج واضطراب ووجل
فغدت مظلمةً منها السُّبُلِ
يُفْتَنُّ العالمُ طُرّاً وبُضَلِ

مكتبة أهد

telegram @ktabpdf

تابعونا على فيسبوك
جديد الكتب والروايات



الفهرس

٥	مقدمة
١١	الباقة الأولى : حكايات الحكام الصالحين
٤٥	الباقة الثانية : حكايات العلماء المسلمين
٩٧	الباقة الثالثة : حكايات القضاة العادلين
١١١	الباقة الرابعة : حكايات الأبطال المجاهدين
١٣٣	الباقة الخامسة : الأخلاق والآداب الإسلامية
١٦٧	الباقة السادسة : من روائع حضارتنا
١٩٧	الباقة السابعة : طرف وملح
٢٠٩	الباقة الثامنة : من روائع الكلم والحكم والأمثال
٢٤٣	الباقة التاسعة : عبر وعظات ونصائح
٢٦٣	الباقة العاشرة : فضائل الأعمال
٢٧١	الباقة الحادية عشرة : أقوال منصفى الغرب
٢٩٥	الباقة الثانية عشرة : أقوال الحاقدين على الإسلام ومخططاتهم
٣٠٧	الباقة الثالثة عشرة : حضارة الغرب الزائفة
٣١٧	الباقة الرابعة عشرة : من عيون الشعر وروائعه
٣٥٩	الفهرس